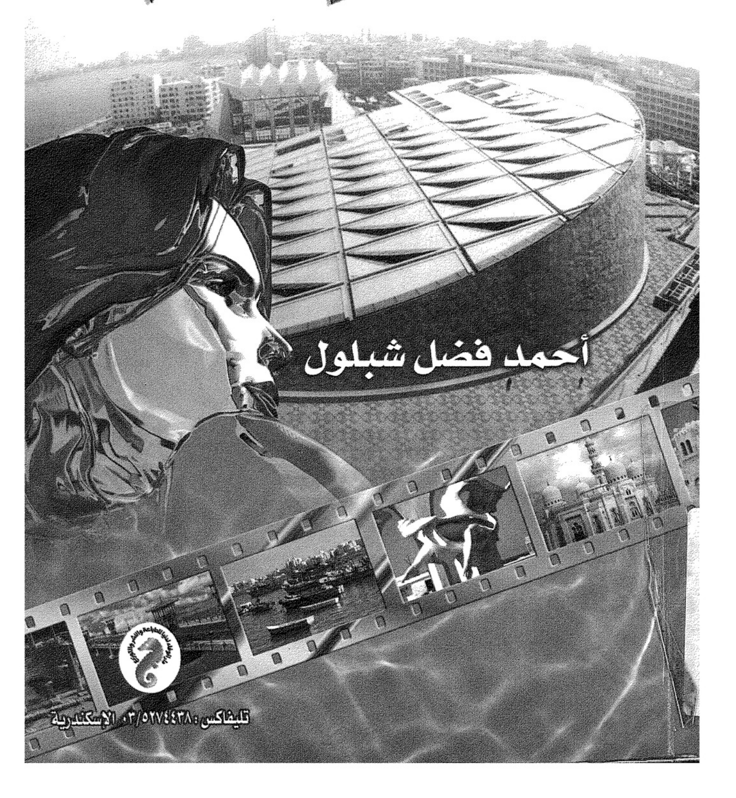
استعادة الإسكندرية



استعادة الإسكندرية

الناشـــــــر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

العنـــــــوان: بلوك ٣ ش ملك حفنى قبلى السكة الحديد مساكن درباله فيكتوريا - الإسكندرية.

تليفـــــاكس: ٥٢٧٤٤٣٨/ ٠٠٢٠٣ (٢ خط) موبايل ٠١٢٩٣٢٣٣

الرقم البريدى: ٢١٤١١ الإسكندرية جمهورية مصر العربية.

E- mail

dwdpress @ yahoo.com
dwdpress @ piznas.com

Website

http:/ www.dwdpress.com

عنوان الكتاب: استعادة الإسكندرية

المؤلـــــف: أحمد فضل شبلول

رقـم الإيـداع: ٧٩٣٣/ ٢٠٠٣

الترقيم الدولى: 7 - 340 - 327 - 977

استعادة الإسكندرية

أحمد فضل شبلول

الناشر
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية

المحتويات

"لقد استوليتُ على مدينة يمكن أن أقول إنها تضمُّ ٤٠٠٠ من القصور، و٤٠٠٠ من الحمَّامات، و٤٠٠ مخزن، وبها ١٢٠٠ من بائعي الخضراوات، و٤٠٠٠٠ من اليهود دافعي الجزية".

من تقرير عمرو بن العاص، للخليفة عمر بن الخطاب، بعد فتح الإسكندرية في ٢٩ سبتمبر ٦٤٢م.

"إن ضـوء القمـر المنعكـس علـى الرخـام جعـــل المدينة تسبحُ في نور سـاطع بدرجـة تكفـي لأي تـرزي أن يلضـم الخيط في إبرتـه دون حاجـة لمصبـاح، ولا يستطيع أحدٌ أن يدخل المدينة، دون أن يغطي عينيه ليحجبَ عنهما وهج الجص والرخام".

جندي عربي مسلم، من جنود عمرو بن العاص

"كان التلاميذ ينجذبون نحو المدن الغنية أو الأكثر ثراءً، وبالأخص الإسكندرية، وذلك لتوفر الرعاية، وجماهير المستمعين، ووسائل الراحة، والفرص التي تنتظرهم هناك، بالمقارنة بالظروف المعيشية الضيقة في مدينة إقليمية مثل أثينا التي مزقتها الحرب، وأقعدها الفقر".

جون مارلو

صاحب كتاب "العصر الذهبي للإسكندرية"

ترجمة: نسيم مجلي

"إذا الإنسان طاف حول الإسكندرية في الصباح،

فالله سوف يصنع له تاجا ذهبيا مرصعا باللآلئ

ومعطرا بالمسك والكافور يشع الضوء شرقا وغربا".

ابن دقماق

"الآن لم يبق هناك شيء فوق سطح الأرض من الإسكندرية القديمة، وفي ذات الموقع، إلا العمود المرتفع هناك، المعروف بعمود بومبي في البقعة التي كان فيها معبد السرابيوم العظيم".

جون مارلو

صاحب كتاب "العصر الذهبي للإسكندرية"

ترجمة: نسيم مجلي

بلا مقدمات

د. محمد زكريا عناني

وهل يحتاج أحمد فضل شبلول إلى تقديم؟

لقد قدّمته للناس شمائله النبيلة، وشاعريته الحية المبتكرة، وفكره المنظم الدؤوب، مما مكنّه من أن يمضي قُدما في مختلف مجالات التأليف والنشر العلمي عبر الثغر ومصر كلها.

وكتابه الجديد يأتي تعبيرا حيًّا عن هذا التواصل الحميم بين المدينة ومثقفيها، على نحو ما تجلّى في سلسلة أعمال صدرت مؤخرا مثل كتاب د.فوزي خضر عن "شاعرات الإسكندرية"، وكتاب الشاعرة سناء الجبالي "الإسكندرية: الشعر والشعراء"، وموسوعة "الإسكندرية: روعة وعطاء" للدكتور عبد الفتاح أبو غنيمة، ود. حسين الشيخ واللواء حازم أبو شليب.

وهذه الأعمال الجادة امتداد لسجل طويل من الكتابات الجليلة عن الإسكندرية ـ قديما وحديثا ـ تشتمل على مئات العناوين، منها من نتاج المرحلة الحديثة وحدها دراسة د. جمال الدين الشيال عن "أعلام

الإسكندرية في العصور الإسلامية"، وكتاب نقولا يوسف عن "أعلام الإسكندرية". وللدكتور السيد عبد العزيز سالم مجلد شامل عن تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، كما صدرت لأساتذة قسم التاريخ بآداب الإسكندرية موسوعة مهمة عن تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور، يضاف إليها كتاب المرحوم يوسف فهمي الجزايرلي عن أسماء شوارع الإسكندرية، ودراسات د. درويش النخيلي ومحمد محمود زيتون ود. محمد صبحي عبد الحكيم، ود. فتحي أبو عيانة، وكلها أعمال أكاديمية من الطراز الأول، ينبغي أن يُعاد طبعها لأنها جزء لا يتجزأ من القيمة الراسخة لمدينتنا العظيمة.

وقد كان ضروريا أن تأتي عن الإسكندرية "استعادة" من نوع خاص، امتزج فيها حس الشعر مع تكوينات بالغة الأسر، عميقة الدلالة، ما بين رحلات عبر مفازات التاريخ والحضارة، وجولات في صميم المكان، تسترجع صورة المدينة، من خلال مكتبتها الشامخة، التي ردَّت لها الروح بهذا الحضور الحي الفعَّال، ومن خلال مختلف مراكز الإشعاع بما في ذلك مقاهي المدينة وتجمعاتها ومشكلاتها وذكرياتها التي لا تزال تنبض بالحياة.

ولأن أحمد فضل شبلول شاعر في المقام الأول، فإن الشعر كان - بحسب التعبير السينمائي - الموسيقى التصويرية التي تصاحب فصول الكتاب، وهي تتوالى في تشكيل غير مسبوق حقًا، وتمضي بنا في كل اتجاه، لترسم صورة نابضة لعبقرية الإسكندرية العلمية والحضارية والأدبية، ومن المرجح أن أكثر فصول الكتاب حيوية، هي التي تتناول المشهد الشعري السكندري، لأن تفصيلاتها تتعدى نطاق الحقائق إلى دوائر الإحساس والمعايشة اليومية.

والحق انه يكفي لمن لا يريد أن يقرأ كتابا كاملا عن الشعر السكندري. أن يطالع هذه الصفحات التي كتبها هنا أحمد فضل شبلول ، فقد استجمع فيها برهافة رفيعة المستوى. كافة الاتجاهات والعوامل الفعالة والمؤثرات المحلية والأسماء ذات الصدى. وعجيب حقا أنه سجل كل هذا في أقل حيز من الصفحات، وما أشبهه هنا بالرسام البارع الذي يحسن تجسيم الموقف أو الشخصية، مكتفيا بالخطوط العريضة، مركزا على السمات المفصحة، متكئا على كل "ما قل ودل"

كذلك أسجل حفاوتي بالمنهج النقدي الذي سار عليه أحمد فضل شبلول، فيما كتب عن مؤلفات أقرانه ومعاصريه، متكئا على المعايشة المتواصلة والعلم الغزير، ملتزما في الوقت ذاته بمساحة عريضة من الرقي في التعبير. والابتعاد عن النقد الجارح، وكأنما يشعر بأهمية أن تتضافر جهود حملة الأقلام وهم رفقاء الأيام الصعبة، والسفينة التي تتأرجح وسط الأعاصير، وما أبأس أن يظهر وسط هذه الأقلية المضامة من ينفث سموم الفرقة والبغضاء والاستعلاء، وما أجمل أن يكون بينهم مثل أحمد فضل شبلول بكل ما أعطى وأبدع وتثقف، وحرص على أن يكون قلبه وعقله نبراسا وقصيدة وشعاعا يضيء، وإرادة لا تعرف التوقف أو الكلال.

إنني أكتفي بهذه السطور القليلة من منطلق حرصي على أن يستعيد القارئ "الإسكندرية" من خلال كتاب رشيق في مادته وأسلوبه وتدفقه، ولا عجب أن يكون هذا كله وأكثر، ماثلا في هذا العمل الذي يأتي في وقته تماما، متزامنا مع إشراقة وجه الإسكندرية الجميل.

د. محمد زكريا عناني

استعادة الإسكندرية

"الإسكندرية أخيرا .. الإسكندرية قطر الندى، نفثة السحابة البيضاء، مهبط الشعاع المغسول بماء السماء، وقلب الذكريات المبللة بالشهد والدموع".

هذا ما قاله كاتبنا الكبير نجيب محفوظ - على لسان عامر وجدي - في أول سطور رائعته "ميرامار" التي كتبت في الستينيات من القرن العشرين.

وما بين الستينيات والتسعينيات الماضية، شهدت الإسكندرية أسوأ فترات تاريخها المعاصر، وشهدت - تدريجيا - إهمالا كبيرا، بلغ أقصاه من أواخر الثمانينات، وحتى عام ١٩٩٧، لكن عندما تولى اللواء المحافظ محمد عبد السلام المحجوب مقاليد أمورها، شهدت المدينة

نهضة سريعة في جميع مرافقها، وعـادت إلى الإسـكندرية ـ تدريجيـا ـ روحها الأصيلة، فأحرزت خلال العام ٢٠٠٢ المركز الثـالث، كـأفضل مدينة على مستوى المدن العربية، ونحن نتمنى بطبيعة الحـال أن تحرز المركز الأول دائما، لتكون في الصدارة، ليس على المسـتوى العربي فحسب، ولكـن علـى المسـتوى العـالمي أيضـا، كمـا أراد لهـا مؤسسها الإسكندر الأكبر المقدوني. وقد ساعد على عودة الروح، إلى الإسـكندرية، واسـتعادة جـزء مـن ماضيـها العريـق، افتتـاح مكتبـة الإسكندرية (الجديدة) في ١٦ أكتوبر ٢٠٠٢.

لقـد وضعـت مكتبـة الإسـكندرية المدينـة في حالـة تـأهب مسـتمر لاستقبال الوفود العربية والأجنبيـة. ونحـن مازلنـا في انتظـار الكثير من المكتبة التي أعلنت انطلاق الإسكندرية من كونـها مدينـة محليـة / مصريـة / عربيـة، لأن تكـون مدينـة عالميـة، يسعى إليها الشرق والغرب، كما كان في الماضي البعيد.

لقد حافظت الإسكندرية على تراث الشعوب، ولكنها في وقت من الأوقات كانت في أشد الحاجة لمن يحافظ علـى تراثـها الفرعونـي والهلينسـتي أوالبطلمـي واليونـاني والرومـاني والقبطـي والإسـلامي والأندلسي والعربي، فضلا عـن تـراث الأجـانب الذيـن وفـدوا إليـها واستقروا فيها ـ عقب تولي محمد علي باشا مقاليد الحكم في مصر عام ١٨٠٥م ـ مـن فرنسـيين وإنجلـيز وإيطـاليين ويونـانيين، وروم‍ـانيين وصقالبة، وشوام، ومغاربة، وعرب وأتراك وإسبانيين، وغيرهم من شعوب الأرض قاطبة، وشعوب دول حوض البحر المتوسط خاصة.

إن كل هذا يعطي للحياة في الإسكندرية طعما مغايرا للحياة في أية مدينة مصرية أو متوسطية أخرى، وكما أن البحر يمنح الإسكندرية بعض أسراره، تمنحه الإسكندرية حبها وعشقها، وأسرارها الخالدة.

وقد انعكس هذا الحب المتبادل بين البحر والإسكندرية، على الحياة الثقافية والأدبية في المدينة، فشهدت ازدهارا في بعض الفترات، وانحسارا في فترات أخرى. تماما مثلما يشهد البحر حركة المد والجزر التي لا تنتهي أبدا، فهي من ناموس الكون، ورمز لديمومته وخلوده الأبدي.

ولا نريد أن نرجع أسباب الانحسار إلى "القاهرة" التي سحبت البساط من تحت قدمي الحسناء - غير المدللة - الإسكندرية، كما يحلو للبعض أن يرتاح إلى هذا الحل، وينتهي الأمر. ولكن أسباب الانحسار كثيرة، من أهمها أبناء الإسكندرية أنفسهم، كما يتضح جليا في خاتمة الكتاب "بعض مشكلات الثقافة في الإسكندرية".

وعلى سبيل المثال هناك فترات زمنية طويلة - نسبيا - لا نجد فيها شاعرا أو أديبا ظهر في الإسكندرية، فالفترة منذ العصر القبطي وحتى ما بعد الفتح الإسلامي لمصر تُعد مجهولة في تاريخ الأدب السكندري، ولم تذكر المراجع عنها شيئا، فهل كان الشعر، بل الحياة خامدة في الإسكندرية في ذلك الوقت؟.

سؤال مطروح على الباحثين والدارسين، ونحن نستعيد الإسكندرية العالمية، الإسكندرية الثقافية، من بين براثن الماضي البعيد والقريب.

ويأخذ شكل هذه الاستعادة - في هذا الكتاب - مراجعة بعض الكتب عن الإسكندرية (مثل: الإسكندرية القديمة لمحمود باشا الفلكي، والخطط التوفيقية لمدينة الإسكندرية لعلي باشا مبارك، والإسكندرية:

تاريخ ودليل لـ أ. م. فورستر الإنجليزي، ومكتبة الإسكندرية الحريق والإحياء للدكتور شعبان خليفة، والإسكندرية عبر العصور في ذاكرة مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، وغيرها). والتوقف عند بعض الأشكال المؤسساتية أو التجمعات الأدبية أو الأماكن ذات الطبيعة الثقافية في الإسكندرية (مثل: مكتبة الإسكندرية، ومركز الإسكندرية للإبداع، وهيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، وإذاعة الإسكندرية، فضلا عن بعض المقاهي التي يرتادها أدباء الإسكندرية، بعيدا عن أعين المؤسسة الثقافية الرسمية).

أيضا يشكل التوقف عند بعض الوجوه السكندرية المؤثرة في الحياة الثقافية والأدبية والعامة، جزءا من هذه الاستعادة مثل الشاعرين: عبد المنعم الأنصاري وعبد العليم القباني، ومثل التوقف أمام أسماء محافظي الإسكندرية خلال الأعوام ١٧٩٨ ـ ٢٠٠٠ وأمام شاطئ صغير من شواطئ الرواية السكندرية المعاصرة.

وعلى الرغم من الحقبة المجهولة للإسكندرية الثقافية التي ذكرناها آنفا، فإن الإسكندرية ظلت متوهجة بالشعر طوال حياتها، لذا كان لابد من الوقوف عند الإسكندرية الشاعرة من خلال بعض المقالات والكتب مثل: (شاعرات الإسكندرية، للشاعر د. فوزي خضر، وإسكندرية: الشعر والشعراء للشاعرة سناء الجبالي، ومقدمة كتاب شعرية الإسكندرية لفتحي عبد الله، فضلا عن محاولة مخلصة لرسم أحد جوانب المشهد الشعري السكندري في بعض تجلياته على امتداد الزمان).

وما من شك أن استعادة الإسكندرية القريبة والبعيدة، سواء من خلال هذا الكتاب أو الكتب الأخرى التي يمثل بعضها مصادر

الاستعادة، يعد ـ من وجهي نظري ـ مشروعا قوميا سكندريا في ظل ما يعرف باسم نظام "العولمة" التي تريد أن تفرض وجهة نظر واحدة، على العالم بأكمله، وأرجو أن يشارك معي في هذا المشروع كل صاحب قلم من مثقفي الإسكندرية وأدبائها وكتّابها، ليظل وجه الإسكندرية، مشرقا دائما وأبدا.

أحمد فضل شبلول

ميامي الإسكندرية

١٨ يناير ٢٠٠٣

استعادة الكتب

الإسكندرية القديمة

هذا كتاب انتهى من وضعه باللغة الفرنسية محمود أحمد الملقب بمحمود حمدي الفلكي، ثم محمود باشا الفلكي، في نهاية عام ١٨٦٦ م وطبع في كوبنهاجن سنة ١٨٧٢م، وفي عام ١٩٦٦ م وبمناسبة مرور مائة عام على وضعه قام حفيده محمود صالح الفلكي بترجمته إلى العربية، ونشرته الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية (هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية حاليا) والتي كان يرأسها في ذلك الوقت محافظ الإسكندرية محمد حمدي عاشور. وقام بمراجعة الترجمة د. محمد عواد حسين رئيس قسم الآثار بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية.

الكتاب في نسخته العربية يقع في ٢٤٠ صفحة، ويضم في نهايته خريطتين كبيرتين، الأولى خريطة الإسكندرية القديمة وضواحيها في عام

١٨٦٦ (بمقياس رسم ١ : ٢٠,٠٠٠) والثانية خريطة ضواحي الإسكندرية القديمة (بمقياس رسم ١ : ٢٠٠,٠٠٠).

يتناول الكتاب، أو الرسالة، كما يدل عنوانها، وصف الإسكندرية القديمة كما أنشأها مؤسسها الإسكندر الأكبر، ثم كما كانت في عهد الرومان، وأخيرا كما كانت في عصر الفلكي باشا أي فيما قبل عام ١٨٦٦، ولم يكتف المؤلف بالرجوع إلى كل ما كتبه الكتّاب السابقون من اليونان والرومان والقدماء، والعرب، وعلماء الحملة الفرنسية، عن الإسكندرية القديمة وتخطيطها وآثارها وأحوال أهلها، بل قام بنفسه، مع فريق العمل والبحث الذي اختاره بعناية شديدة، بعمل حفريات عميقة عديدة تحت شوارع وأماكن شتى من الإسكندرية في عصره، ووصل إلى نتائج هامة اكتشف بها مدينة الإسكندرية القديمة من جديد، وحدد مثلا شوارع هذه المدينة وميادينها وبيّن موقع منارها القديم والشهير، وميناءها الكبير وقصورها الملكية ومعابدها وأحيائها وضواحيها، كما حدد أماكن الملعب الرياضي والمتحف والمسرح ومجرى النيل القديم وفرعيه السابقين، والمدن التي كانت تقع عليه وعلى فرعيه ..الخ، بل اكتشف بحفرياته مدينة من قنوات الماء وأحواضه كانت تحت المدينة الآهلة بالسكان لتزودهم بالماء، وغير ذلك من الاكتشافات الأثرية.

وعلى ذلك فإن الكتاب يحوي الكثير من الدراسات الأثرية والتاريخية والهندسية والرياضية والفلكية. ومما يزيد من أهميته أن المؤلف صوّب بعض أخطاء وقع فيها علماء الحملة الفرنسية على مصر فيما يتعلق بمكان السور القديم الذي كان يحيط بالإسكندرية حين أنشأها مؤسسها الإسكندر الأكبر، كما صوّب أخطاء أخرى وقع فيها بعض المؤرخين فيما يتعلق بأماكن مدن قديمة وجهات أخرى ومجري النيل القديم.

وعلى سبيل المثال فإن مدينة كانوب وجدها المؤلف في غير الموضع الذي عينه علماء الحملة الفرنسية والذي كان مقبولا قبل ذلك.

ومن الأشياء التي لفتت نظري في هذا الكتاب:

- إن مدينة الإسكندرية تقع فوق سلسلة صغيرة من الجبال المنفصلة عن سلسلة الجبال الليبية التي وراء برج العرب، وتنقطع فجأة عند رأس أبي قير ومدينة كانوب القديمة، وهذا يفسر رأي قدماء أهالي الإسكندرية القائل بأن جزءا من مدينتهم تابع لمصر والجزء الآخر تابع لليبيا.

- إن الإسكندرية تجمع في ذاتها كل المزايا الممكنة لمدينة منيعة ومركز تجاري.

- إن أهمية الموقع الذي شغلته مدينة الإسكندرية بعد ذلك، لم تكن خافية عن الفراعنة القدماء الذين خشوا الغزو من جانب الإغريق الذين أخرجتهم المجاعة والفاقة من بلادهم، فعهدوا بحراسة هذا الموقع إلى القبائل المجاورة، وخصصوا لإقامة هذه القبائل - كنقطة مراقبة - برج راكوتيس Racotis الذي أصبح فيما بعد حيا كبيرا من أحياء الإسكندرية، هو حي راقودة (كرموز وغيط العنب حاليا).

- إن طول الاستاذ اليوناني stade ١٦٥ مترا. وطول الاستاد الروماني ١٤٧,٩٥ متر، وطول الألفي الروماني mille ١٤٧٩,٥ مترا.

- إن العرض العام لشوارع الإسكندرية القديمة (عدا الشارع الكانوبي = طريق الحرية حاليا، والشارع المقاطع له الذي هو شارع قناة السويس حاليا) ٧ أمتار، وأن معظم الشوارع الرئيسية طولها ٢٧٨ مترا.

- إن أحجار رصف معظم شوارع الإسكندرية القديمة متماثلة في كل مكان، وهي عبارة عن كتل سوداء أو رمادية سمكها نحو عشرين سنتيمترا ويتراوح طولها وعرضها بين ٣٠ و ٥٠ سم، ويبدو أن هذه الأحجار قد جلبت

من أسوان أو من الجبال المجاورة لها، وهي من نفس نوع الأحجار التي تكسو جانبا من الهرم الثالث بالجيزة، وهي متماسكة جدا وصلبة للغاية.

- إن مدينة الإسكندرية مقامة فوق مدينة أخرى من الخزانات، شوارعها هي القنوات التي تمتد تحت الأرض.

- إن رأس لوخياس تسمى حاليا منطقة السلسلة بالشاطبي، وتقع أمام مكتبة الإسكندرية الجديدة، وهناك كان يقع الميناء الملكي، وبجانبه كان يقع القصر الملكي.

- إن جزيرة فاروس، كانت فيما مضى منفصلة تماما عن أرض القارة الأفريقية، وعن مكان مدينة الإسكندرية القديمة. وعند طرف الجزيرة من ناحية الشرق توجد صخرة طولها ٢٣٠ مترا وعرضها مائتا متر، شيد فوقها منار الإسكندرية القديم، الذي يتراوح ارتفاعه بين ١٠٠ و١٢٠ مترا.

- إن الهيبتاستاد هو الطريق الذي كان يربط في الماضي مدينة الإسكندرية بجزيرة فاروس، وعن طريقه كان يجلب الماء إلى الجزيرة حين كانت مأهولة بالناس.

- إن السوما، ويعني الجثمان، جزء من قصر الملوك، (موجود حاليا عند سفح تل كوم الدكة) وهو محاط بأسوار، ويضم قبور الملوك وقبر الإسكندر. وأن بطليموس نقل جثمان الإسكندر إلى الإسكندرية، وأفرد له ضريحا بالجهة التي لا يزال موجودا بها الآن، ولكن ليس الموجود حاليا تابوته الأصلي، لأن التابوت الحالي مصنوع من الزجاج، وهو بديل عن التابوت الذهبي الذي وضع فيه بطليموس الجثمان. وأن السوما - فيما بعد - أصبح مقابر عامة لشعوب مختلفة، ذات ظروف متباينة وديانات شتى.

- إن عمود السواري (الموجود حاليا في حي كرموز) كان جزءا من مبنى السرابيوم. وأن هناك اتفاقا بين الكتاب القدامى على أن السرابيوم كان

يضم مكتبة كبيرة، كانت تحمل اسم "دار الحكمة"، وأن عمرو بن العاص أمر بحرقها (ربما لأن كان بها الكثير من الكتب الوثنية).

- إن مكتبة الإسكندرية القديمة كانت جزءا من المتحف الذي لم يكن سوى جمعية من العلماء، وعلى ذلك كانت المكتبة والأكاديمية في مبنى واحد يشغل جزءا من قصر الملوك. والمعروف أن يوليوس قيصر - في حرب الإسكندرية - قد أشعل النار في سفن الإسكندرية التي كانت لا تزال بالترسانة، وكذا في السفن التي كانت في الميناء، لأنه لم يكن لديه من الجنود العدد الكافي لحراسة تلك السفن الكثيرة. ويقال إن النيران قد التهمت جانبا من المكتبة، طبقا لما ذكره بعض الكتّاب القدماء.

- إن أهالي الإسكندرية يعتقدون أن النبي دانيال مدفون في المدينة عند سفح كوم الديماس (ربما كوم الدكة حاليا) وأن هناك ضريحا فاخرا تحت الأرض وسط مسجد يحمل اسم النبي دانيال. غير أن المؤكد أن النبي دانيال قد مات في السنوات الأولى من حكم كورش الفارسي قبل تأسيس مدينة الإسكندرية، بأكثر من ثلاثة قرون، وأنه أمضى حياته كلها تقريبا أسيرا في بابل.

- إن الإسكندرية لم تنمُ بالتدريج مثل المدن الأخرى، بل منذ البداية الأولى، نمت واتسعت بطموحها العظيم. وأنها منذ البداية قسمت إلى خمسة أحياء، هي:

١ - حي ميدان السباق، وهو القسم الشرقي الذي يرى منفصلا عن باقي المدينة بالمستنقع أو الأحراش، ويقاطع الشارع الكانوبي (وأرجح أن يكون مكانه حاليا الإبراهيمية واسبورتنج وما بعدها وحتى سيدي جابر، ولعل نادي اسبورتنج الحالي استفاد من وجود هذه الأحراش، وأسس مكانها ناديه الرياضي الكبير الذي كان حتى وقت قريب، ناديا لسباق الخيل).

٢ ـ حي البروكيوم، وهو حي القصور، ويشمل المنطقة الواقعة بين البحر وما يقع من الشارع الكانوبي بين ميدان الهيباستاد وميدان الوسط الذي يطل عليه ملعب الجمباز. (وأرجح أنه الشاطبي ومحطة الرمل والأنفوشي حاليا).

٣ ـ كوم الدكة، والمرتفعان الواقعان بين هذا التل وبين الترعة (أي ما يشغله حاليا ميدان محطة مصر، وحي محرم بك وحتى ترعة المحمودية في الجنوب).

٤ ـ حي المتحف (أرجح أنه يقع بين المنشية وشارع العطارين حاليا).

٥ ـ حي راكوتيس أو راقودة (أي كرموز وغيط العنب حاليا، وحتى تخوم بحيرة مريوط جنوبا).

ـ إن ضواحي الإسكندرية القديمة والجهات القريبة منها، هي نكروبوليس أو مدينة الأموات، وهي حاليا القباري، وهناك علاقة لغوية ذكرها المؤلف بين مدينة الأموات والقباري، حيث إن القباري بالعربية تعني ذلك الذي يدفن الموتى، أو الذي يفتح القبر لكي يدفن الموتى (أي حفار القبور)، وهي مشتقة من الفعل قبر. واسم المفعول مقبور واسم الفاعل قابر وقبار (صيغة مبالغة من اسم الفاعل على وزن فعال). وهناك المكس وهي الضاحية التي تنتهي عندها الإسكندرية القديمة، فهناك عند طرف ترعة المواصلات كانت تنتهي مدينة الإسكندرية وضاحيتها نكروبوليس.

ـ إن رأس خرسونيزوس والتي سميت بعد ذلك ماريوات والتي تبعد ١١,٥٠٠ متر عن الأسوار المحيطة بالمدينة، هي ضاحية العجمي حاليا.

ـ إن ضاحية نيكوبوليس الآهلة بالسكان هي منطقة باكوس وحتى فيكتوريا حاليا، وهي تبعد حوالي ثلاثة كيلو مترات عن المدينة القديمة.

- إن ضاحية إليوزيس في جنوب المدينة هي حـي الحضـرة وحدائـق النزهة وأنطونيادس حاليا.

- إن مسـاحة الإسـكندرية القديمـة بضواحيـها الثـلاث (نكروبوليـس ونيكوبوليس وإليوزيـس) كـانت تبلـغ نحـو ٢٥ كيلـو مترا مربعـا تقريبـا، وكـان يسكنها نحو نصف مليون نسمة. بينما كان تعداد الإسكندرية في زمن تـأليف الكتاب عام ١٨٦٦م، بمـا فيها الرمـل والقبـاري والمكـس والمسـاكن الواقعة علـى ترعة المحمودية بلـغ ربـع مليـون نسـمة. وكـانت لا تضـم سـوى سـبعة آلاف أو ثمانية آلاف نسمة في بداية عهد محمد علـي (١٨٠٥) ومائة ألـف قرب نهايته. ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن المدينة لم تكن بمنجاة من عـوادي الزمن ولا من عدوان البشر، وتحت التأثير الهدام للطغاة الذيـن رزحت البلاد تحت حكمهم تباعا، أصبحت آثارهـا وقصورهـا الفاخرة مباءة للزواحف والوحوش، وبالتدريج هبطت المدينة إلى مقام البلـدة الصغيرة، وأن عددا ضئيلا من السكان لا يزيد عن ثمانية آلاف نسمةً، هو وحده الـذي حال زمنا طويلا دون أن تبتلعها أكداس الخرائب وغـارات رمـال الصحـراء، ومع بداية القرن التاسع عشـر بـدأت المدينـة تسـتعيد شـيئا مـن عظمتـها الماضية.

- إن الإسكندرية القديمة، ورد ذكرها في القرآن الكريم طبقا لـرأي بعض العلماء باعتبارها مدينة إرم ذات العماد.

- كانت في الإسكندرية ترعة قديمة تسمى شيديا، ويشك المؤلف كثيرا في أن ترعة المحمودية الحالية تشغل نفس المكان القديم لترعة شيديا.

- إن مدينة كانوب القديمة، والتي كانت تقع على بعد خمسة عشر كيلـو مترا من مدينة الإسكندرية القديمة، وعلى بعد أربعة كيلـو مترات تقريبـا مـن جنوب غربي طرف رأس أبي قير، قد أصبحت تقريبا تحت المـاء، ولا بـد أن

هذه المدينة قد أضحت مهجورة واستحالت أطلالا من وقت بعيد جدا، لأن الكتاب العرب، وحتى أقدمهم، لم يذكروا شيئا عنها.

- إن أطلال مدينة تابوزيريس القديمة، وتسمى أبو صير، ترى الآن قرب برج العرب.

- إن مدينة ماريا التي سمي بها إقليم مريوط وبحيرة مريوط، مدينة عريقة في القدم، ذكرها هيرودوت في كتاباته، وتحدث عنها العرب، فوصفوها بأنها مدينة كبيرة تقع بالقرب من الإسكندرية، وأنها مفتاح مصر من ناحية إفريقيا. وكانت بحيرة مريوط قد جفت تقريبا إلى أن غمرها الإنجليز بالماء في سنة ١٨٠١ حين قطعوا سد أبو قير، لكي يحصروا الفرنسيين في الإسكندرية بقطع اتصالهم بقواتهم التي بالقاهرة.

***

هذه هي الإسكندرية القديمة، كما اكتشفها محمود باشا الفلكي بأعمال الحفر وسبر الغور والمسح وطرق البحث الأخرى، والكتاب عبارة عن رسالة أو بحث كتبه، ثم ألقاه، الكاتب باللغة الفرنسية، ثم ترجمه حفيده إلى العربية، وطبع عام ١٩٦٦. وما أحوجنا اليوم إلى إعادة طباعته ونشره، مرة أخرى ليكون بين أيدي الأجيال الجديدة من القراء والباحثين المهتمين بمدينة الإسكندرية، وخاصة بعد افتتاح مكتبة الإسكندرية الجديدة.

الإسكندرية تبحث عن الله
في عصرها الذهبي

قصة الإسكندرية خلال ألف عام، منذ إنشائها وحتى الفتح العربي، هو موضوع كتاب "العصر الذهبي للإسكندرية" للكاتب الإنجليزي جون مارلو، وترجمة نسيم مجلي، والصادر عن المشروع القومي للترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة (رقم ٤١٩) والواقع في أكثر من ٣٥٠ صفحة من القطع الكبير.

وهو كتاب دائري، مثل الرواية الدائرية، يبدأ ـ في مقدمته ـ بالفتح العربي عندما استسلمت مدينة الإسكندرية لعمرو بن العاص في ٢٩ سبتمبر سنة ٦٤٢م، فكتب تقريره إلى الخليفة عمر بن الخطاب قائلا: "لقد استوليت على مدينة يمكن أن نقول إنها تضم ٤٠٠٠ من القصور، ٤٠٠٠ من الحمامات، ٤٠٠ مخزن، وبها ١٢٠٠ من بائعي الخضراوات، ٤٠,٠٠٠ من اليهود دافعي الجزية".

وينتهي الكتاب أيضا بالفتح العربي للإسكندرية، "فبعد أقل من أسبوعين، انتهت هدنة الأحد عشر شهرا في ٢٩ سبتمبر سنة ٦٤٢ وفُتحتْ بوابات المدينة على مصراعيها ليدخل عمرو بن العاص وجنوده من محاربي الصحراء".

وما بين البداية والنهاية ألف عام من حياة الإسكندرية كمدينة عظمى من أعظم مدن العالم في وجه أو أكثر من وجوه عظمتها الكثيرة، فقد كانت أعظم الموانئ، ومركز التجارة العالمية، بل "مجتمع التسامح" الذي لا يرقى إلى مستواه مجتمع آخر. وقد أبقى علماؤها شعلة العلم مضيئة، ولولا جهودهم لحدث ما كان يمكن أن نسميه بالفجوة بين العالم القديم والعالم الحديث، وربما كان الأهم من ذلك - حسب المؤلف - أنهم خلقوا مناخا علميا ونقديا ترك تأثيره الفعال والعميق على تطور الفكر المسيحي.

ثم بدأت الإسكندرية بعد هذا التاريخ، في الاضمحلال التدريجي، حيث أقيمت العاصمة الجديدة لمصر، واستمرت في موقع استراتيجي على رأس الدلتا. وقد استمر هذا الاضمحلال من منتصف القرن السابع الميلادي وحتى بداية القرن التاسع عشر.

في البداية يعطي المؤلف فكرة عن الخلفية الهللينستية للإسكندرية، حيث أوجدت فتوحات الإسكندر الأكبر هيمنة إغريقية مؤقتة تعترض الطريق بين قوة روما الوليدة في الغرب، وقوة فارس العريقة في الشرق. وقد أطلقت فتوحات الإسكندر شرارة البدء لحركة تجارية عظيمة بين أوربا والشرق - عبر وادي الفرات، ومدينة تدمر السورية والجزيرة العربية، والبتراء والبصرة، ومصر عبر وادي النيل والإسكندرية التي عن طريقها استقبلت أوربا أجمل أنواع الأقمشة والبهارات، وأجمل وسائل الرفاهية الشرقية.

قبل هـذا كـان علـى الإسـكندر أن يؤسـس في صيـف ٣٣٢ ـ ٣٣١ ق.م مدينة على شواطئ جنـوب البحر المتوسط، والتي عرفت فيما بعد باسم الإسـكندرية. وهـو اختيـار فرضته الظـروف الطبيعيـة نتيجـة وجـود جزيـرة صغيرة بعيدة عن الشاطئ بحوالي ميل، تسمى فاروس، وقرية مصرية تسـمى راكوتيس على الطرف الجنوبي للتلال الضيقة المواجهة لبحيرة مريوط.

ولكنـه لم يعـش لـيرى اكتمـال المدينـة، إذ مـات في صيـف ٣٢٣ ق. م بمرض الحمى الذي أصابه في بابل حيث كان يعد لحملة بحرية للاستيلاء على جنوب الجزيرة العربية، وقبل أن يتحقـق حلمه في اتحـاد بين الشرق والغرب عن طريق الزواج المختلط، وإيجاد جنس متفوق.

ويأتي بعد الإسكندر الأكبر البطالمة الأوائل الذين سيحكمون مصر من الإسكندرية، حيث تتجه المدينة بموقعها الاستراتيجي للداخل نحو النيل، وللخارج نحو البحر الأبيض، ومن ثم كانت مركز الجاذبية لكـل من الشرق والغرب.

لكن أمور الحكم لم تكن بالسهلة ولا الهينـة، ففـور مـوت الإسـكندر بدأت الخلافات تظهر بين قواده، وبدأت أولى حروب الخلافة التي اشتعلت على مدى العشرين عاما التالية بين بطليموس وبيرديكـاس، وقد غزا بيرديكـاس مصر صيف ٣٢١ ق.م وانتهت حملته بكارثة، فقد أعـاق الفيضـان تقدمـه، وأصيبت قواته بـالعجز عـن مواصلة القتـال، فهزم في المعركـة التالية ولقـى حتفه. أعقب ذلك اجتماع في سوريا لتقسيم إمبراطورية الإسكندر، فكـانت مصر وقورينـا (القيروان حاليا) مـن نصيـب بطليمـوس الأول (سـوتر) الـذي حكـم مصر مـن الإسـكندرية لمـدة ٢٧ عامـا حتـى وقـت تنازلـه. فقد خـاض حروب الخلافة الصاخبة وبقي حيا، وهـو الوحيـد مـن كـل خلفـاء الإسـكندر الذي مات في فراشه آمنا لا يخشى من الفتن الداخليـة أو الغزو الخـارجي،

وأصبحت الإسكندرية في عهده قوة اقتصادية، وتحقق لها الرخاء المادي والأدبي، فقد كرّس بطليموس وخلفاؤه جهودهم لاستغلال ثروات مصر الطبيعية ومزايا موقع الإسكندرية الجغرافي لإثراء خزينة الدولة، وبهذا استطاعوا الاحتفاظ بجيش وأسطول قويين من أجل استمرار عائلتهم في الحكم والدفاع عن حدود مصر، وأن يجعلوا عاصمتهم الإسكندرية من المصادر الفكرية والفنية التي يزخر بها عالم الثقافة الهللينستية.

ولاشك أن رخاء مصر المرتبط بالظروف السلمية والامتيازات الممنوحة للمستوطنين الإغريق في ظل الحكم الإغريقي أدت إلى جذب الكثير من المهاجرين الإغريق إلى مصر، وانتشالهم من حالة الفقر النسبي، والحياة غير الآمنة في اليونان والجزر اليونانية، إذ سرعان ما تجمع في الإسكندرية قطاع كبير من السكان الإغريق، أصبحوا يشكلون طبقة حاكمة، ويعيشون في أجمل أحياء المدينة، ويعفون من القدر الأكبر من الضرائب. وبالإضافة إلى الإسكندرية أنشأ البطالمة مدينة إغريقية تماما في صعيد مصر هي بطليمس.

لقد قسمت الإسكندرية إلى ثلاثة أحياء: الحي الملكي (البروكيوم) والحي المصري (راقودة) والحي اليهودي. وكان اليهود يشكلون العنصر الأكبر الثاني في الإسكندرية، وخصص لهم حي خاص من المدينة، بالقرب من القصر الملكي، وأعطيت لهم امتيازات خاصة.

وقد قُدِّر عدد الذكور البالغين من اليونانيين في مصر بحوالي ١٥٠ ألفا، كان نصفهم على الأقل يسكنون الإسكندرية، وكثير منهم تعلم اللغة المصرية، وتزوجوا من فتيات مصريات. وبمرور الزمن أصبح العنصر المصري أكثر ظهورا، وازداد النفوذ المصري وأصبح التمصير هو الموضة. ولكن

على الرغم من ذلك لم يحاول الحكام أن يتعلموا اللغة المصرية، وتظل كليوباترا - آخر سلالة البطالمة - الوحيدة التي تعلمت هذه اللغة.

لقد قدر عدد سكان الإسكندرية في عهد البطالمة بثلاثمائة ألف مواطن عند نهاية حكم هذه الأسرة، ويلاحظ أن لفظة مواطن تعني الأحرار من اليونانيين بصفة مؤكدة، ومن اليهود احتمالا. ومن المرجح استبعاد المصريين. غير أن إجمالي عدد السكان بعامة في ذلك الوقت كان في حدود نصف مليون.

ومن ناحية أخرى كان على الحكام أن يتقربوا من الشعب المصري ويعتنقوا أفكاره ومعتقداته لتسوس لهم أمور الحكم، فتوارثوا العادة القديمة للفراعنة الذين كانوا يتزوجون من أخواتهم، كوسيلة للحفاظ على نقاء الدم الملكي المتوارث في أبناء العائلة الملكية، ومن هنا استوحى بطليموس الثاني لقبه فيلادلفوس، أي المحب لأخته. وعموما لم يكن مثل هذا الزواج مبعثه الحب، ولكن الباعث دائما هو السياسة، فبطليموس فيلادلفوس لم ينجب أطفالا، وقنعت أخته وزوجته أرسينوي الثانية بالسيطرة على العرش تاركة الفراش الملكي لسلسلة من النساء ذوات السمعة السيئة. وعلى الرغم من ذلك فعند وفاة أرسينوي سنة ٢٦٩ ق. م أراد زوجها بطليموس فيلادلفوس الذي مات بعدها بعدة أعوام (سنة ٢٤٥ ق.م) تكريمها فبنى لها المعابد في الإسكندرية وفي غيرها من المدن، وأمر بأن تكون واحدة من الربات، وأطلق اسمها على إقليم جديد هو (آرسينوي نوم) الذي يعرف الآن بالفيوم في صعيد مصر.

ويبدو أن بطليموس فيلادلفوس كان رجلا مثقفا ومحبا للترف والرفاهية، فكان يألف فنون السلام ويستريح لها أكثر من فنون الحرب، لذا أكمل ما بدأه والده في تجميل الإسكندرية، وتأسيس متحفها والمكتبة وإعلاء

سمعتها كمركز للفكر والثقافة الهللينستية. ولكن ما يؤخذ عليه إدمانه الشديد للمتع الحسية.

لقد أصبحت الإسكندرية مدينة بطلمية، أكثر منها مصرية. وفي وقت من الأوقات تأغرق كل شيء في المدينة. وصار سيرابيس المعبود المركّب الذي لم يتقبله المصريون، على الرغم من احتفاظه بصفات أوزيريس وإيزيس (مع صفات زيوس كبير الآلهة عند الإغريق). وصار معبد السيرابيوم في الحي المصري هو المعبد الرئيسي الذي أقيم من أجل عبادة سيرابيس، وأنشئت فيه المكتبة الابنة التي هي أشبه بملحق للمكتبة الأم المقامة في البروكيوم أو الحي الملكي. كما شيد المنار أو فنار الإسكندرية أو الفاروس بارتفاع ٣٥٠ قدما عن سطح البحر، وبمصعد هيدروليكي لرفع أخشاب الوقود المستخدمة في الإضاءة.

وحول هذا المنار ومراياه نُسجتْ أساطير عدة، منها إن هذه المرايا لم تكن سوى تليسكوبات تكشف السفن على أبعاد لا تُرى بالعين المجردة، وقيل إنها عبارة عن زجاجات مشتعلة قادرة على تدمير سفن العدو عند اقترابها من الإسكندرية، ويعلق المؤلف بقوله: "الافتراض الأول ممكن، أما الأخير فهو بعيد الاحتمال".

أما عن التعليم في ذلك الوقت، فلم تكن هناك تفرقة عملية بين التعليم والفن، فرجل العلم لكي يتسنى له توصيل ما يعرفه بلغة مفهومة، لابد أن يكون فنانا. وكانت هناك أربعة مدارس للفلسفة: أكاديمية أفلاطون، وليكيوم أرسطو، ورواق زينو، ومدرسة أبيقور.

وكان طلاب العلم في العالم ينجذبون نحو المدن الغنية أو الأكثر ثراء، وبالأخص الإسكندرية، في ذلك الوقت، لتوفر الرعاية، وجماهير المستمعين، ووسائل الراحة، والفرص التي كانت تنتظرهم هناك، بالمقارنة

بالظروف المعيشية الضيقة في مدينة إقليمية مثل أثينا التي مزقتها الحرب وأقعدها الفقر.

وكان ديمتريوس الفاليري من أبرز فلاسفة الإغريق، وأحد الفلاسفة المشائين (الأرسطيين) وقد هرب إلى الإسكندرية، وأصبح أمين سر بطليموس (سوتر) ومسئولا عن تأسيس المتحف والمكتبة، وكان تأثيره حاسما في تحديد شكل ووظيفة هذه المؤسسات التعليمية التي أصبحت قلب الحياة الفكرية للإسكندرية في ذلك الوقت.

كان من أهم المنجزات الرئيسية التي حققتها مكتبة الإسكندرية في المائة سنة الأولى، جمع أعمال هومير (هوميروس) وتحقيقها، وتحريرها، وتصحيحها، وحفظها للأجيال القادمة. وقد جعل زينودوتس هذه المهمة شغل حياته، وقد زيدت أعماله واكتملت على يد خلفائه، من أمثال: أريستوفانيس البيزنطي، وأريسطارخوس الصامي.

لقد حافظت مكتبة الإسكندرية على الأدب الكلاسيكي عموما، وقامت بمهمة الجمع والتحقيق والحفظ. ويبدو أن مبنى المكتبة الأصلية قد هدم بفعل الحرائق في زمن يوليوس قيصر، ولكن ظل المتحف في موقعه الأصلي في زمن استرابو الذي سجله في كتابه "الجغرافيا" الذي وضعه حوالي ٢٥ ق.م، وذكر فيه مبنى المتحف، ولم يذكر المكتبة التي يحتمل أن تكون قد دمرت خلال الحرب الأهلية.

وعلى الرغم من ظهور علماء وأدباء كثر في تلك الحقبة أمثال: كاليماخوس، وثيوكريتوس (صاحب الأناشيد الرعوية)، وأبولونيوس الروديسي، وأراتوس، وليكفرون، ورياني، وفيليتاس القوصي، وهرمزيان، وغيرهم، فإن أعظم علماء الإسكندرية جميعا وأكثرهم شمولا هو

إيراتوسطين القوريني الذي سيطر على العالمين: عالم المتحف، وعالم المكتبة.

وقد قامت معارك أدبية بين كل من كليماخوس وأبولونيوس، وكان الملمح البارز لهذه المعارك هو أن كاليماخوس الرجل العجوز والزعيم الكبير يُعلن أنه المبتكر المجدِّد في حين يقف أبولونيوس الشاب كبطل للمحافظين. وكانت نتيجة هذه المعركة رحيل أبولونيوس إلى ردوس.

ويورد المؤلف بعض الإبجرامات التي طورها الشعراء السكندريون، فلم يخترع هؤلاء الشعراء فن الإبيجرامة، ولكن شأنها شأن المرثية، فقد نهضوا بتطويرها نحو الشكل الذي يلائمهم أكثر. ومن هذه الإبجرامات: إلى تمثال الملكة برينيسي، إلى تيمون، مطاردة الحب، إلى هيراقليطس، إلى ميكيليوس، فضلا عن بعض الإبجرامات الشهوانية.

في إبجرامة "إلى تيمون" يقول الشاعر:

تيمون، والآن قد مت فهل الحياة أكثر وحشة أم الموت؟

أتوسل إليك أن تخبرني أيها الموت لأن المزيد منك موفور هنا.

ويذكر المؤلف أن ليكفرون (المولود حوالي ٣٢٥ ق.م في منطقة البقاع بسوريا ثم جاء إلى الإسكندرية) ألَّف مع ستة شعراء آخرين، لا نعرف أعمالهم الآن، جماعة الثريا (أو الحمام) وهي عبارة عن جمعية ممن يتبادلون الإعجاب بالشعر الذي ازدهر في عهد فيلادلفوس، ولكننا نعرف - من خلال كتب سابقة عن الإسكندرية القديمة، ومن خلال كتاب "أعلام الإسكندرية" لنيقولا يوسف على سبيل المثال - أن الذي كوَّن هذه الجماعة هو الشاعر كليماخوس، وليس الشاعر ليكفرون !!.

وتحت عنوان (لكن لشعر الإسكندرية وجه آخر أرقى وأنبل) يقول المؤلف: "إن لشعراء الإسكندرية دينا كبيرا في أعناقنا لاكتشافهم منابع

الشعر الموجودة في جوانب الحياة اليومية - في الأفكار والأفعال ومعاناة الناس البسطاء ..". ثم يضيف: "قدم شعراء الإسكندرية خدمة جليلة للشعر عن طريق دراستهم لأسرار اللغة والوزن. وقد ولد الشعر اللاتيني نتيجة لجهدهم، فقد استعار كبار الشعراء اللاتين أسلوبهم، كما استعاروا أساطيرهم وموضوعاتهم السكندرية التي تعني الانهماك الغيور بمسألة الشكل على نحو استثنائي ..".

وبالإضافة إلى الشعر كان هناك فنون الموسيقى والرقص، وأصبح الناي هو آلة العزف المفضلة في الموسيقى، واشتهرت الإسكندرية ببراعة عازفي الناي من الرجال والنساء.

لقد تفوق السكندريون في الأشياء الصغيرة، بدقة الملاحظة والوصف، وفي المشغولات اليدوية الدقيقة، وعموما فإنهم لم يوفقوا كثيرا في استخدام الحجر (أي النحت وصناعة التماثيل، وبناء الأهرامات)، لكنهم برعوا في تشكيل المعادن، وبصفة خاصة في صك عملاتهم المعدنية، كما برعوا في تقطيع الأحجار الكريمة والنقش عليها.

لقد أخذت الإسكندرية في التحول من الخصوصية اليونانية إلى ثقافة ذات صبغة عالمية أكبر.

أما في مجال الدراسات الرياضية فقد ظهر في الإسكندرية العالم إقليدس، التي ازدهرت مدرسته على مدى سبعمائة عام، ومعظم الكشوف التي تمت في ميادين الفلك والميكانيكا كانت مشتقة مما أنجزته هذه المدرسة من دراسات.

وبالإضافة إلى إقليدس كان هناك هيرو السكندري، وتسيبوس الذي يقال إنه اخترع الساعة المائية التي تقيس الوقت قياسا دقيقا عن طريق التحكم

في إطلاق الماء، وكان من اختراعه، أو حيله أيضا طائر آلي يغني، وغيرها من الحيل والاختراعات.

وفي مجال الطب كان هناك أبو الطب الإغريقي، وللطب الحديث بدرجة ما، أبوقراط، الذي قدم تعريفه لواجبات الطبيب في ميثاق أبي قراط. كما تطور علم التشريح في مدرسة الطب بالإسكندرية، وفي هذا المجال فإن هذا العلم كان يدين للمصريين دينا كبيرا. فضلا عن التقدم الكبير الذي تحقق في صناعة العقاقير ومواد التجميل والعطور والمراهم، فصارت كلها صناعة اسكندرانية مهمة.

وأصبحت السلع المصنعة في الإسكندرية تصدر إلى جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط، من أجل أغراض الرفاهية والترف، وأيضا لأغراض صحية ودينية.

لقد استمرت مدرسة الإسكندرية الطبية في ازدهار مع بعض التقلبات حتى العصر المسيحي في القرن الثاني الميلادي، حيث أخرجت واحدا من أعظم الأسماء في عالم الطب هو جالينوس الذي كتب خمسة عشر كتابا في التشريح، تشكل أهم ما تبقى من الطب القديم، خصوصا في تشريح الأوردة والشرايين والأعصاب، وكان كتابه المسمى "فن الطب" يعتبر الدليل العلاجي لعصره.

وتحت عنوان "غاية الحياة" يتناول المؤلف حياة الإغريق والمصريين في الإسكندرية والعلاقة بينهم، حيث نشأت في الإسكندرية جماعة إغريقية متحذلقة تتكلم اليونانية، ولكنها لم تكن إغريقية أو مصرية، بل كانت سكندرية على وجه التحديد. ويبدو أن هذا الخليط لم يكن له وجود خارج المدينة. فكان لهم ثيابهم الخاصة، ومساكنهم الخاصة التي كانت عبارة عن فيلات، ولهم أطعمتهم وأنبذتهم. وقد تم تقدير الفول المصري

باعتباره مفيدا جدا للمعدة وغنيا بالمواد المغذية. واعتبر يوم العطلة يوما مقدسا. كما نظموا دورة الألعاب الأولمبية التي تقام كل خمس سنوات.

ولم يكن في الإسكندرية تعارض بين المقدس والدنيوي، وبين ممارسة الروحيات وأسباب الطرب والمتع المادية. وآمن الرواقيون من الناحية النظرية بوجود دولة عالمية كل الناس فيها سواسية.

ولكن لم تترك الدولة الفارسية أو الرومانية، الأمور على ما هي عليه، فكانت تشن غاراتها الدائمة على مصر، رغبة في الاستحواذ على الثراء المصري، والعظمة السكندرية. ويحتوي الكتاب على أهم الوقائع الحربية أو الخطط العسكرية أثناء حكم البطالمة لمصر، وكيف كانت تدار الأمور في القصور، وأهم الخيانات والخدع والاضطرابات والفتن، وأحداث القتل السياسي والخفايا التي تؤدي إلى انقلابات مستمرة في البلاط، وموقف السكندريين من حكامهم، لدرجة وصفها المؤلف بأن أهل الإسكندرية هم الذين يصنعون ملوكهم، وأنهم مغرمون بذلك. وقد خلصت بعض التقارير المكتوبة عن الفتن والاضطرابات إلى أن "هذه البلاد قد تصبح في غاية القوة لو كان لديها السادة الذين يستحقونها".

أحيانا كانت مصر تقف موقف الحياد بين الرومان والفرس في صراعهم الطويل على مناطق النفوذ، ولكن في أكثر الأحيان كان يزج بمصر في دوائر الصراع. وكان الملوك المصريون يضطرون إلى دخول حلبة الصراع للمحافظة على الأراضي المصرية من أي أطماع خارجية، وكانوا يفشلون في كثير من الأحيان. فالبطالمة قد أصبحوا - في وقت من الأوقات - خاضعين لروما تجاريا بقدر ما كانوا خاضعين لها سياسيا. وقد لعب اليهود دورا كبيرا في هذه الأمور.

وإذا كان التاريخ يتحدث عن وجود ضريح الإسكندر الأكبر في الصوما (منطقة كوم الدكة الحالية)، فإن المؤلف يذكر أنه في عام ٩٠ ق. م تقريبا نشبت في الإسكندرية ثورة مضادة للإسكندر الصغير (ابن كليوباترا الثالثة) الذي فر إلى سورية، وعاد في العام التالي مع جنود مرتزقة واستولى على المدينة من جديد، ورغبة في تعويض ما أنفقه، قام بعملية نهب وسلب ضريح سميه العظيم في الصوما، واستولى على نعشه الذهبي، ووضع مكانه نعشا زجاجيا. وإذا كان هذا الاعتراف موجودا بكتاب ألفه صاحبه، ونشر في لندن عام ١٩٧١، فلماذا كل هذه الضجة الحالية حول احتمال وجود كنز الإسكندر الأكبر، حيث يعتقد البعض أن كنز الإسكندر الذي يبحثون عنه يتمثل في وجود عربة حربية مصنوعة من الذهب الخالص، ولو كان هذا صحيحا لاستولى الإسكندر الصغير على تلك العربة، قبل أن يستولي على نعش جده الفاتح الكبير.

وتحت عنوان "فتي لا مثيل له" يأتي الفصل التاسع من الكتاب، ليتحدث عن يوليوس قيصر، وعلاقته بكليوباترا (السادسة) التي كانت نغمة صوتها تشبه آلة موسيقية متعددة الأوتار. لقد أصبحت كليوباترا عشيقة لقيصر، بعد أن دخلت إليه سرا ملفوفة في ملاءة سرير، لتضمن خلو الإسكندرية لحكمها، بعد صراعات طويلة وعنيفة مع ورثة الحكم من عائلتها. لقد أصبحت كليوباترا تتفاخر بعلاقتها بقيصر، وأنجبت منه طفلها قيصرون.

وبعد فصل مليئ بالدسائس والصراعات والحروب، يغتال قيصر في ١٥ مارس عام ٤٤ ق.م. ويبزغ نجم مارك أنطونيو خليفته في روما الذي تزوج من أخت أوكتافيوس أغسطس، وعندما فكر أنطونيو في محاربة مصر، والاستيلاء عليها، قررت كليوباترا أن تحارب أنطونيو بالأسلحة التي برعت

في استخدامها من أجل إنقاذ نفسها وإنقاذ الإسكندرية، بل ومصر كلها من المصير الذي حاق بحكام ومدن وممالك آسيا. فذهبت إلى أنطونيو وكأنها فينوس، لتعود بعد بضعة أيام وقد أنجزت مهمتها بنجاح، وصار بإمكانها أن تقول: "لقد أتيت ورأيت وانتصرت". ونجحت في أن يستسلم لها أنطونيو استسلاما أزعجها (لقد انزعجت من استسلامه الكامل للمتعة واللهو، فنسي عمله).

وتشهد السنتان ٣٤ـ٣٣ ق.م وصول أنطونيو وكليوباترا إلى قمة النشوة والسرور وإلى نقطة اللاعودة في طريق انحدارهما نحو الدمار. ووسط هذه النشوة والسرور يعلن أنطونيو أن كليوباترا أصبحت ملكة مصر، وقبرص، وسوريا الواطئة، وسماها "ملكة الملكات"، وأن ابنها قيصرون هو شريكها ـ وسماه "الملك العظيم" ـ على أرمينيا وكل الأراضي التي بين الفرات والهند، (هل هو يريد ـ عن طريق كليوباترا وابنها ـ تحقيق حلم الإسكندر الكبير؟) ولكن يوقظ أنطونيو بفعلته هذه مشاعر الغيرة القديمة ضد الشرق عموما، وضد الإسكندرية على وجه الخصوص. وهي غيرة امتزجت بالازدراء لأنطونيو بسبب فشله العسكري ضد أعداء روما الحقيقيين، ومن هنا ينتفض أوكتافيوس أغسطس، وينفصل أنطونيو عن أخته، وتعامل كليوباترا أنطونيو كخادم في الأماكن العامة، وتزود الجنود الرومان بشارات مصرية، وتستولي على الكنوز الفنية من مدن آسيا وترسلها إلى الإسكندرية، بما فيها مكتبة برجامون العظيمة التي تحتوي على مائتي ألف من لفائف المخطوطات التي تم شحنها في السفن إلى الإسكندرية لتعوض الخسائر التي نتجت عن حرق المكتبة أثناء حرب الإسكندرية في عهد قيصر.

وتشتعل نار المعارك بين أنطونيو وأوكتافيوس، وبالنسبة لمواطني روما فإنه في حالة انتصار أنطونيو على أوكتافيوس فإن الإسكندرية سوف تحتل مكان روما كعاصمة للعالم الروماني، ومن هنا بدأ أوكتافيوس الإعداد لحملته على مصر، ويعلن الحرب رسميا ضد كليوباترا، ولكن تهرب كليوباترا من معركة أكتيوم ومعها الأسطول المصري كله، ليصبح موقفها موضع جدال، هل تم ذلك بسبب الخوف؟ أم محاولة لإنقاذ الأسطول المصري من الدمار في معركة تدرك هي مقدما أنها خاسرة؟ أم ..؟ وينتهي الموقف بانتحار كليوباترا وأنطونيو، وهو موقف أفاض فيه المؤلف كثيرا. وتنجو الإسكندرية من دمار محقق، لتتميز منذ تلك اللحظة بفلاسفتها العظام، ولكن في الوقت نفسه تصبح ولاية رومانية وحتى الفتح العربي.

ولكن لم ينته الكتاب بعد، فهناك حكم روما الإمبريالية، حيث أكد أوكتافيوس على امتيازات المستعمرة اليهودية بالإسكندرية، بل أنعم عليهم بحق إدارة أمورهم من خلال مجلس شيوخ، فهو قد حفظ لهم الجميل بسبب المساعدة التي تلقاها منهم هو ويوليوس قيصر من قبل.

وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت الإسكندرية، بل مصر أيضا، في المائة سنة الأولى للاحتلال الروماني تنعم بالسلام والرخاء، ولكن كان يعكر صفو هذا السلام بعض محاولات الغزو التي تأتي من الجنوب أو بسبب الثورات التي كان يقوم بها المزارعون المصريون، وأيضا من جراء الحرب الأهلية الموسمية بين اليونانيين واليهود.

ولكن على أية حال فقد صارت مصر ولاية تابعة لروما، وحرم أهل الإسكندرية تبعا لهذا من الامتيازات التي كانوا ينعمون بها كمواطني عاصمة مملكة مستقلة، وصاروا رعايا إمبراطورية أجنبية.

وعلى الرغم من ذلك ففي روما اشتد الرواج لكل شيء يأتي من الإسكندرية، كما اشتد الإعجاب بشعراء الإسكندرية الراحلين، وتبارى الناس في تقليدهم، وصار الأحياء من أساتذة المتحف بالإسكندرية من علماء النحو والفلاسفة، يلقون الترحيب وحسن الاستقبال في روما. لقد كانت الإسكندرية بالنسبة لكبار رجال روما مثل لندن وباريس بالنسبة لأقطاب الصناعة والتجارة الأمريكيين الآن.

كانت الإسكندرية زاهية، متحضرة، حافلة بالدهاء والعلم، وبعد هذا الوصف، يضيف المؤلف قائلا: "لكنها في الأساس منحلة خلقيا ومحتقرة، فأحدث موضات الأزياء التي يرتديها الرومان، وأحدث الألعاب التي يلعبونها كانت مستوردة من الإسكندرية" !!.

وبالإضافة إلى ما سبق يورد المؤلف رأي الإمبراطور هادريان، عندما زار الإسكندرية للمرة الثانية في صحبة الإمبراطورة سابينا، حيث قال في خطاب لصديق له: "إنهم جنس من البشر ميالون إلى إثارة الفتن، تنطوي نفوسهم على الحقد والضغينة والغرور، وكمجتمع فإنهم أثرياء ومترفون، ليس بينهم كسالى، بعضهم يصنع الزجاج، والبعض يصنع الورق، والبعض الآخر ينسج الكتان، هناك عمل للأعرج والأعمى، حتى الذين فقدوا أذرعهم، لا يعيشون عاطلين، وأتمنى لهؤلاء الناس أن يحسنوا التصرف، لقد منحتهم كل شيء، أعدت لهم كل امتيازاتهم القديمة، وجعلتهم يشكرون بإضافة امتيازات جديدة".

ويورد المؤلف رأي آخر في أهل الإسكندرية، إنه رأي فلورس فوسيبكوس الذي يرى أن "أهل الإسكندرية يتصفون بالتفاخر والغرور والحقد والانحلال، بارعون في تأليف الأغاني والإيبجراما للسخرية من الحكام، مولعون بالإشاعات والتنبؤات".

وعلى الرغم من كل شيء. وعلى الرغم من تعدد الحكام والإمبراطوريات الرومانية. فقد استمر رخاء الإسكندرية دون أن يلحق به ضرر، في عهد كل من: كاليجولا، ونيرون، وفاسباسيان، وهادريان، وأنطونينوس، وبيرتيناكس، وأوريليان، وبروبس، ودقلديانوس (الذي بنى له أهل الإسكندرية عمودا تكريما له في وسط معبد السيرابيوم، وأثبت هذا العمود قدرته على الاستمرار أكثر من أي أثر آخر بني في الإسكندرية القديمة، وهو الوحيد الذي يقف منتصبا حتى الآن، هو عمود بومبي، ويعرفه أهل الإسكندرية حاليا باسم عمود السواري).

وفي فصل آخر يعد من أهم فصول الكتاب، يتحدث المؤلف عن الإسكندرية المدينة الرومانية من ناحية العمارة، حيث تعرضت عمارة الإسكندرية إلى عملية تغير مستمر طوال الست مائة عام للحكم الروماني، بدرجة تتفوق كثيرا على فترة الثلاثمائة عام التي عاشتها الإسكندرية تحت حكم البطالمة.

ومع دخول المسيحية في مصر والإسكندرية، ولهذا قصته الطويلة في الكتاب أيضا (وخاصة في الفصل الذي عنوانه "البحث عن الله")، تصبح الإسكندرية من الناحية المعمارية وكذلك الاجتماعية والسياسية من إبداع المسيحية، وهو ما وجده العرب المسلمون عند فتح المدينة. وهنا يطلق المؤلف عبارته الأخيرة في هذا الفصل فيقول: "لقد فاز العرب الغزاة بجائزة ثمينة"، ويقصد بها الإسكندرية.

في "البحث عن الله" لعب الفلاسفة دورا صغيرا نسبيا في تخمر الفكر الديني، حيث كانت الإسكندرية بسكانها الكوزموبوليتان، وبموقعها الجغرافي الفريد مصفاة للأفكار، سواء داخل المتحف، ودار الحكمة، أو خارجهما.

وقد ظهرت في الإسكندرية قبل اعتناق المسيحية: الغنوصية (المعرفة الموصلة إلى الله التي يمكن تحقيقها فقط عن طريق عملية تعلم طويلة المدى، مقارنة بالاعتقاد في أن ذلك يمكن تحقيقه بنوع من الإلهام الفوري) والرواقية، والأبيقورية، بالإضافة إلى كتب الهرامسة.

ومن أهم الفلاسفة الذين ظهروا في تلك الحقبة، أفلوطين المولود في مدينة (ليكوبوليس) أسيوط الحالية حوالي ٢٠٥م ودرس الفلسفة الأفلاطونية في الإسكندرية، وكليمندس، وأوريجينوس، ثم الفيلسوفة هيباتيا، ابنة العالم الرياضي ثيون.

ووسط هذه المدارس الفلسفية المتعددة في فكرها، انعزل اليهود في جيتو فكري وروحاني.

وقد حدث خلال هذه الحقب الزمانية صدام كبير بين الكنيسة والدولة.

لقد جاءت المسيحية إلى الإسكندرية عن طريق القديس مرقس الإنجيلي حوالي عام ٤٠م. ويرجح المؤلف أن معظم الذين تحولوا إلى المسيحية في سنواتها الأولى بالإسكندرية وغيرها من الأماكن كانوا من اليهود.

غير أن كنيسة الإسكندرية كانت تمثل حركة يقودها أقلية تتعرض بين وقت وآخر للاضطهاد، وهي تكافح من أجل البقاء. إلى أن أعلن الإمبراطور قسطنطين قبوله للديانة المسيحية، كديانة رسمية للإمبراطورية. لتبدأ سلسلة جديدة من الجدال والنقاش حول طبيعة المسيح، حيث ترى وجهة النظر الشرقية أن الله روح خالص، وأن المسيح أحد الجوانب الروحية لله، وليس شخصا منفصلا عنه. وهناك من كان يؤكد أن المسيح هو الله الكامل، وأنه إنسان كامل من حيث جانبه الإنساني، وأن العذراء مريم هي أمه بكل تأكيد.

وتتنافس المدن الأربع الكبرى حول مثل هذه الآراء، وهي: روما والإسكندرية وأنطاكية والقسطنطينية.

وتتخذ الصراعات حول طبيعة المسيح أبعادا متعددة، ويصل الأمر إلى حد النفي والقتل والاغتيال، والاضطرابات. ويستثمر الوثنيون بعض هذه الصراعات ليعلنوا عداءهم للمسيحيين، خاصة بعد موت الإمبراطور قسطنطين، وتنصيب جوليان - الذي كان وثنيا وعدوا صريحا للإيمان المسيحي - إمبراطورا جديدا، ليبدأ فصل جديد من فصول الكتاب بعنوان "كهنة صاخبون" يتم خلاله تدمير جميع المعابد الوثنية وخاصة معبد السيرابيوم، وتمثال سيرابيس، وبسقوط السيرابيوم تنهار تماما الوثنية في الإسكندرية.

ويتوقف المؤلف ليتأمل المأزق الذي واجه الوثني السكندري المتعلم خلال السنوات الثلاثمائة التي مرت بين اعتناق الإمبراطورية للدين المسيحي وبين الفتح العربي.

ومع تراجع الغرب، تستيقظ العداوة النائمة بين الإسكندرية والقسطنطينية، وتطغى على السطح. وينجح الفرس في الوصول إلى مصر، ويحكمون مصر والإسكندرية منذ عام ٦١٨م، ولمدة قصيرة للغاية، في حدود عشر سنوات تقريبا، ويعترف المؤلف بأنه لا يعرف سوى القليل عن هذه الفترة من تاريخ الإسكندرية.

وينجح هرقل - بعد ذلك - في الانتصار على الفرس ويستعيد بيت المقدس من بين أيديهم، مما أجبر الفرس على الانسحاب من مصر وآسيا الصغرى.

وتظل مصر تحت حكم الرومان إلى أن ينطلق عمرو بن العاص - عام ٦٣٩م - على رأس جيش صغير قوامه (٤٠٠٠) مقاتل عبر صحراء سيناء بأوامر من الخليفة عمر بن الخطاب، رغم تردده نسبيا، لغزو مصر.

وبعد بعض المعارك الصغيرة، وبعد سقوط حصن بابليون في أيدي عمرو بن العاص ومن معه، يستسلم الحاكم المصري - المعين من روما - المقوقس (قورش) لشروط السلام مع العرب المسلمين، ويوقع معاهدة سلام في شهر نوفمبر عام ٦٤١، حيث لم يوجد أي مظهر من مظاهر المقاومة، وقام قورش نفسه بتسليم حمولة القسط الأول من الجزية للقائد العربي الفاتح.

وفي يوم ١٧ سبتمبر من عام ٦٤٢ م تأخذ آخر السفن الإمبراطورية تحت قيادة ثيودور (الذي خلف قورش كنائب للإمبراطور الروماني في مصر)، مسارها ببطء إلى خارج الميناء الغربي للإسكندرية، ثم تفرد أشرعتها لتحتضن رياح ايتسيان المنعشة التي حملتها إلى الشمال الشرقي نحو قبرص، بعد مرورها بجزيرة فاروس وبالفنار.

وتفتح بوابات الإسكندرية على مصراعيها، ليدخل عمرو بن العاص وجنوده في ٢٩ سبتمبر سنة ٦٤٢م. لتنتهي فترة ألف عام من حياة الإسكندرية كمدينة عظمى، ولتأخذ أهمية الإسكندرية في الاضمحلال التدريجي، حيث تقام العاصمة الجديدة لمصر، وتستمر في موقع استراتيجي على رأس الدلتا.

ومع ذلك فالكتاب لم ينته بعد، فهناك ملحقان وبعض الخرائط السكندرية في نهايته، الملحق الأول بعنوان "الموت على الطريقة السكندرية، حيث يحدد المؤلف أماكن دفن الموتى، وشواهد قبور البطالمة في الجبانة الشرقية (في الشاطبي حاليا)، والجبانة الغربية (في القباري حاليا)، فضلا عن

جبانة المصريين في راكوتيس (كرموز حاليا). بالإضافة إلى مجمع كوم الشقافة.

أما الملحق الثاني فجاء بعنوان "طبوغرافية الإسكندرية البطلمية وعلاقتها بالمدينة الحديثة" حيث يتحدث المؤلف عن المواقع البطلمية في الإسكندرية وما يقابلها حاليا في المدينة، فالمنارة يوجد مكانها الآن قلعة قايتباي، ومعبد قيصر تحتله محطة ترام الرمل الآن، ومسرح ديونيس مكانه الحالي إستاد الإسكندرية. وثمة شك حول موقع المتحف والمكتبة، والراجح أنهما كانا قريبين من بعضهما البعض، أو كانا متجاورين، وكانا يقعان بالتأكيد في حي البروكيوم (الحي الملكي). وضريح الإسكندر يوجد فوق التل الطبيعي المعروف الآن باسم كوم الدكة.

وهكذا تنتهي رحلتنا مع كتاب من أهم الكتب عن الإسكندرية في عصرها الذهبي خلال الألف عام السابقة على الفتح العربي والإسلامي لمصر.

الخطط التوفيقية لمدينة الإسكندرية

صدرت الطبعة الأولى من كِتاب "الخطط التوفيقية لمدينة الإسكندرية" بقلم علي باشا مبارك عام ١٨٨٩م، وبمناسبة مرور مئة عام على تأليفه وطباعته قامت مكتبة الآداب بالقاهرة بتصويره وتقديمه للقارئ العربي عام ١٩٨٩ ـ كطبعة جديدة مصورة، (أي بالحروف والأبناط القديمة نفسها التي ظهرت بها في عام ١٨٨٩).

ولم يقصد مؤلفه علي باشا مبارك عقد مقارنة بين الماضي والحاضر. كما نفعل الآن. ولكن طريقة السرد والتأليف تجعلك تقف وحدك على الفارق بين الإسكندرية في العصر البطلمي (أي العصر الذي حكم فيه البطالسة المنتسبون إلى بطليموس الأول مصر، وجعلوا من الإسكندرية عاصمة لها، بل عاصمة ثقافية للشرق كله قبل الميلاد) والإسكندرية منذ الفتح الإسلامي لمصر بقيادة عمرو بن العاص واختيار الفسطاط لتكون عاصمة لمصر حتى دخول الفاطميين وبناء القاهرة واتخاذها عاصمة لمصر.

إن اختيار مدينة غير الإسكندرية عاصمة لمصر جعل دور الإسكندرية يتراجع شيئا فشيئا حتى طواها النسيان، وامتدت لها يد الإهمال، وأصبحت مرتعا للجهل والفقر والمرض، فهجرها معظم أهلها وأخذ البحر يضربها بقوة علها تُفيق من سباتها وغفوتها، إلى أن اعتلى عرش مصر محمد علي باشا عام ١٨٠٥م فبدأ يتجه بأنظاره إلى هذه المدينة المهملة التي ستلعب دورا كبيرا في اتصاله بالغرب (فرنسا على وجه الخصوص).

لقد أصبحت الإسكندرية البوابة الكبرى التي ستعبر منها بعد ذلك التجارة الغربية والأسلحة إلى جانب الثقافة والحضارة الغربية، ويكفي أن نعلم أن هذه المدينة لم يكن بها سوى عدد قليل من الأجانب قبل عهد محمد علي، ثم وصل عددهم بعد ذلك إلى ٤٧,٣١٦ نفسا في عام ١٨٧٢م. كما أن عدد أهالي الإسكندرية كانوا قبل عصر محمد علي ٨٠٠٠ نفس، ثم أصبحوا ٦٠,٠٠٠ بعد توليه الحكم. وفي عام ١٨٣٠م بلغ عددهم ١٣٠ ألف نفس. وفي عام ١٨٧٢م وصل العدد إلى ٢١٢,٠٤٣ نفسا.

إن هذا التصاعد في عدد سكان المدينة سواء من جانب الأهالي أو الأجانب يشي بأن الإسكندرية بدأت تستعيد شيئا من اهتمام الحكومة المصرية بها. ليس هذا فحسب بل أصبحت العاصمة الثانية لمصر.

ويتحدث المؤلف عن كل مظاهر الحياة في تلك المدينة الساحلية، وبخاصة بعد بناء ترسانة الإسكندرية التي جذبت آلاف العمال والحرفيين والمهنيين والمهندسين للعمل بها، وهو يدعم حديثه بالإحصاءات والبيانات والأرقام والتواريخ، غير أنه أحيانا يكتب التاريخ الهجري دون المقابل الميلادي له أو العكس، فمثلا يتحدث عن مسجد سيدي ياقوت العرش (ص ٦٩) فيقول: "تهدم وهجر فجدده أحمد بيك الدخاخني شيخ طائفة البنائين بالإسكندرية سنة ١٢٨٠ هجرية وأقام شعائره) دون ذكر المقابل

الميلادي. وعندما يتحدث عن المراكب التي دخلت الميناء يذكر السنة الميلادية فقط، فيقول (ص ٧٩): "وبالاطلاع على هذا الجدول نعلم أن المراكب الواردة على ذلك الميناء آخذة دائما في الزيادة ابتداء من سنة ١٨٧٣ ميلادية إلى وقتنا هذا". وأحيانا يذكر التاريخين، فمثلا عندما يذكر تاريخ عمل هويسات المحمودية (ص ٥١) يذكر أن ذلك كان سنة ١٨٤٢ ميلادية الموافقة سنة ١٢٥٨ هجرية. وأعتقد أن ذكر التاريخين على هذا النحو هو الأولى أن يتبع في كتاب تأريخي مثل هذا الكتاب.

إن الكتاب بطبعته الحالية - التي هي صورة من طبعته الأولى (بولاق ١٨٨٩م) شديد الصعوبة على القارئ العادي، فالحروف متراصة بطريقة متداخلة، والموضوعات غير مفصولة عن بعضها البعض، أو لا يوجد تنسيق في التبويب والإخراج، وهناك كلمات يجب توضيحها أو شرحها للقارئ العادي، لأنه ربما تكون دلالتها قد تغيرت الآن عما كان موجودا وقت تأليف الكتاب. وهناك العديد من الكلمات الأجنبية مكتوبة بالحروف العربية، وكان يجب وضع الترجمة العربية الصحيحة لها، وكان على مكتبة الآداب ومطبعتها وهي تتهيأ لتقديم طبعة جديدة لهذا الكتاب أن تتلافى مثل هذه العيوب الفنية، وتقدمه بطريقة عصرية تتماشى مع ما هو سائد الآن في عالم الطباعة والنشر.

ولعل أهم مرشد يدخلك إلى عالم الكتاب هو الفهارس التي أعدها عبد الرحيم يوسف الجمل وتتكون من الفهرس العام الذي بلغ عدد صفحاته ست صفحات (متن الكتاب نفسه وقع في ٩٥ صفحة) وفهرس الأعلام (٨ صفحات) وفهرس الأماكن والبلدان (١٦ صفحة) وكلا الفهرسين (الأعلام والأماكن والبلدان) يحددان للقارئ أو الباحث رقم الصفحة والسطر، وهو لاشك عمل علمي وخدمة بحثية مطلوبة وخصوصا في مثل هذه النوعية من

الكتب المعرفية التي تجمع بين التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع والاقتصاد والسياسة والعمران وتخطيط المدن، وغيره من أنواع المعارف البشرية.

يبقى لنا كلمة في نهاية هذه السطور، وهي ضرورة إعادة طباعة هذا الكتاب طباعة عصرية جديدة، ودعمه بالصور عن الإسكندرية القديمة والإسكندرية الحديثة، وغيرها من وسائل الإيضاح وأساليب المقارنة. وحبذا لو أكمل أحد الباحثين الصابرين الأوفياء مسيرة علي باشا مبارك، وأضاف إلى جهوده جهودا جديدة تبدأ من العام الذي انتهى فيه مبارك من وضع كتابه "الخطط التوفيقية (نسبة إلى الخديوي توفيق) لمدينة الإسكندرية عام ١٨٨٩، وحتى عام ٢٠٠٠ على سبيل المثال.

وليت محافظ الإسكندرية الحالي اللواء محمد عبد السلام المحجوب الذي تشهد المدينة على يديه الآن تطورات مماثلة لما شهدته في عصر محمد علي باشا، يوجه اهتمام المسئولين في هيئة تنشيط السياحة بالثغر، أو فرع ثقافة الإسكندرية، بطباعة مثل هذا الكتاب طبعة جديدة وأنيقة مثلما حدث مع كتاب "الإسكندرية على مر العصور"، وليت إدارة مكتبة الإسكندرية أيضا توليه اهتمامها.

وليت المسئولين عن إدارة مجلة "أمواج دوت كوم" www.amwague.com (الموقع الثقافي لمدينة الإسكندرية على شبكة الإنترنت) أن يفكروا في وضع هذا الكتاب بكامله في ملف خاص به على الشبكة العالمية.

الإسكندرية .. تاريخ ودليل

يعد كتاب "الإسكندرية .. تاريخ ودليل" لمؤلفه الروائي الإنجليزي أ.م. فورستر من أهم الكتب التي صدرت عن مدينة الإسكندرية في القديم والحديث، وهو يحمل فائدة كبرى لكل من يريد أن يستكشف الإسكندرية وضواحيها، سواء كان ذلك بشكل عملي أو بأسلوب نظري، وقد قام بترجمته حسن بيومي، وصدرت الترجمة في العدد رقم ١٤٢ من المشروع القومي للترجمة الذي يتولاه المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة.

صدر من هذا الكتاب طبعات عدة، أولها وثانيها في الإسكندرية عامي ١٩٢٢، و١٩٣٨ كما صدرت طبعة في نيويورك عام ١٩٦١ (وهي بمقدمة جديدة للمؤلف ومطابقة لطبعة الإسكندرية الأولى) ثم صدرت في بريطانيا طبعة عام ١٩٨٢، وهي الطبعة التي تُرجم منها الكتاب الذي بين أيدينا الآن.

يبدأ الكتاب بمقولة ابن دقماق: "إذا الإنسان طاف حول الإسكندرية في الصباح، فالله سوف يصنع له تاجا ذهبيا مرصعا بـاللآلئ ومعطرا بالمسك والكافور يشع الضوء شرقا وغربا".

ويتكون الكتاب من قسمين هما: التاريخ والدليل. فضلا عن تقديم المترجم، ومقدمة بقلم الروائي الإنجليزي لوارنس داريل صاحب رباعية الإسكندرية، كتبها عام ١٩٨٢ ويقول في بدايتها: "إن هذا الكتاب أجدر من أن يكون مجرد عمل أدبي مكرس لهذه المدينة العجيبة ـ المثيرة للعواطف والذكريات ـ المسماة بالإسكندرية".

أما مقدمة فورستر التي كتبها عام ١٩٦١ فيقول فيها: "استطعت أن أدرك سحر هذه المدينة وعراقتها وتعقيدها، فقررت الكتابة عنها وخطرت على ذهني فكرة الدليل" ويختتم هذه المقدمة بقوله: "وختاما فإن هذا الكتاب ليس هو تحية الإجلال الوحيدة التي أقدمها للإسكندرية، فهناك أيضا "فاروس وفاريلون" وهو مجلد يحتوي على عدة مقالات صدر في ١٩٢٣".

والكتاب في مجمله ـ وقع في ٣٣٠ صفحة من القطع الكبير ـ لا يحتوي على قسمي التاريخ والدليل فحسب، ولكنه بالإضافة إلى ذلك يحتوي على أربعة ملاحق تتحدث عن المجتمعات الدينية الحديثة، وموت كليوباترا، ومقتطفات من أناجيل مصرية غير معترف بها، والعقيدة النيقية، كما يحتوي على قائمة الخرائط والمخططات السكندرية، ومقال بعنوان "مدينة الكلمات" لمايكل هاج، ثم بعض الملاحظات، وتغييرات في أسماء الشوارع والميادين بالإسكندرية.

***

جاء الفصل الأول من قسم التاريخ بعنوان "العصر اليوناني والمصري" فقال المؤلف:" إن موقع الإسكندرية لافت للنظر إلى أبعد الحدود، ولكي

نعي ذلك علينا أن نعود إلى الوراء آلاف السنين، ذلك أنه موقع فريد في مصر"، ثم يتحدث بعد ذلك عن جزيرة فاروس وقرية راكوتيس (راقودة) وكانوبس (أبو قير)، ثم ينتقل للحديث عن الإسكندر الأكبر، وعن خطة تأسيس المدينة، والبطالمة الثلاثة الأوائل (بطليموس الأول: سوتير ٣٢٣ ـ ٢٨٥ ق.م، وبطليموس الثاني: فيلاديلفوس ٢٨٥ ـ ٢٤٧ ق.م، وبطليموس الثالث: يورجيتس ٢٤٧ ـ ٢٢٢ ق.م) راسما بعد ذلك شجرة العائلة البطلمية، وهو يرى من خلال هذه الصفحات أن الإسكندرية كانت دائما ومازالت تنتمي إلى البحر المتوسط أكثر من انتمائها لمصر.

ثم يتحدث بعد ذلك عن أهم معالم المدينة البطلمية فيرسم لنا صورة قلمية تاريخية أدبية عن: المنارة، والقصر، والجامعة أو المتحف (الموسيون)، ومعبد سيرابيس، والمقابر الملكية، ومبان أخرى مثل: المسرح، ومضمار السبق، وقد تم إنشاء هذه المباني الهامة والمعاهد أثناء المائة سنة الأولى من عمر هذه المدينة، ثم أضيفت إليها مبان أخرى مثل "السيزيريوم" الذي بدأته كليوباترا. وطبيعي أن تنعكس الثقافة البطلمية على الحياة السكندرية في ذلك الزمن، ففي مجال الأدب كان هناك الأدباء والشعراء: كاليماخوس وأبولونيوس، وثيوقريطس، وغيرهم، وكان هناك المكتبة، وكان زينودوتس أول أمين للمكتبة، وكان هناك اهتمام بالفن والفلسفة والعلم مثل الرياضيات والجغرافيا والفلك والتقويم والطب.

ثم يجئ العصر المسيحي، فيتحدث المؤلف عن المجتمع المسيحي حيث كانت الإسكندرية هي أكثر مدن الإمبراطورية اليونانية سعيا لكسب المعركة لصالح الدين، فظلت العاصمة الروحية، أو هكذا بدت على الأقل، فهي التي ساعدت على تحرير النصرانية السجينة وقادتها في انسجام وسلام إلى وطنها تحت أقدام الرب. ثم يجئ الفتح العربي (ويسميه المؤلف الغزو

العربي) وفي هذا يذهب إلى أن الإسكندرية سقطت بفعل الخيانة، بل إنه يعجب أن يعير الإمبراطور اليوناني (هرقل) انتباهه لمبعوثي شيخ عربي مغمور يدعى محمدا، حيث قدموا عليه لتهنئته بالنصر على جيوش الفرس في آسيا، واقترحوا عليه أن يعتنق دينا جديدا يسمى السلام أو الإسلام، ويمضي المؤلف في هذا الرأي - دون أن يتدخل المترجم بالتعليق - قائلا: "نفس الشيخ أرسل مبعوثيه إلى نائب الإمبراطور في الإسكندرية، وردهم بهدية مكونة من حمار وبغل وكيس من المال وبعض من العسل والزبد وفتاتين مصريتين واحدة منهما "ماريا" صارت محظيته المفضلة" وهنا يتدخل المترجم بالتعليق فيقول: "بل إنها صارت زوجته بعد ذلك وأنجب منها إبراهيم". وينصف المؤلف المسلمين والعرب بعد ذلك عندما تحدث عن تدمير أو حريق مكتبة الإسكندرية فيقول: "والمكتبة التي يتهم العرب بتدميرها عادة، كانت قد دمرت فعلا على يد المسيحيين"، وهو يؤكد في موضع آخر من الكتاب أن الأسطورة التي تتهم العرب بحرق المكتبة تقوم على أساس واه. أما المترجم حسن بيومي فيوضح في أحد هوامش الكتاب أن المكتبة في الأغلب أحرقت مرتين، أول مرة في عهد يوليوس قيصر، والثانية خلال الاضطرابات المتكررة بين الوثنيين والمسيحيين المتزمتين.

***

في الفصل الثالث يتحدث فورستر عن المدينة الروحية التي كان يشغلها ثلاث طوائف هم: اليهود واليونانيون والمسيحيون، ولأن السكندريين مثقفون إلى أبعد الحدود، وكانت لديهم مكتباتهم التي جعلت كل حكمة البحر المتوسط في متناول أيديهم، فقد كان للحياة الروحية في الإسكندرية مذاق آخر هو حياة الإسكندرية ذاتها، فجمعت بين الغنوسطية (الغنوصية)

والأرثوذكسية المبكرة، والآريوسية، ومذهب الطبيعة الواحدة، ومذهب الإرادة الواحد، وأخيرا الإسلام.

ويرى المؤلف أن عمرو بن العاص وأصحابه من العرب لم يكونوا متعصبين ولا همجيين وكانوا على وشك أن يبدأوا في بناء مصر جديدة خاضعة لهم بالقرب من القاهرة، لأنهم نفروا من الإسكندرية بشكل غريزي، وبدت لهم كمدينة وثنية تافهة، لذا فقد تمطى بعد ذلك ألف عام من الصمت على الإسكندرية.

وخلال هذه الألفية تم عزل الإسكندرية عن نظام مصر النهري بكامله، وتحولت فاروس من جزيرة إلى شبه جزيرة، وهي ما يعرف حاليا برأس التين، وعلى الرغم من ذلك فقد كان إعجاب العرب بها كان كبيرا، فكتب أحدهم يقول: "لقد زرت مكة ستين مرة، ولكن إذا أرغمني الله على البقاء شهرا في الإسكندرية لأصلي على شواطئها، فسيكون هذا الشهر هو أعز ما لدي". ومن ثم بدأت تنتشر المساجد في الإسكندرية مثل مسجد العطارين ومسجد النبي دانيال الذي ظهر - كما يزعم المؤلف - في مكان ضريح الإسكندر الأكبر. وأخذ في الانهيار السيزيريوم والجامعة ومنارة فاروس وقصر البطالمة، وقد استعادت المدينة بعضا من أهميتها في نهاية الحكم العربي (يقصد نهاية عصر المماليك الشراكسة) حيث بنى السلطان المملوكي في القاهرة قايتباي قلعة رائعة في ١٤٨٠م على أنقاض منارة فاروس مازالت تحمل اسمه حتى الآن.

ومن القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر كانت الإسكندرية مدينة تركية، ومع نابليون بونابرت بدأ زمن جديد، فعادت الحياة إليها من جديد كما عادت المياه إلى بحيرة مريوط، وبحكم محمد علي (١٨٠٥ - ١٨٤٨) تتزايد أهمية الإسكندرية، حيث تم حفر ترعة المحمودية عام ١٨٢٠

وأقيمت أعمال كثيرة أعادت للإسكندرية حيويتها وشبابها، وتطورت المدينة بهدوء تحت حكم محمد علي وخلفائه، ولكن تقصف الإسكندرية بالقنابل في الساعة السابعة من صباح ١١ يوليو ١٨٨٢ ويحتل الإنجليز المدينة، ومنذ ذلك التاريخ كابدت المدينة مصاعب أخرى، ولكنها تصبح وثيقة الصلة في ارتباطها بباقي مصر أكثر من أي وقت مضى.

***

أما قسم الدليل، فيبدأ في فصله الأول من الميدان (وهو عادة ميدان محمد علي أو ميدان المنشية) إلى شارع رشيد (وهو حاليا طريق الحرية، أو شارع أبو قير) ومن المواقع الرئيسية الهامة على هذا الطريق: ميدان وتمثال محمد علي (وهو من أعمال النحات الفرنسي جاكمار) وبنك روما ومسجد النبي دانيال وكنيسة القديس سابا والمتحف اليوناني الروماني، وهنا يقف فورستر قليلا ليعطينا تصورا كاملا للمتحف وقطعه الأثرية التي كانت موجودة في عصره.

ويبدأ الفصل الثاني من الميدان إلى رأس التين، ومن المواقع الرئيسية الهامة على هذا الطريق: مسجد طربانة ومسجد الشوربجي ومسجد أبو العباس، ومقابر الأنفوشي، وقصر رأس التين، وميناء ما قبل التاريخ، وقلعة قايتباي، وأرصفة المواني الحديثة. ويقول فورستر عن هذه المنطقة إنها رائعة ويغمرها سحر لطيف خاصة في المساء، وأفضل طريقة لمشاهدتها هي أن تتجول فيها بلا هدف.

وقبل أن يغادر المؤلف إلى جنوب الإسكندرية، يقول للزائر عن شمالها: والآن دع الزائر (إن استطاع بذل هذا الجهد) يرفع نفسه أربعمائة قدم لأعلى في الهواء، دعه يستبدل منارة رأس التين بمعبد لبوسيدون، دعه يحذف المساجد والأرض المبنية عليها، ويتخيل مكانها رقعة فسيحة من

الماء يجتازها جسر، دعه يضف إلى عمود بومبي (عمود السواري) معبد سيرابيس وإيزيس وجدران المكتبة الضخمة المدعمة، دعه يجعل من كوم الدكة حديقة بهيجة رائعة في أسفلها مقبرة الإسكندر، دعه يحول الضواحي الشرقية إلى حدائق، وأخيرا دعه يفترض أن السلسلة ليست هي ما يمتد تجاهه، إنما هي نهاية القصر البطلمي الذي تلجأ سفن الأسطول الملكي الصغير إلى يمينه، وتحيط به من جهة البر مدرجات المسرح وحدائق الجامعة، وهنا يستطيع أن يكون مفهوما عما كانت تبدو عليه الإسكندرية القديمة عند النظر إليها من قمة الفنار، وما كانت تبدو عليه عندما دخلها العرب في خريف عام ٦٤١ م.

ويبدأ الفصل الثالث من الميدان إلى الأحياء الجنوبية، ومن المواقع الرئيسية الهامة على هذا الطريق: عمود بومبي، ومقابر كوم الشقافة، وترعة المحمودية، ويرى المؤلف أن الأحياء الجنوبية ليست بالأنيقة ولا الرائعة، ولكنها تحتوي على موقع راقودة نواة الإسكندرية القديمة.

ويبدأ الفصل الرابع من الميدان إلى النزهة، ومن أهم المواقع الرئيسية في هذا الطريق: حدائق البلدية، وحدائق النزهة، وحدائق أنطونيادس. وقد كانت النزهة في عهد البطالمة مسماة بضاحية إليوزيس حيث عاش الشاعر كاليماخوس، وحيث أوقف الجنرال الروماني يوبيلوس ملك سوريا الذي كاد أن يحتل الإسكندرية، ورسم حوله دائرة في الرمال، وأجبره أن يختار على الفور بين السلم والحرب. وفي هذا المكان أيضا نزلت فرسان عمرو بن العاص قبل أن يدخل المدينة.

أما الفصل الخامس فيبدأ من الميدان ويتجه إلى الرمل، ومن المواقع الرئيسية الهامة على هذا الطريق: البحر، والمنظر في أبو النواطير، والحدائق الخاصة، والصخور البارزة، مرورا بالسيزيروم (وهو معبد ضخم

بدأت كليوباترا في تشييده على شرف أنطونيو، وبعد انتحارهما أكمل أكتافيوس بناءه احتفاء بنفسه (١٣ ق.م) وقد حطم هذا المعبد نهائيا عام ٩١٢م والمكان الحالي تقريبا لمعبد السيزيروم هو حديقة سعد زغلول. وعلى هذا الطريق يوجد محطات المزاريطة، والشاطبي، وحمامات الشاطبي، وكامب شيزار، والإبراهيمية، ونادي سبورتنج، وكليوباترا، وسيدي جابر (ويقول المؤلف عنه إنه ولي محلي رحيم يطير في الليل ليعتني بالأطفال)، ومصطفى باشا، وبكيلي (بولكي)، وسان ستيفانو، وسيدي بشر، وفكتوريا حيث نهاية التقاء خط الترام ومحطة سكة حديد أبو قير وخط رشيد.

وفي الفصل السادس يكون الحديث من الميدان إلى المكس ويبدأ الطريق من شارع الأخوات الراهبات (لعله شارع السبع بنات الآن) والقباري، ثم المكس، ويرى المؤلف أن المكس مكان جميل، وكان من الممكن أن يكون ضاحية مزدهرة مثل الرمل، ولكن أحياء الفقراء المندثرة فيه حالت دون ذلك. ثم الدخيلة وقلعة العجمي التي توجد أمامها مباشرة جزيرة تسمى جزيرة مربوط التي يقول المقريزي عنها إن الناس الذين كانوا يعيشون عليها يعمرون أكثر ممن يعيشون في أي مكان آخر في العالم، ولكن لا أحد يعيش على هذه الجزيرة الآن.

ويكون حديث الفصل السابع عن أبو قير ورشيد، ومن المواقع الهامة على الطريق المؤدي لكليهما المنتزة وكانوبس وخليج أبو قير. مرورا بمحطات المندرة والمنتزة والمعمورة، ثم أبو قير التي كانت توجد بها مستوطنات قبل تأسيس الإسكندرية بقرون، وقيل إن باريس وهيلين كانا يلتمسان في أبو قير ملاذا لهما أثناء فرارهما إلى طروادة. وتظهر هذه الأسطورة مدى ولع الإغريق بهذه المنطقة. وقد مرت أبو قير بعصور متعددة

منها العصر المسيحي، وفي العصر الحديث وقعت فيها معركة النيل (موقعة أبي قير البحرية) ومعركة أبو قير البرية. أما رشيد فيذهب فورستر إلى أنها والإسكندرية كانتا متنافستين، فعندما تنهض إحداهما تأخذ الأخرى في الاضمحلال. فعندما احتاجت الإسكندرية إلى بعض التنظيم عن طريق العلم الإنساني أصبحت مدينة لا تقاوم.

وقد خصص المؤلف حديثه في الفصل الثامن عن الصحراء الليبية، ومن أهم ملامحها محطات عبد القادر والعامرية ومريوط إكنجي (كنجي مريوط) وبهيج، كما تحدث عن أبو صير ومعبد أوزوريس، وبرج العرب، والقديس مينا، ووادي النطرون (والنطرون يعني الصودا) وما فيه من بحيرات معدنية، وأديرة (دير القديس بشوي، ودير السوريان، ودير البراموس، ودير القديس مكاريوس).

***

وبهذا يختتم المؤلف فورستر كتابه الرائع عن الإسكندرية تاريخ ودليل، ولكن يبقى تاريخ وأدلة مايكل هاج في مدينة الكلمات، وفيها يتحدث عن قسطنطين كفافيس (الذي أورد له فورستر قصيدته "الإله يتخلى عن أنطونيو") وإ. م. فورستر، ولورانس داريل، ونجيب محفوظ، باعتبارهم من أهم الكتاب الذي كتبوا عن الإسكندرية في أعمالهم، فإسكندرية فورستر التي تضع الزمان في قسم والمكان في قسم آخر، وما في القسمين من دعوات كثيرة للانتقال بينهما، ما هي إلا دليل للذاكرة، مثلها في ذلك مثل رباعية الإسكندرية التي تعد من ناحية ما رواية مبنية على الدليل، حيث يمثل "جستين" و"بلتزار" و"مونتوليف" أبعاد المكان، بينما "كليا" تطلق العنان للزمان. أما نجيب محفوظ الذي جعل من القاهرة عالمه الأدبي اختار الإسكندرية لتكون إطارا لنقده تجاوزات وإخفاقات النظام الناصري،

فيقول في الصفحة الأولى من "ميرامار": "الإسكندرية أخيرا .. الإسكندرية قطر الندى، نفثة السحابة البيضاء، مهبط الشعاع المغسول بماء السماء، وقلب الذكريات المبللة بالشهد والدموع".

الإسكندر الأكبر والإسكندرية

بحث جديد عن التأثير المتبادل بين الثقافتين اليونانية والمصرية القديمة للباحث د. يسري دعبس صدر على نفقته الخاصة. في البداية يتناول الباحث بالدراسة والبحث حقائق وتصورات حول العلاقة بين اليونان ومصر منذ القدم، أو أهم مظاهر الاتصال الثقافي بين الحضارتين اليونانية والمصرية القديمة منذ القدم وحتى قبل غزو الإسكندر الأكبر لمصر عام ٣٣٤ ق.م، ويؤكد الباحث أن هذا الاتصال كان موجودا قبل ظهور الإسكندر بحوالي أربعة قرون.

ثم بعد ذلك يتحدث عن حلم الإسكندر في تكوين إمبراطورية كبرى تجمع بين العالم الشرقي والغربي، واختياره لهذه البقعة المصرية الهادئة (جزيرة فاروس وقرية راقودة "راكوتيس") الواقعتين بين ساحل البحر الأبيض المتوسط وبحيرة مريوط، ليؤسس فيها قاعدة إمبراطوريته، التي سماها على اسمه "الإسكندرية"، وبعد إنشائها أصبحت أهم الموانئ في

حوض البحر المتوسط، وبدأت تلعب دورها كعاصمة للعالم القديم، ومن ثم فإن التأريخ للإسكندرية يعد أكثر من مجرد تأريخ لمدينة، حيث إنه في الواقع تأريخا لعصر بأكمله ازدهرت فيه حركة الاتصال الثقافي والحضاري بين الأمم القديمة.

ويبحث د. يسري دعبس نقاط التأثير والتأثر في مظاهر الحياة الاجتماعية وخصائصها، وأيضا نقاط التأثير والتأثر في مظاهر الحياة الثقافية، سواء في الأعمال الثقافية (مكتبة الإسكندرية، والجامعة، على سبيل المثال) أو في مجال الفنون والآداب، أو في مجال الأمور الدينية، كما يتطرق إلى البحث في نقاط تأثير الثقافة اليونانية في مظاهر الحياة الاقتصادية بالإسكندرية مثل (نظام الأراضي - أراضي الملك، وضياع المعابد، والإقطاعات العسكرية، وإقطاعات الموظفين، وأرضي الملكية الشخصية -، والزراعة، والصناعة، والتجارة، والعملة، والاحتكار، والضرائب) كما يبحث في نقاط التأثير والتأثر في مظاهر الحياة السياسية مثل (تأسيس المدن، والتمييز العنصري، ووضع المصريين في مصر، ووضع الإغريق فيها، وفي هذا يلفت الباحث النظر إلى أن أحدا من ملوك البطالمة - باستثناء كليوباترا الأخيرة - لم يحاول أن يتعلم اللغة المصرية، وينوه عن وجود رسالة تتحدث فيها سيدة إغريقية عن ابنها الذي أخذ يتعلم اللغة المصرية كوسيلة لتحسين مركزه المالي). ويرى أن الحضارة الإغريقية لم تكن سوى قشرة رقيقة حجبت حضارة موغلة في القدم تختلف عنها تمام الاختلاف، وكانت هذه القشرة رقيقة إلى حد كبير في إقليم طيبة، أبعد أقاليم مصر عن الإسكندرية وعالم البحر المتوسط، وسبب ذلك تركز نفوذ رجال الدين المصريين بقوة من ناحية، ومن ناحية أخرى قلة عدد الإغريق المستوطنين في هذه البقعة من مصر.

أيضا يتناول الباحث مظاهر التأثير والتأثر في نظم الحكم والإدارة والقضاء، وفي هذا يوضح أن الطبقات العليا من المصريين كانت تزداد اصطباغا بالحضارة الهلينية وميلا للاختلاط بالإغريق، بينما احتفظ الفلاحون بجميع تقاليدهم وأساليب حياتهم القديمة متمسكين بلغتهم الوطنية ومحررين عقودهم القانونية باللغة الديموطيقية، وهي آخر صور الكتابة المصرية.

وفي النهاية يقدم الباحث عدة نتائج خرج بها من بحثه، ووصل عددها إلى إحدى وعشرين نتيجة. منها أن الإسكندر كان يهدف من وراء تأسيس الإسكندرية إلى عدة أهداف، فحضاريا حتى تصبح مدينته الجديدة معينا لا ينضب للحضارة الإغريقية ينشر ألويتها بين ربوع الشرق بعد أن يتم له فتحه وإخضاعه لسلطانه، وعسكريا باعتبار أن الإسكندرية قاعدة بحرية تتيح له السيطرة على شرق البحر المتوسط، وتجاريا كميناء بعد تحطيمه ميناء صور وهو في طريقه لمصر.

وعلى الرغم من صغر البحث (٦٠ صفحة) إلا أنه يقدم لنا صورة وافية وأمينة عن مظاهر التأثير والتأثر بين الثقافتين اليونانية والمصرية القديمة، في جميع مجالات الحياة.

الإسكندرية عبر العصور

خمسة مجلدات فخمة، أصدرتها كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، بمناسبة افتتاح مكتبة الإسكندرية، عن الإسكندرية عبر العصور المختلفة، ثلاثة منها باللغة العربية، والمجلدان الآخران بلغات أخرى مثل: الإنجليزية والفرنسية والألمانية.

تشتمل هذه المجلدات الخمسة على كل ما نشر عن الإسكندرية في الأعداد السابقة لمجلة الكلية منذ عام ١٩٤٤، وحتى آخر أعدادها. وهو جهد طيب بذله رئيس التحرير أ.د. ماهر عبد القادر محمد، ومديرا التحرير د. أحمد حسن صبرة، ود. عباس محمد حسن. إذ رجعوا إلى هذا العدد الضخم من أعداد المجلة، ليستخلصوا منها كل ما يتعلق بالإسكندرية، ماضيها، وحاضرها، ومظاهر الحضارة فيها، ومكانتها وسط المدن الأخرى .. الخ. وهذا هو الاحتفال العلمي والعملي الذي تقدمه كلية الآداب، مشاركة منها في الطقوس العالمية لافتتاح مكتبة الإسكندرية.

يقول أ.د. محمد نصر الدين دمير رئيس جامعة الإسكندرية في افتتاحية هذه المجلدات الخمسة: "الإسكندرية هذه المدينة العريقة الجميلة، تلبس الآن أحلى ما لديها، وتستعيد ماضيا قديما كانت فيه عاصمة الثقافة والتمدين في كل العالم القديم، والإسكندرية المدينة التي نحبها، ونشعر ونحن سائرون في شوارعها بأصداء هذا الماضي العريق الذي أنتج للعالم مزيجا فكريا مدهشا من فلسفة اليونان وروحانية الشرق، والإسكندرية المدينة التي عاش فيها شخصيات عظيمة: الإسكندر العظيم الذي حملت المدينة اسمه، وسوتر المنفذ الذي وضع أساس هذه المدينة، وأفلوطين التلميذ النجيب لفلاسفة اليونان الكبار، وكليوباترا التي ما تزال حديث الناس في الشرق والغرب حتى اليوم، وغير هؤلاء من الشخصيات التي أعطت للمدينة طابعها، وجعلتها تحتل المكانة اللائقة بها في العالم القديم، الإسكندرية التي نفضت الآن عن نفسها غبار النسيان، استعادت جانبا كبيرا من رونقها القديم، واستعادت معه لقبها الذي لازمها فترة طويلة: عروس البحر المتوسط".

أما أ.د. فتحي عبد العزيز أبو راضي عميد كلية الآداب . جامعة الإسكندرية فيقول في كلمته: "لقد عادت الإسكندرية إلى الواجهة الثقافية بقوة مرتين: المرة الأولى حين أنشئت جامعتها في بداية الأربعينيات من القرن العشرين، وكان إنشاؤها حدثا مهما، لأنها ساعدت على تهيئة تربة علمية ملائمة نبت فيها كثير من الأسماء التي تفخر بها مصر كلها، والمرة الثانية حين أعيد إنشاء مكتبة الإسكندرية لتواصل رسالة كانت قد بدأتها المكتبة الأولى التي كانت أهم مكتبة في العالم القديم".

أما رئيس التحرير أ.د. ماهر عبد القادر فيقول في كلمته: "ها هي الإسكندرية الآن تستعيد مكانتها الثقافية بين مدن العالم المتحضر، بعد أن

ظهرت مكتبتها التي تألقت في العالم القديم إلى الوجود مرة ثانية، وبدأ العالم الحديث يزدان بها".

ونحن في هذا العرض السريع للمجلدات العربية الثلاثة لا نستطيع أن نلقي الضوء على كل بحث أو دراسة، لذا سنكتفي بذكر عناوين هذه الأبحاث ومؤلفيها.

اشتمل المجلد الأول على الأبحاث والدراسات التالية: الإسكندرية، تأسيسها وبعض مظاهر الحضارة فيها في عصر البطالمة للدكتور زكي علي. كليومينيس وسياسته المالية في مصر في عهد الإسكندر الأكبر للدكتور مصطفى العبادي. حمامات الإسكندرية الرومانية للدكتور فوزي عبد الرحمن الفخراني. فن الشعر لهوراتيوس للدكتورة فاطمة سالم سيف. استرابون يتحدث عن حملة أيليوس جاللوس على بلاد العرب للدكتور محمد عبودي إبراهيم. المكانة الأدبية لمدينة الإسكندرية في عهد البطالمة للدكتور حسن عوان.

أما المجلد الثاني فقد احتوى على: صورة فريدة للإسكندر الأكبر مرسومة على وعاء فخاري من مجموعة خاصة للدكتورة عنايات محمد أحمد. منار الإسكندرية في رؤية بعض الرحالة المغاربة للدكتور السيد عبد العزيز سالم. تخطيط ومواقع الإسكندرية القديمة وتطورها حتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي للدكتور محمد عبد الحميد الحناوي. الموضوعية والأمانة في وصف الرحالة الأجانب للإسكندرية في العصور الوسطى للدكتورة سهير نعينع. صور من مظاهر الحضارة المتشابهة بين مدينتي الإسكندرية ورباط الفتح للدكتورة سحر سالم. رثاء الحيوانات عند الشعراء في العصر السكندري للدكتورة فكرية مصطفى صالح. قانون كرك اللا ومذبحة الإسكندرية خريف عام ٢١٥ م للدكتور محمد بهجت قبيسي.

الزواج السياسي في مصر الهللينستية من عصر الإسكندر الأكبر حتى نهاية دولة البطالمة للدكتور هابيل فهمي عبد الملك.

احتوى المجلد الثالث على الدراسات والأبحاث التالية: أول أستاذ لأول مدرسة في الإسكندرية الإسلامية للدكتور جمال الدين الشيال (ويقصد به الدكتور عبد الحميد العبادي). الحجازيون وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الإسكندرية في العصر العثماني للدكتور صلاح أحمد هريدي. الصلات الثقافية بين المغرب ومدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي للدكتور جمال الدين الشيال. الأثر الفلسفي الإسكندري للدكتور أبو العلا عفيفي. ثقافة الإسكندرية القديمة وأثرها في حضارات العصر القديم وفي الفكر الفلسفي الإسلامي خاصة للدكتور محمد علي أبو ريان. بعض منتخبات من كتاب الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الإسكندرية سنة ٧٦٧ هـ للنويري السكندري. وأخيرا الحركة الأدبية في الإسكندرية الحديثة للدكتور عبد المحسن عاطف سلام.

لاشك أنه جهد طيب، ولكنه ـ في ظني ـ كان في حاجة إلى شيء من الترتيب أو التصنيف الموضوعي، أو الزمني، حيث توضع الموضوعات المتشابهة مع بعضها البعض، كأن توضع الأبحاث والدراسات التاريخية أو الجغرافية عن الإسكندرية في مجلد خاص بها، ثم الأبحاث والدراسات الأدبية في مجلد آخر، وهكذا. أو تنشر الدراسات والأبحاث حسب نشرها زمنيا في مجلة كلية الآداب.

عدا ذلك تظل الحاجة قائمة لهذه المجلدات، حيث من الصعوبة على الدارس أو الباحث الرجوع إلى كل أعداد مجلة كلية الآداب، ـ خلال عمرها الذي يقترب من الستين عاما ـ للعثور على دراسة أو بحث من هذه الدراسات أو الأبحاث، التي يحتاج إليها.

محافظو الإسكندرية
(١٧٩٨ ـ ٢٠٠٠)
من خلال الوثائق الرسمية

صدر هذا الكتاب أو السجل عن الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، بهدف إلقاء الضوء على سجل محافظي الإسكندرية منذ عام ١٧٩٨ وحتى عام ٢٠٠٠ وما حققوه من إنجازات ومارسوه من أعمال الحكم والإدارة والتنظيم الحضري والحضاري في نطاق النظم السياسية والتشريعية والقانونية والإدارية. ومن خلال هذا السجل من الممكن دراسة وتقييم رحلة المدينة الخالدة خلال قرنين من التطور والتغيير، ارتفاعا وانخفاضا وامتدادا وانحصارا وارتقاء وكمونا، على حد تعبير أ.د. محسن زهران مدير مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية في تصديره لهذا الكتاب الذي جاء في ١٣٠ صفحة من القطع المتوسط.

قام بإعداد الكتاب د. مجدي مصباح الذي يقول في تقديمه: "يعتبر هذا السجل إطلالة للسيرة الذاتية للسادة محافظي الإسكندرية في هذه الفترة (١٧٩٨ - ٢٠٠٠) ويتسم باتجاه حديث في الدراسات الخاصة بتاريخ مصر الحديث والمعاصر، وهي الدراسات المتعلقة بتاريخ المدن من ناحية، ثم تاريخ المؤسسات والنشاط والنمو من ناحية أخرى، ويهدف أساسا لخدمة من يتصدون لكتابة التاريخ والتراجم والموسوعات".

ولعل القارئ يتساءل عن سبب اتخاذ عام ١٧٩٨ أساسا لبدء التأريخ لمحافظي الإسكندرية؟ والإجابة: إن منصب المحافظ بالإسكندرية أنشئ بتولي السيد محمد كريم هذا المنصب في هذا العام أثناء قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر.

ولعل من أهم أسباب إصدار هذا الكتاب - بالإضافة إلى ما سبق - عدم دقة التواريخ المدونة على الصور الفوتوغرافية بمحافظة الإسكندرية، وعدم مصداقيتها لإغفالها العديد من الشخصيات في الفترة السابقة عن عام ١٨٩٢، وعدم وجود إشارة للسادة المحافظين بداية من إنشاء "ديوان ملكي الإسكندرية" عام ١٨٠٨ وحتى عام ١٨٥٧. وغيرها من المآخذ التي أخذت على كتاب "الإسكندرية عبر العصور" الذي أصدرته الهيئة العامة لتنشيط السياحة بمحافظة الإسكندرية، ولهذا يجئ كتاب "محافظو الإسكندرية" انطلاقا من الحرص على الحفاظ على التراث، فيقوم بنشر قائمة السادة المحافظين كاملة، بالإضافة إلى إبراز الإنجازات الهامة التي تمت في نطاق المدينة من خلال رئاستهم للهيئات المختلفة خلال توليهم هذا المنصب.

ولعل تمتع الإسكندرية بإدارة مستقلة عن مصر، لأهميتها لدى الدولة العثمانية منذ عام ١٥١٧م وتبعية قبودان الإسكندرية لسلطة الباب العالي

باستانبول مباشرة، يدل دلالة أكيدة على خصوصية المدينة في التنظيم الإداري للبلاد في ذلك الوقت، بل كان كل من قبوداني السويس ودمياط تابعين لقبودان الإسكندرية، إلى أن تولى محمد علي باشا حكم مصر عام ١٨٠٥ فجعل الإسكندرية تابعة له، الأمر الذي أدى إلى زيادة دخول العناصر الأجنبية في المدينة لتدعيم التجارة، كما رأينا في "الخطط التوفيقية لمدينة الإسكندرية" لعلي باشا مبارك.

ومما يسهم في أهمية كتاب "محافظو الإسكندرية" تعرضه لدراسة الاختصاصات المقررة للسيد المحافظ خلال فترة الدراسة، واقتراحه لتغيير بعض بنود القانون بما يتفق مع مسيرة التنمية الشاملة بالمحافظة.

والآن إلى قائمة أسماء محافظي الإسكندرية خلال السنوات (١٧٩٨ ـ ٢٠٠٠) حسبما جاء في الكتاب:

١) السيد محمد كريم (١٧٩٨) من مواليد حي الأنفوشي قبل منتصف القرن الثامن عشر.
٢) السيد محمد الشوربجي الغرياني، جاء خلفا للسيد محمد كريم، بناء على إجماع آراء أعيان المدينة.
٣) أحمد خورشيد (١٨٠٢ ـ ١٨٠٣) ـ ثم ١٨٠٤ مرة أخرى، وهو من أقدم الضباط العثمانيين في مصر، وقد تسلم الإسكندرية من الإنجليز بعد خروجهم منها في ١٤ مارس عام ١٨٠٣.
٤) علي الجزائرلي (١٨٠٣ ـ ١٨٠٤) قتله المماليك عام ١٨٠٤.
٥) طاهر بك (١٨٠٤ ـ ١٨٠٥).
٦) بابا عثمان (١٨٠٥).
٧) أمين أغا (١٨٠٥ ـ ١٨٠٧) من ضباط الآستانة.
٨) محمد أغا (طبوز أوغلي) (١٨٠٧ ـ ١٨١٠).

٩) خليل باشا (١٨١٠ـ ١٨١٦) ابن شقيقة محمد علي.

١٠) محرم بك (١٨٢٠ـ ١٨٤٧) من مواليد عام ١٧٩٥ بمدينة قولة اليونانية، وأمضى بها صباه، وتزوج من تفيدة هانم كريمة محمد علي باشا. وظل يشغل منصب محافظ الإسكندرية حتى وفاته في ٢٠ ديسمبر ١٨٤٧. ودفن بمسجد النبي دانيال. وتقديرا لمجهوداته وبطولاته أطلق اسمه على أحد أهم أحياء الإسكندرية.

١١) محمد شاكر (٢٥ أكتوبر ١٨٥٠ـ ٣٠ يونيو ١٨٥١) ومن (١٢ أغسطس ١٨٥٥ـ ٢٦ مايو ١٨٥٧).

١٢) سليم باشا (٣٠ يونيو ١٨٥١ـ ١٦ مارس ١٨٥٢).

١٣) إبراهيم الألفي بك (١٦ مارس ١٨٥٢ـ ٢٩ مارس ١٨٥٤). شارك أثناء توليه منصب محافظ الإسكندرية بدور كبير في حرب القرم (١٨٥٣ـ ١٨٥٦). تولى منصب نائب الخديوي (الكتخدا) عام ١٨٥٤.

١٤) إسماعيل سليم باشا (٤ أبريل ١٨٥٤ـ ٢ نوفمبر ١٨٥٤) أول مدير لمدرسة الحربية (المفروزة) بالإسكندرية عام ١٨٥٠.

١٥) السيد أبو بكر راتب باشا. راتب باشا (٣ نوفمبر ١٨٥٤ـ ١٠ أغسطس ١٨٥٥) من مواليد القاهرة عام ١٨٠٢، وتوفي في عام ١٨٧٨.

١٦) محمد خورشيد باشا. خورشيد باشا (٢٧ مايو ١٨٥٧ـ ٢ أغسطس ١٨٦٣) ومن (١٠ أكتوبر ١٨٦٨ـ ٩ سبتمبر ١٨٧٠).

١٧) حسين شيرين باشا (٣ أغسطس ١٨٦٣ـ ٢٣ أكتوبر ١٨٦٤) ومن (١٧ سبتمبر ١٨٦٧ـ ٧ سبتمبر ١٨٦٨) ومن (١٩ سبتمبر ١٨٧٠ـ ٢٦ نوفمبر ١٨٧٠) جركسي الأصل، هاجر إلى مصر والتحق بمدرسة القصر العيني عام ١٨٢٥. أصيب بمرض أدى إلى اعتزاله الخدمة، ثم سافر إلى فرنسا للاستشفاء، ولكنه توفي في مارسيليا عام ١٨٨٢.

١٨) أباظة مراد حلمي باشا ـ مراد حلمي باشا (٢٤ أكتوبر ١٨٦٤ ـ ٩ يناير ١٨٦٦). جركسي الأصل، تعلم بمدارس مصر، والتحق بمدرسة المدفعية المصرية.

١٩) علي ذو الفقار باشا (١٠ يناير ١٨٦٦ ـ ١٦ سبتمبر ١٨٦٧) ومن (٢٧ نوفمبر ١٨٧٠ ـ ٢٥ يونيو ١٨٧١) ومن (٥ أغسطس ١٨٧٢ ـ ٢٨ أغسطس ١٨٧٣) ومن (٧ أكتوبر ١٨٧٩ ـ ١٤ يوليو ١٨٨٠). من مواليد عام ١٨١٥ ويذكر بعض المؤرخين أنه من أصل يوناني، وجاء إلى مصر ليخدم في البحرية المصرية. توفي في عام ١٩٠٠.

٢٠) حسن راسم باشا (١٠ سبتمبر ١٨٦٨ ـ ٩ أكتوبر ١٨٦٨) ومن (٢٩ أغسطس ١٨٧٣ ـ ٢٦ أكتوبر ١٨٧٣) ومن (٢ مارس ١٨٧٤ ـ ١٩ أبريل ١٨٧٤) ومن (٣ يناير ١٨٧٦ ـ ٥ يونيو ١٨٧٦). يوناني الأصل من المورة. توفي بالآستانة في عام ١٨٨٣.

٢١) محمد زكي باشا (٢٦ يونيو ١٨٧١ ـ ٤ أغسطس ١٨٧٢) ومن (٩ أكتوبر ١٨٧٨ ـ ٧ أبريل ١٨٧٩). ينحدر من أصل ألباني. توفي في عام ١٨٩٥.

٢٢) محمد ثابت باشا (٢٧ أكتوبر ١٨٧٣ ـ ١ مارس ١٨٧٤). أحد الجراكسة اللامعين في عصر محمد علي. ولد في عام ١٨٢٠، وتوفي في ٢٧ يناير عام ١٩٠٢.

٢٣) عمر لطفي باشا (٢٠ أبريل ١٨٧٤ ـ ١٠ أغسطس ١٨٧٤) ومن (٥ يونيو ١٨٧٦ ـ ١٤ أكتوبر ١٨٧٧) ومن (١٢ أكتوبر ١٨٨١ ـ ٢٥ يوليو ١٨٨٢). ينتمي إلى الطبقة التركية الجراكسية. توفي في يوليو ١٨٩٩.

٢٤) مصطفى فهمي باشا (١١ أغسطس ١٨٧٤ ـ ١٣ أكتوبر ١٨٧٤) ومن (١٢ أبريل ١٨٧٩ ـ ٢ يوليو ١٨٧٩). من مواليد كريت عام ١٨٤٠ وهو من أصل تركي. توفي في شهر سبتمبر عام ١٩١٤.

٢٥) حسن حلمي باشا (٢٣ أكتوبر ١٨٧٤ ـ ٣٠ سبتمبر ١٨٧٥). توفي في عام ١٨٩٦.

٢٦) علي صادق باشا (١٠ أكتوبر ١٨٧٥ ـ ٢ يناير ١٨٧٦) ومن (٣ يوليو ١٨٧٩ ـ ٦ أكتوبر ١٨٧٩). توفي في عام ١٨٩٠ ويذكر البعض أن وفاته عام ١٨٩٥.

٢٧) عبد القادر حلمي باشا (١٥ أكتوبر ١٨٧٧ ـ ٢ أكتوبر ١٨٧٨). من مواليد حمص بسوريا عام ١٨٣٧ حيث كان والده من جنود الوالي إبراهيم باشا. توفي في حلوان في ٢٢ يوليو ١٩٠٨.

٢٨) أحمد رأفت باشا (١٥ يوليو ١٨٨٠ ـ ١١ أكتوبر ١٨٨١) ومن (٢٥ يوليو ١٨٨٢ ـ ١٨ فبراير ١٨٨٣). جركسي الأصل، توفي في ٣ ديسمبر ١٩٠٢.

٢٩) عثمان عرفي باشا (١٩ فبراير ١٨٨٣ ـ ١٣ مايو ١٨٩٢) توفي في عام ١٩٠١.

٣٠) محمد ماهر باشا (١٤ مايو ١٨٩٢ ـ ٢٤ سبتمبر ١٨٩٣). من مواليد عام ١٨٥٤.

٣١) إبراهيم نجيب باشا (٢ أكتوبر ١٨٩٣ ـ ١٢ أكتوبر ١٨٩٤) من مواليد عام ١٨٥٦.

٣٢) أمين فكري باشا (١٥ نوفمبر ١٨٩٤ ـ ٢٨ فبراير ١٨٩٦) من مواليد عام ١٨٥٦، وتوفي في ١٧ يناير عام ١٨٩٩.

٣٣) إسماعيل صبري باشا (١ مارس ١٨٩٦ ـ ٥ نوفمبر ١٨٩٩) من مواليد ١٦ فبراير عام ١٨٥٤ بالقاهرة، وينتمي إلى أصل حجازي، توفي عام ١٩٢٣. يعتبر من فرسان الشعر الحديث الخمسة الذين اضطلعوا بإرساء قواعده وإقامة دعائمه، وهم (محمود سامي البارودي، وأحمد شوقي، وخليل مطران، وحافظ إبراهيم) له دواوين من الشعر طبعت بعد وفاته.

٣٤) محمود صدقي باشا (٦ نوفمبر ١٨٩٩ ـ ٢٥ مارس ١٩٠٦) من مواليد القاهرة ١٤ يناير ١٨٥١، وتوفي بالإسكندرية عام ١٩٢٤. كان طبيبا تلقى تعليمه في مدرسة الطب وأرسل في بعثة إلى باريس فدرس الطب هناك وحصل منها على شهادة الدبلوم.

٣٥) مصطفى عبادي باشا (٢٦ مارس ١٩٠٦ ـ ٤ مارس ١٩١٣) من مواليد عام ١٨٥٠. وتوفي في ١٨ مايو عام ١٩١٣.

٣٦) أحمد زيوار باشا (٥ مارس ١٩١٣ ـ ٣٠ ديسمبر ١٩١٧) من مواليد الإسكندرية في ١٤ نوفمبر ١٨٦٤ وينحدر من أسرة يونانية الجنسية تركية الأصل. توفي في عام ١٩٤٥ ودفن بالإسكندرية.

٣٧) أحمد مدحت يكن باشا (٣١ ديسمبر ١٩١٧ ـ ١٨ أبريل ١٩١٩) من مواليد عام ١٨٧٨، وتوفي في عام ١٩٤٤.

٣٨) حسن عبد الرازق باشا (٢ مايو ١٩١٩ ـ ٩ نوفمبر ١٩٢٠).

٣٩) محمد حداية باشا (١٠ نوفمبر ١٩٢٠ ـ ٢٧ مارس ١٩٢٣) سكندري الأصل.

٤٠) محمد مقبل باشا (٢٨ مارس ١٩٢٣ ـ ٩ فبراير ١٩٢٤). من مواليد ٢٩ سبتمبر ١٨٧٠ بالإسكندرية.

٤١) محمد صدقي باشا (١٠ فبراير ١٩٢٤ ـ ١٧ مارس ١٩٢٥) من مواليد ٣٠ ديسمبر ١٨٧١.

٤٢) حسين صبري باشا (١٨ مارس ١٩٢٥ ـ ١٠ يناير ١٩٣٧). خال الملك فاروق.

٤٣) محمد حسين باشا (٣ مارس ١٩٣٧ ـ ٢٤ أبريل ١٩٤٢).

٤٤) محمد عبد الخالق حسونة باشا (٢٥ أبريل ١٩٤٢ ـ ١٥ مايو ١٩٤٨). من مواليد ٢٨ أكتوبر ١٨٩٨ وتوفي عام ١٩٩٠. أنشئت في عهده جامعة

الإسكندرية عام ١٩٤٢. وشغل منصب الأمين العام لجامعة الدول العربية لمدة عشرين عاما (١٩٥٢ - ١٩٧٢).

٤٥) بدوي خليفة باشا (١٩ مايو ١٩٤٨ - ١٤ أغسطس ١٩٤٩). من مواليد ٧ ديسمبر ١٨٩٠ بمديرية المنوفية.

٤٦) أحمد لطفي بك (١٤ أغسطس ١٩٤٩ - ٢٧ أبريل ١٩٥٠).

٤٧) أحمد مرتضى المراغي باشا (٢٧ أبريل ١٩٥٠ - ٢٧ يناير ١٩٥٢) من مواليد ١٩٠٩ وتوفي في عام ١٩٩١.

٤٨) المستشار / محمد مصطفى كمال الديب (١٠ أبريل ١٩٥٢ - ٥ يناير ١٩٥٧) من مواليد عام ١٨٩٧، وتوفي عام ١٩٨٠،

٤٩) الأستاذ / إسماعيل محمود مهنا (٤ مارس ١٩٥٧ - ١٠ سبتمبر ١٩٦٠).

٥٠) اللواء / صديق عبد اللطيف (٨ أكتوبر ١٩٦٠ - ١٢ نوفمبر ١٩٦١).

٥١) الأستاذ / محمد حمدي عاشور - حمدي عاشور (١٢ نوفمبر ١٩٦١ - ٢٧ أكتوبر ١٩٦٨) من مواليد ١٨ مارس عام ١٩١٨ بدمياط، توفي في عام ١٩٨٥.

٥٢) اللواء / أحمد كامل (٦ نوفمبر ١٩٦٨ - ١٧ نوفمبر ١٩٧٠). عين مديرا للمخابرات العامة عام ١٩٧٠.

٥٣) اللواء / ممدوح سالم (١٨ نوفمبر ١٩٧٠ - ١٣ مايو ١٩٧١) من مواليد الإسكندرية عام ١٩١٨. وتوفي في عام ١٩٨٨. تولى مهام منصب رئيس الوزراء في ١٦ أبريل عام ١٩٧٥. عين مساعدا لرئيس الجمهورية في عام ١٩٧٨.

٥٤) الدكتور / أحمد فؤاد محيي الدين - فؤاد محي الدين (١٨ مايو ١٩٧١ - ٧ سبتمبر ١٩٧٢) من موائيد القليوبية في ١٦ نوفمبر عام ١٩٢٦.

توفي في مكتبه في ٥ يونيو ١٩٨٤. تولى مهام منصب رئيس الـوزراء في ٣ يناير ١٩٨٢.

٥٥) الأستاذ / عبـد المنعم وهبي (٨ سبتمبر ١٩٧٢ ـ ٢٨ مايو ١٩٧٤) من مواليد عام ١٩١٢ بالمنصورة.

٥٦) اللـواء / عبـد التـواب أحمـد هديب ـ عبد التـواب هديـب (٢٩ مـايو ١٩٧٤ ـ ٢٧ نوفمـبر ١٩٧٨) مـن مواليـد ٣ ينـاير ١٩١٧ بمحافظـة بـني سويف.

٥٧) الأستاذ الدكتور / محمد فؤاد حلمي (٢٨ نوفمبر ١٩٧٨ ـ ١٤ مـايو ١٩٨٠) من مواليد ١٦ ديسمبر ١٩١٨ بالقـاهرة، وتـوفي في عـام ١٩٨٣ (دكتوراه في الهندسة المعمارية وتخطيط المدن). يرجع إليه الفضل في ولادة مشروع التخطيط الشامل لمدينة الإسكندرية حتى عام ٢٠٠٥ الذي قامت به جامعة الإسكندرية بالاشتراك مع أساتذة مـن جامعـة ليفربول. وكان مدير المشروع.

٥٨) الأستاذ الدكتور / نعيم مصطفى أبو طالب ـ نعيم أبو طالب (١٥ مـايو ١٩٨٠ ـ ٢٣ أغسطس ١٩٨١). من مواليد ٢٤ أبريل ١٩٢٦ بالإسكندرية، وتوفي في عام ١٩٩٣. (دكتوراه في الهندسة الكهربائية).

٥٩) الفريق / محمد سعيد الماحي (٢٤ أغسطس ١٩٨١ ـ ١٧ مـايو ١٩٨٢). من مواليد أول فبراير ١٩٢٢ بدمياط.

٦٠) اللـواء / محمـد فـوزي معاذ (١٨ مايو ١٩٨٢ ـ ١٩ يونيـو ١٩٨٦). مـن مواليد ١٣ يونيو ١٩٢٨ بمنشية سلطان بالمنوفية. تـوفي عـام ١٩٨٦ أثنـاء توليه منصبه محافظا للإسكندرية.

٦١) المستشار / السيد إسماعيل الجوسقي ـ السيد الجوسقي (١٠ يوليـو ١٩٨٦ ـ ٨ يوليو ١٩٩٧) من مواليد ١٧ فبراير ١٩٢٩ بالزقازيق.

٦٢) اللواء / محمد عبد السلام المحجوب (٩ يوليو ١٩٩٧ ـ ٠٠٠٠٠) من مواليد ٦ سبتمبر عام ١٩٣٥ بالمنصورة. تم في عهده تحديث المخطط العام للمدينة واستراتيجية التنمية العمرانية الشاملة للمحافظة حتى عام ٢٠١٧.

وقبل أن يختتم د. مجدي مصباح كتابه بنظرة تحليلية، يذكر أن التاريخ سوف يسجل بأحرف من نور اسم محافظ الإسكندرية اللواء / محمد عبد السلام المحجوب. الذي شهدت الإسكندرية في عهده طفرة لم يسبق لها مثيل في مختلف المجالات، فقد استطاع أن يعيد الإسكندرية إلى سابق عهدها عروسا للبحر المتوسط، فالميادين تجمل، والمباني تشيد، والعمل يجري على قدم وساق في كل مكان. وهكذا أصبحت الأحلام حقيقة بفضل العمل الدءوب الذي يقوم به سيادته، وبالإضافة إلى ما سبق ذكره فإن هناك مشروعات أخرى مازالت في حيز التنفيذ أهمها: مشروع مترو الأنفاق.

***

ولعل المتأمل في الأرقام والتواريخ السابقة، والخاصة بتولية كل محافظ على حدة، يتضح له أن هناك بعض المحافظين لم يمكثوا سوى أشهر قليلة في مناصبهم، وخاصة محافظي ما قبل ثورة يوليو ١٩٥٢، مثل حسن راسم باشا (١٠ سبتمبر ـ ٩ أكتوبر ١٨٦٨) والذي عين أكثر من مرة ـ بعد ذلك ـ في المنصب ذاته. وفي كل مرة لا يمكث سوى القليل. ومثل حسين شيرين باشا الذي عين أكثر من مرة في منصب المحافظ، وكان أقصر مدة قضاها حوالي ثلاثة أشهر (١٩ سبتمبر ـ ٢٦ نوفمبر ١٨٧٠) وأطول مدة كانت أقل من ثلاثة أشهر (٣ أغسطس ـ ٢٣ أكتوبر ١٨٦٤). وكذا محمد زكي باشا، وعمر لطفي باشا، وغيرهم.

وأعتقد إن دل هذا على شيء، فإنه يدل على عدم الاستقرار في هذا المنصب في بعض السنوات، لأسباب قد تكون سياسية أو عسكرية أو مالية، أو خلاف مع السلطة الرئيسية، وعندما ينقشع هذا الخلاف، تعود الأمور لطبيعتها، ويعود المحافظ إلى منصبه أو شيء من هذا القبيل.

أيضا يتضح أن المستشار محمد مصطفى كمال الديب كان يشغل منصب محافظ الإسكندرية، قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وأنه استمر في منصبه لمدة خمس سنوات، حتى أوائل عام ١٩٥٧ أي أنه عاصر محاولة اغتيال الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في ميدان المنشية بالإسكندرية عام ١٩٥٤ ولم يقل من منصبه بعد هذه المحاولة الفاشلة !! وأنه عاصر أيضا خطاب تأميم قناة السويس في المكان نفسه عام ١٩٥٦.

يتضح لنا أيضا أن أطول مدة قضاها محافظ للإسكندرية في الحكم ـ قبل الثورة ـ كانت ٢٧ عاما، حيث تقلد محرم بك هذا المنصب (١٨٢٠ ـ ١٨٤٧) وكان متزوجا من كريمة محمد علي باشا. يليه حسين صبري باشا ١٢ عاما، وهو خال الملك فاروق.

أما أطول مدة قضاها محافظ للإسكندرية في منصبه بعد الثورة، فكانت للمستشار السيد إسماعيل الجوسقي (١١ عاما) عادت الإسكندرية خلالها كثيرا إلى الوراء.

ومن المحافظين الذين جاءوا بعد الثورة، وما زال اسمهم عالقا في أذهان الشعب السكندري، ووجدانه، محمد حمدي عاشور، ومحمد عبد السلام المحجوب، اللذان حاولا استعادة الإسكندرية، ونجحا في ذلك.

استعادة المكتبة

مكتبة الإسكندرية
الحريق .. والإحياء

تعتبر مكتبة الإسكندرية القديمة أكبر وأضخم مكتبات العصور القديمة والوسطى، وقد حفظت الفكر الإنساني لمدة تزيد على ستة قرون على الأقل، وقد تمتد في نظر البعض إلى تسعة قرون. ولم تكن مكتبة الإسكندرية مجرد مكتبة لحفظ وتنظيم وتحليل وتيسير الإفادة من مصادر المعلومات، ولكنها كانت أكاديمية كاملة لترقية العلوم وتطويرها ومكانا لإجراء التجارب ومدرسة لتعليم العلوم، ومكانا للبحث والدرس يؤمه العلماء من كل حدب وصوب.

وقد كثر الحديث عن مكتبة الإسكندرية القديمة هذه الأيام، وخاصة بعد افتتاح مكتبة الإسكندرية الجديدة في المكان نفسه ـ تقريبا ـ الذي كانت فيه المكتبة القديمة بتلك المدينة الخالدة.

كما تعددت الكتابات ووجهات النظر حول مشروع المكتبة الجديدة، وأسباب إحياء المكتبة القديمة على هذا النحو الذي لفت أنظار العالم منذ نهاية السبعينيات وحتى الآن.

ويأتي كتاب الدكتور شعبان عبد العزيز خليفة، أستاذ المعلومات بكلية الآداب جامعة القاهرة، الصادر عن سلسلة كتاب الجمهورية، ليتحدث ـ من خلال خمسة فصول وقعت في ١٣٢ صفحة من القطع العادي ـ بنبرة علمية موضوعية عن مكتبة الإسكندرية قديما وحديثا.

فيحدثنا في الفصل الأول عن مدينة الإسكندرية القديمة والحضارة الهللينية، وهي الحضارة التي ازدهرت في القرون الثلاثة السابقة على ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ مباشرة، أي التي أعقبت موت الإسكندر الأكبر، وهي في أصلها وجوهرها حضارة يونانية امتزجت بحضارات المناطق التي فتحها الإسكندر، وكوَّن منها إمبراطوريته. ويوضح المؤلف أن أعمال إنشاء المدينة التي بدأت عام ٣٣١ ق.م. قسمت المدينة إلى ثلاثة أقسام: حي المصريين (وهم أهل البلد الأصليون) وحي البروكيوم (وهو الحي الملكي اليوناني المقدوني الذي كان يحتل واجهة الميناء الكبير) والحي اليهودي (وكانت له أسواره الخاصة به التي تفصله عما سواه). هذا بالإضافة إلى وجود أربعة مبانٍ تذكارية تميزت بها المدينة هي: ١ ـ ضريح العظماء (سوما) ويقال إن الإسكندر دفن في هذا الضريح، بعد استعادة جثمانه، وأن كليوباترا وأنطونيو دفنا أيضا به. ٢ ـ المتحف وكان أكاديمية كاملة للدرس والبحث العلمي. ٣ ـ السيرابيوم وهو معبد أقيم على ربوة عالية في الحي المصري القديم (راقودة ـ كرموز الآن). ٤ ـ المكتبة وكانت أحد ملحقات المتحف الأساسية وجزءا متكاملا مع مبانيه. وقد ساعد ذلك على ازدهار

الحركة العلمية الثقافية الفكرية الحضارية في العصر الهلليني، كما ساعد على ازدهار حركة التأليف والترجمة والنشر.

ويستقل الفصل الثاني من الكتاب بالحديث عن تأسيس وقيام مكتبة الإسكندرية القديمة، وعن إدارة هذه المكتبة، وأشهر الأمناء الذين تعاقبوا عليها من خلال ثلاث قوائم هي قائمة خليفة وقائمة العبادي وقائمة غندور. ومن خلال تأمل هذه القوائم يتضح أن من أشهر أمناء المكتبة: ديمتريوس الفاليري، وزينودوتس، وكاليماخوس، وأبوللونيوس.

وتحدث الفصل الثالث عن مجموعات مكتبة الإسكندرية القديمة، بما فيها فهارس كاليماخوس. وقد قسمت المجموعات إلى: ١ . الشعر الملحمي وغيره من الأشعار غير الدرامية. ٢ . الدراما. ٣ . القوانين. ٤ . الفلسفة. ٥ . التاريخ. ٦. الخطابة. ٧ . الطب. ٨ . العلوم الرياضية. ٩ . العلوم الطبيعية. ١٠ . المتفرقات.

ويتضح من خلال هذا أن فهارس كليماخوس كانت أعظم الفهارس التي أنجزت لهذه المكتبة العالمية، وأن صاحبها استحق لقب أبي الببلوجرافيا. ولكن فقدت هذه الفهارس الأمر الذي يجعل المؤلف يختتم هذا الفصل بقوله: "إن خسارة البشرية في فقد فهارس كاليماخوس هي خسارة فادحة بلاشك تسببت في طمس معالم العصور القديمة كلها ودفعت بالبشرية إلى ظلام العصور الوسطى ضمن عوامل أخرى كثيرة".

ويتحدث الفصل الرابع عن مصير مكتبة الإسكندرية القديمة.

ومن المعروف أن المكتبة انتهت بالحريق، ويفند المؤلف زعم أن المكتبة احترقت على يد كل من، أو على يد واحد من: ١ . يوليوس قيصر ٤٧ ق.م. ٢ . أورليان ٢٧٣ م. ٣ . ثيودوسيوس وثيوفيلوس ٣٩١ م. ٤ . عمرو بن العاص ٦٤٢م.

ويخلص في نهاية هذا الفصل إلى أن "باب الاجتهاد مازال مفتوحا وأن الكلمة النهائية الحاسمة لم تعلن بعد، وربما يجود علينا الزمن بأدلة نقلية تحسم هذه القضية، فقد تكشف حفريات عن مكتبة الإسكندرية الأم، أو عن مكتبة معبد السيرابيوم أو مكتبة القيصرون، مطمورة مغمورة في باطن أرض الإسكندرية، كما حدث في مكتبات العراق القديم ومكتبة برجاموم، وساعتئذ سوف نقفل باب المناقشة والاجتهاد ويسدل الستار على أعظم مكتبات العالم حتى بداية القرن العشرين الميلادي".

أما الفصل الخامس والأخير، فيخصصه المؤلف للحديث عن مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية، الذي بدأه بحماس أحد أساتذة جامعة الإسكندرية أثناء زيارة لمكتبة الكونجرس الأمريكي، حيث قال الأستاذ مداعبا مدير المكتبة لماذا لا نحيي مكتبة الإسكندرية القديمة في نفس المكان، فأخذ مدير مكتبة الكونجرس في ذلك الوقت (دانييل بروستين) الدعابة على محمل الجد، ومن هذه النقطة بدأ التفكير الجدّي في مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة، فتبرعت جامعة الإسكندرية بقطعة الأرض التي ستقام عليها المكتبة، وكذلك بمركز المؤتمرات المقام فعلا إلى جوار تلك الأرض.

وفي يونيو ١٩٨٨ وضع الرئيس محمد حسني مبارك ومدير عام اليونسكو فيديريكو مايور حجر الأساس لهذا المشروع العظيم، وخرج المشروع من المحلية إلى العالمية.

ويتحدث المؤلف في هذا الفصل عن الإدارة والتنظيم في مكتبة الإسكندرية الجديدة، وعن الموقع والمبنى والتجهيزات، وعن هوية المكتبة والمجموعات، ثم يتساءل ماذا نريد لمكتبة الإسكندرية أن تكون: هل نريدها مكتبة عالمية، أم نريدها مكتبة وطنية ثانية لمصر، أم نريدها

مكتبة جامعية لجامعة الإسكندرية، أم نريدها مكتبة بحث متخصصة، وفي أي مجال؟ أم نريدها مكتبة عامة بديلة لمكتبة البلدية (مكتبة المحافظة الموجودة حاليا)؟

وبعد تفنيد إجابات الأسئلة السابقة، يميل المؤلف (وهو كما سبق القول أستاذ متخصص في المكتبات والمعلومات) إلى الرأي القائل بجعل مكتبة الإسكندرية الجديدة مكتبة بحوث متخصصة في دراسات حوض البحر المتوسط حيث يمكنها المنافسة فيه وشق طريقها إليه، وهو في هذا ينطلق من فقرة وردت في خطاب الرئيس حسني مبارك في ختام الاحتفال بصدور إعلان أسوان التاريخي العالمي الخاص بمكتبة الإسكندرية الجديدة في ١٢ من فبراير ١٩٩٠ حين قال: "نرجو أن تضم مكتبة الإسكندرية الأكاديمية كل الوثائق والموسوعات والمؤلفات القديمة والحديثة التي تتصل بمصر وحوض البحر المتوسط وإفريقيا والشرق الأوسط مع الاهتمام بصفة خاصة بالإسكندرية".

مكتبة الإسكندرية والمواطن السكندري

قرأت مقال الكاتب ميشال سايان الذي نشر بموقع ميدل إيست أونلاين، قبيل افتتاح مكتبة الإسكندرية في ١٦ أكتوبر ٢٠٠٢، وكان بعنوان "مكتبة الإسكندرية تستعد لاستقبال ملوك ورؤساء"، وقد ركز الكاتب مقاله حول شخصية الدكتور إسماعيل سراج الدين، مدير المكتبة، وأهم إنجازاته العلمية، والمناصب الرفيعة التي تقلدها، وذلك بمناسبة حفل افتتاح مكتبة الإسكندرية الذي يشارك فيه الرئيسان مبارك وشيراك، والملكتان رانيا وصوفيا، وجمع من النجوم العالميين.

وأود أن أضيف إلى ما جاء في مقال ميشال سايان، أنه ليست المكتبة وحدها، هي التي تستعد لاستقبال الملوك والرؤساء، ولكن شعب الإسكندرية بجميع فئاته وطوائفه، يشارك في هذا الاستعداد، وفي هذا الاستقبال.

لقد أصبحت المكتبة حديث رجل الشارع العادي، الذي قد لا يملك قسطا وافرا من الثقافة أو حتى التعليم، ولكن لديه شعور عميق بأن المكتبة ستضيف إليه وإلى شخصيته شيئا ما.

الجميع هنا يتحدثون عن المكتبة، وعن حفل الافتتاح.

الكل مبتهج لهذا الحدث العالمي، الذي وضع الإسكندرية في صورة لائقة بالفعل - وليس بالقول - على الخريطة العالمية.

ومن ملاحظاتي على الإسكندرية في الشهور السابقة، أن أمام مبنى المكتبة - من جهة البحر - تتوقف مواكب الزفاف السكندرية، لِتُلتقط للعروسين صور تذكارية. كان هذا يحدث فقط، وحتى وقت قريب، أمام مسجد المرسي أبي العباس (أشهر مساجد الإسكندرية)، وأمام ساعة الزهور بحديقة الشلالات، وأحيانا أمام قلعة قايتباي بالأنفوشي. الآن دخلت مكتبة الإسكندرية في وجدان الجماهير، وأحدثت علاقة تلقائية وحميمة في أبسط الظواهر الاجتماعية، وأكثرها دلالة على الفخر والاعتزاز، ومن أهم مؤشرات تلك العلاقة، التقاط الصور التذكارية في أحلى ساعات العمر (ليلة الزفاف) أو (ليلة الخطوبة).

من حوالي شهر تقريبا، مررت أمام المكتبة في سيارة تاكسي، أشار السائق إلى المكتبة في اعتزاز، وقال بتلقائية أولاد البلد: تعرف يا أستاذ، أنا فكرت أن أتعلم اللغة الإنجليزية، وكذلك اللغة الفرنسية. عجبتُ لكلامه المفاجئ، وسألته لماذا؟ قال: حتى أستطيع التحدث والتفاهم مع الأجانب الذين سيأتون إلى الإسكندرية أثناء افتتاح المكتبة، وبعدها أيضا. ومضى يقول: الإسكندرية الآن أصبحت مدينة عالمية مثل باريس ولندن ونيويورك

وطوكيو، ويجب على كل شعبها أن يعرف أكثر من لغة، لنستطيع التفاهم مع الأمم التي ستأتي إلينا بعد الافتتاح. وقد صدقت على كلامه، وقلت له: عندك حق.

هذا هو الحس الشعبي بالمكتبة، فما بالنا بحس الشعراء والأدباء والمثقفين والكتّاب والفنانين السكندريين؟

على الرغم من مقاطعة بعضهم للأنشطة الثقافية التي صاحبت معرض الإسكندرية للكتاب الدولي الأول الذي نظمته المكتبة خلال شهر يوليو ٢٠٠٢، لإحساسهم بالتهميش في أنشطة المكتبة عموما، وفي فعاليات المعرض الثقافية خصوصا، إلا أنهم، وقد اقترب موعد العرس الثقافي الحقيقي، وهو يوم الافتتاح العالمي للمكتبة في ١٦ أكتوبر الحالي، يضعون أنفسهم وأعمالهم وفكرهم وقصائدهم وفنهم وثقافتهم تحت تصرف إدارة المكتبة.

وقد عقد مدير المكتبة د. إسماعيل سراج الدين، ود. يوسف زيدان مدير إدارة التزويد والمخطوطات، اجتماعا في ٥ سبتمبر الماضي في قاعة الأتودريوم بالمكتبة مع وفد من أعضاء اتحاد كتاب مصر بالإسكندرية برئاسة أ.د. محمد زكي العشماوي، للوقوف على مطالبهم من المكتبة، وللاحتفال معهم بافتتاح فرع اتحاد الكتّاب بالإسكندرية.

إن هذا الشعور من مسئولي المكتبة نحو كتّاب الإسكندرية، يدعو إلى التفاؤل بعظم العائد الثقافي الذي سيعود على أدباء الثغر وكتّابه في المستقبل القريب.

لقد عدتُ منذ قليل - وقبل كتابة هذا المقال - من طريق الكورنيش،

حيث وجدت جموعا من عمال النقاشة والطلاء، يطلون أرصفة الكورنيش باللونين الأبيض والأسود، كما رأيت عمال النظافة يقومون بتنظيف زجاج أنفاق المشاة الموجودة على طول الكورنيش. الكل يعمل بجد واجتهاد من أجل يوم العرس، يوم السادس عشر من أكتوبر. فعلا إنه شهر الانتصارات والأفراح التي اشتاق إليها الشعب المصري، خاصة في مثل هذه الأيام التي يواسي فيها المصري أشقاءه في فلسطين والعراق والسودان.

لقد عُلقت على أعمدة جديدة - بطول الكورنيش، من قصر المنتزة وحتى رأس التين - صور الإسكندرية القديمة (منذ مائة عام فأكثر) وصور تماثيل أهم الشخصيات التاريخية القديمة التي عاشت أو مرت على الإسكندرية، مثل الإسكندر الأكبر، ويوليوس قيصر، وكليوباترا ومارك أنطونيو، وأوكتافيو أغسطس .. الخ. لإضفاء الطابع التاريخي والأثري على تلك المدينة التاريخية والأثرية بالفعل، التي بُدئ في تشييدها قبل الميلاد بأكثر من ثلاثمائة عام (بالتحديد عام ٣٣٢ ق.م).

وأعتقد أنه لم يزر الإسكندرية - طوال عمرها - مثل هذه الوفود الأجنبية والعربية مجتمعة، لهدف ثقافي سامٍ، هو افتتاح مكتبة الإسكندرية.

ربما في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، كان الملوك والرؤساء العرب يأتون من أجل اجتماعات مؤتمرات القمة العربية التي عقدت في الإسكندرية. والتي من أجلها شيد فندق فلسطين بحدائق المنتزة. أما أن تأتي الوفود العربية والأجنبية، بما فيها من ملوك وملكات ورؤساء وأمراء وأميرات معا، ورجال علم وثقافة وفائزين بجوائز عالمية مثل نوبل وغيرها، في يوم معلوم. ولهدف محدد تجمع عليه الدول المتحضرة، فربما لم

يحدث هذا من قبل، حتى في عصر كليوباترا وما قبلها من عصور، أو في ظل وجود المكتبة القديمة.

لقد دبَّ النشاط في المراكز الثقافية الأخرى بالثغر، مثل مركز الإسكندرية للإبداع، وقصر التذوق بسيدي جابر، ومتحف الفنون الجميلة بمحرم بك، وغيرها. وعلى سبيل المثال حضرت في مساء يوم السبت الموافق ٥ أكتوبر، بمركز الإسكندرية للإبداع (الذي افتتحته السيدة سوزان مبارك في عام ٢٠٠١، وكان لي شرف حضور هذا الافتتاح) معرضا تشكيليا للفنان د. مصطفى عبد الوهاب، وبعدها بساعة واحدة أدرتُ أمسيةً شعرية للشاعر أحمد سويلم، وبعض شعراء الإسكندرية، في ذكرى انتصارات أكتوبر المجيدة، وبعد انتهاء الأمسية توجهنا لقاعة المسرح بالمركز لحضور الحفل الموسيقي الذي تقدمه أكاديمية الفنون (الكونسرفاتوار) بالتعاون مع المجلس الألماني للموسيقى وجامعة بون، بقيادة فالتر لودفيج ميك وسوزانا بيلنجهاوزن.

لقد كان يوما مشحونا بالشعر والموسيقى والتصوير، تذكرت فيه المقولة الشهيرة: "الشعر يقع في المنطقة الوسطى بين التصوير والموسيقى"، وهو ما حدث بالضبط في ٥ أكتوبر ٢٠٠٢ بمركز الإسكندرية للإبداع.

والخلاصة، إن مكتبة الإسكندرية الجديدة، ستضيف بلا شك، إلى شخصية الإسكندرية بعدا عالميا جديدا، مثلما أضافت الإسكندرية إلى المكتبة أبعادا متوسطية وأخرى عالمية جديرة بالدراسة.

ومن هنا يكمن الفرح الحقيقي لدى المواطن السكندري بافتتاح المكتبة.

مكتبة الإسكندرية

منارة الفكر والحضارة

احتفلت مؤسسة أخبار اليوم بالقاهرة ، بافتتاح مكتبة الإسكندرية، فأصدرت تحت عنوان "مكتبة الإسكندرية ـ منارة الفكر والحضارة" أسطوانة فيديو ـ سي دي (بالصوت والصورة) هديةً مجانية مع مجلة "أخبار النجوم" الأسبوعية.

احتوت هذه الأسطوانة ـ ومدة عرضها ستون دقيقة ـ على صور ولقطات كثيرة ملونة للإسكندرية والمكتبة، من الطائرة، ومن الأرض، والبحر، ومن جميع الزوايا والجهات، والأوقات المختلفة (ليلا ونهارا)، والأماكن المتعددة، سواء داخل المكتبة أو خارجها.

من أهم الصور والكلمات التي تضمنتها الأسطوانة، كلمة الرئيس حسني مبارك خلال حفل إعلان أسوان عام ١٩٩٠ بإنشاء المكتبة، وكذلك كلمة السيدة سوزان مبارك في هذا الحفل، ولقطات توقيع الرئيس الفرنسي

السابق فرانسوا ميتران، والملكة صوفيا، ملكة أسبانيا، والشيخ زايد آل نهيان أمير دولة الإمارات العربية المتحدة، ورؤساء الوفود الأخرى أثناء توقيع إعلان أسوان.

كما احتوت الأسطوانة أيضا، على لقطات فيديوية لمراحل بناء المكتبة منذ وضع حجر الأساس، وحتى اكتمال البناء والتأسيس، والافتتاح التجريبي في أكتوبر ٢٠٠١. مع عرض نماذج مجسدة للإسكندرية القديمة، وبعض اللوحات التشكيلية، والأفلام الكرتونية، ومشاهد من فيلم "كليوباترا" بطولة الفنانة العالمية إليزابيث تايلور، بما فيها حريق المكتبة، وحريق الإسكندرية على يد قيصر الروم.

كما اشتملت الأسطوانة أيضا على كلمات للسيد اللواء عبد السلام المحجوب محافظ الإسكندرية، ود. إسماعيل سراج الدين مدير عام المكتبة، ود. جاك أتاك عضو مجلس أمناء المكتبة (من فرنسا) ود. عبد اللطيف الحمد عضو مجلس أمناء المكتبة (من الكويت) ود. الطاهر بن جلون عضو مجلس أمناء المكتبة (من المغرب) فضلا عن كلمات رؤساء مجالس الإدارات التي شاركت في تمويل إنتاج هذه الأسطوانة، بالتعاون مع مؤسسة أخبار اليوم.

أيضا اشتملت الأسطوانة على لقطات للتماثيل المختلفة الموجودة حاليا بالمكتبة، وعلى شرح لكيفية استخدام أجهزة الكمبيوتر بها، وصور للمخطوطات النادرة الموجودة بقاعة المخطوطات، مع جولة رائعة داخل أقسام المكتبة، وداخل القبة السماوية الموجودة خارج مبنى المكتبة.

لقد صدر أكثر من كتاب (ورقي) جديد عن المكتبة وعن افتتاحها، ولكن يظل لهذه الأسطوانة مواكبتها لروح العصر، وسهولة استخدامها، وروعة إخراجها، ومجانية سعرها.

قام بالتعليق الصوتي على مواد الأسطوانة مذيعة التلفزيون المعروفة هالة أبو علم، وأخرجها عادل مكين.

دار الحكمة
لم تكن جزءا من مكتبة الإسكندرية القديمة

أشار الكاتب المسرحي الكبير ألفريد فرج في مقاله "زيارة إلى مكتبة الإسكندرية" المنشور في أهرام ٦ يناير ٢٠٠٢ إلى أن دار الحكمة كانت تقع ضمن جدران مكتبة الإسكندرية القديمة، فقال: "مكتبة الإسكندرية ليست مجرد خزانة للكتب، ولم تكن كذلك في ماضيها، حيث كانت تضم في جدرانها "دار الحكمة" التي اجتمع بها العلماء والأدباء والفلاسفة، فكانت مركز بحوث عالميا كبيرا، الأول من نوعه في التاريخ".

ويبدو أن هناك خلطا لدى الكثيرين من كتابنا، بين دار الحكمة والمتحف ومكتبة الإسكندرية القديمة. وبالرجوع إلى كتاب الإسكندرية القديمة لمحمود باشا الفلكي الذي ألفه باللغة الفرنسية عام ١٨٦٦، ثم ترجمه حفيده محمود صالح الفلكي ونشرته الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية التي كان يرأسها في ذلك الوقت محافظ الإسكندرية محمد حمدي عاشور عام ١٩٦٦ . وهو من أهم المراجع في

هذا الصدد ـ نكتشف أن دار الحكمة كانت ملحقة بالسرابيوم الذي يشغل جزءا منه عمود السواري الموجود حاليا بمنطقة كوم الشقافة المتاخمة لمنطقة كرموز.

وفي هذا يقول الفلكي باشا ص ١١٧ : "ثالثا وأخيرا، فإن الكتاب القدامى قد اتفق رأيهم على أن السرابيوم كان يضم مكتبة كبيرة، ونحن نجد المؤرخين العرب يذكرون أن (عمود الأعمدة) المعروف عند الأوربيين باسم (عمود بومبي) ونحو مائة من الأعمدة الأخرى المحيطة به، كانت تحمل اسم "دار الحكمة" ومكتبتها التي قيل إن عمرو بن العاص أمر بحرقها، وإذن فلابد أن موضع السرابيوم في نفس ذلك المكان".

وقد وقع في الخلط نفسه الأستاذ الدكتور صبحي عبد الحكيم في كتابه مدينة الإسكندرية حيث قال ص ١٠٢ "إلى الشرق من البانيوم (منطقة كوم الدكة حاليا) كانت توجد دار الحكمة أو المتحف، ويليها شرقا "الجمنازيوم " وهو الملعب الكبير الذي كانَ يطل على شارع كانوب".

ولم أدر كيف فات هذا الأمر أيضا على أ. د. صبحي عبد الحكيم في كتابه هذا الذي هو عبارة عن رسالة الدكتوراه في الآداب بمرتبة الشرف الأولى، والتي طبعتها مكتبة مصر عام ١٩٥٨، واعتمد فيها على كتاب الفلكي باشا اعتمادا كبيرا قبل ترجمته إلى العربية.

ولعلي أستطيع أن أتساءل الآن هل كان هناك داران للحكمة في الإسكندرية، واحدة ملحقة بالسرابيوم، وأخرى ملحقة بالمتحف والمكتبة؟ وعلى الرغم من أن أحدا من الباحثين لم يشر إلى هذا، إلا أن هذا الخلط الذي وقع فيه أ. ألفريد فرج ومن قبله د. صبحي عبد الحكيم، يجعلني أشك في هذا الأمر.

الأمر الثاني أن إشارة الفلكي إلى أن عمرو بن العاص أمر بحرق مكتبة دار الحكمة، يجعلني أوقن أن دار الحكمة ومكتبتها، تبعد كثيرا عن مكتبة الإسكندرية القديمة والمتحف الذي كانا بالقرب من الميناء الشرقي المطل على رأس لوخياس (السلسلة حاليا) وعندما أمر يوليوس قيصر بحرق سفنه الراسية في هذا الميناء، لأنه لم يكن لديه من الجنود العدد الكافي لحراسة تلك السفن الكثيرة، التهمت النيران جانبا من المكتبة القديمة، طبقا لما ذكره بعض الكتاب القدماء.

مؤسسات ثقافية أخرى

مركز الإسكندرية للإبداع

افتتح مركز الإسكندرية للإبداع (قصر ثقافة الحرية سابقا).

قبل هذا الافتتاح تساءلنا كثيرا عن السبب في تأخر افتتاحه، ولماذا مضت كل هذه السنين على الإصلاح والترميم؟ لقد تربينا في هذا القصر، وتعلمنا فيه الكثير، وأنا شخصيا استفدت منه ومن أساتذته الكثير، فقد ذهبت إليه وأنا طالب في المرحلة الثانوية، وظللت حريصا على حضور نادي الشعر مساء الأحد من كل أسبوع لسنوات طويلة، لم انقطع إلا لسبب قهري.

وفي هذا النادي عرفت أهم شعراء الإسكندرية ومثقفيها وتعلمت منهم: عبد العليم القباني، عبد المنعم الأنصاري، أحمد السمرة، د. يوسف عز الدين عيسى، محجوب موسى، محمود العتريس، وغيرهم.

وفي قاعات القصر الكبرى (ومنها قاعة توفيق الحكيم) شاهدت وتعرفت على أكبر شعراء مصر: صلاح عبد الصبور وأمل دنقل وفاروق شوشة ومحمد

إبراهيم أبو سنة وأحمد سويلم، وطاهر أبو فاشا، وعبد الرحمن الأبنودي وغيرهم.

لقد ظل قصر ثقافة الحرية المكان الذي نلوذ به دائما.

لقد أصبح بيتنا الثقافي الأول في مصر كلها.

وعندما أغلق القصر أبوابه بغرض الإصلاح والتجديد والترميم، شعرنا حقيقة باليتم الثقافي، وتشردنا من مكان إلى آخر، لحين يعاود القصر فتح أبوابه مرة أخرى، فتعود لنا الروح من جديد. ولكن ظل القصر مغلقا لسنوات طويلة.

وعندما جاء موعد الافتتاح، علمت أن القصر لم يصبح قصر ثقافة الحرية كما كان، ولكنه أصبح مركز الإسكندرية للإبداع !!.

في البداية شعرت بالتخوف من هذا التحول، ولكن عندما دعيت لحضور الافتتاح، ودخلت لأول مرة نادي الأدب بالقاعة نفسها التي جلست فيها سنوات طوال أتعلم، وأقرأ قصائدي الجديدة، (وأصبح اسمها الآن قاعة الدكتور يوسف عز الدين عيسى) أحسست بعودة الروح مرة أخرى، خاصة أن القاعة تحولت إلى مكان أكثر جمالا من ذي قبل، وأحسست أنها أصبحت أكثر اتساعا عن ذي قبل، مع أن المساحة هي نفسها، وأحسست أن الجدران تنطق بالشعر، والنجف يصدح بالموسيقى، والنوافذ تقرأ قصصا وروايات، والكراسي شخوص في مسرحية جديدة.

إنه إحساس بالجمال والبهاء والروعة.

دخلت نادي الأدب سابقا (قاعة الدكتور يوسف عز الدين عيسى حاليا) لأول مرة بعد حوالي تسع سنوات، فوجدت أمامي الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي والسيناريست المعروف وحيد حامد، والناقد سيد خميس، والكاتب الصحفي عاصم حنفي .. وكان معي لحظة الدخول: د. محمد زكريا عناني، والشاعر د. فوزى عيسى، والشاعر د. فوزي خضر، والشاعر

المسرحي مهدي بندق، والكاتب والمخرج المسرحي د. أبو الحسن سلام، والروائي مصطفى نصر. وقد أحسوا جميعا الإحساس نفسه الذي انتابني، وظللنا جميعا نتجاذب أطراف الحديث، وكأننا في ندوة أدبية حقيقية، إلى أن شرَّفت القاعة السيدة سوزان مبارك، وفي صحبتها السيد وزير الثقافة الفنان فاروق حسني، والدكتور أحمد نظيف وزير الاتصالات، والسيد اللواء محمد عبد السلام المحجوب محافظ الإسكندرية، والسيد محمد غنيم رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة، ود. أحمد يحيى عاشور رئيس المركز.

استمعت السيدة الفاضلة سوزان مبارك إلى هذا الجمع من الأدباء والمثقفين، كما تحدثت إليهم، وكان لقاء سيادتها بنا لقاء مودة ورغبة حقيقة في التعرف على أفكار وآراء ومطالب هذا العدد، الذي يمثل شريحة من الأدباء والمثقفين في مجتمعنا، فكان مدار الحديث حول المشروع الرائد الذي تقف بجواره بكل الدعم والتأييد وهو مكتبة الأسرة، ونقل الفنان فاروق حسني لسيادتها رغبة أدباء مصر في الأقاليم طباعة أعمالهم في هذا المشروع العملاق، وأن هذا المطلب كان من توصيات المؤتمر الأخير لأدباء مصر في الأقاليم (مؤتمر الفيوم).

وقد أقرت هذا المطلب، وقالت إن مشروع مكتبة الأسرة ملك لكل أدباء ومثقفي مصر، وليس لأدباء القاهرة وحدهم. ومن هنا خرجت التوصية إلى حيز التنفيذ.

وعندما جاء دوري في الحديث إلى سيادتها بعد أن قدمني الأستاذ محمد غنيم الذي كان مديرا لمديرية الثقافة بالإسكندرية، عندما عرفت قدماي الطريق إلى هذا المكان الحيوي في بداية السبعينيات، كان لابد من الإشادة باهتمام سيادتها بأدب الأطفال، ومشروع اقرأ لطفلك الذي انطلق في الصيف الماضي، وأن البداية الحقيقية تبدأ دائما بالأطفال، لذا كان

حرص هيئة قصور الثقافة على أن تقدم سلسلة كتب للأطفال هي سلسلة قطر الندى، قدمتْ من خلالها مجموعات شعرية للأطفال (بالعامية والفصحى)، وأننا في مصر يجب الاهتمام بما يجذب الأطفال الآن في عالم الكمبيوتر والإنترنت والسي دي روم. وأشارت سيادتها في تعقيبها الذكي على ما قلته، إلى أن الشعر شيء مهم للأطفال والكبار، وأن الاهتمام بالطفل ركيزة أساسية في بناء المجتمع.

بعد ذلك توجهنا إلى صالة العرض المسرحي حيث تم عرض فني بعنوان "وترابها زعفران" شارك فيه مجموعة من الفنانين والموسيقيين الكبار.

بعد انتهاء العرض تجولت. مع عدد من الأصدقاء. في كل شبر من أركان قصر ثقافة الحرية سابقا (مركز الإسكندرية للإبداع حاليا) بطوابقه الثلاثة، وأحسست بالفخار وأنا أرى صرحا جديدا جميلا يُضاف إلى صروح مصرنا الثقافية.

لقد عادت إليَّ الروح في ذلك المساء الجميل مساء الاثنين ٢٩ أكتوبر ٢٠٠١ (ولنتذكر دائما أن شهر أكتوبر هو شهر الانتصارات والفتوحات المصرية العظيمة).

وقد اتضح لي جليا أن مركز الإسكندرية للإبداع سيصبح مختلفا كثيرا عن قصر ثقافة الحرية القديم، في كل شيء. لذا كان لابد من إسناد إدارته إلى وجه إداري ثقافي ربما يكون جديدا على المجتمع الأدبي والثقافي السكندري، وكل أدباء الإسكندرية ومثقفيها في انتظار ما ستفسر عنه الأنشطة الثقافية الجديدة لهذا المركز الجديد / القديم؟ هل سيقتفي أثر قصر ثقافة الحرية السابق، هل ستكون له خطة ثقافية مغايرة، ما العلاقة بينه وبين الكيانات الثقافية الأخرى بالثغر، وخاصة مكتبة الإسكندرية، وقصور الثقافة،

واتيليه الإسكندرية، وفرع اتحاد الكتاب، وهيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، والمراكز الثقافية الأجنبية، .. الخ.

إن المكان بعد تجديده وترميمه وإعادة افتتاحه ينتظر منا الكثير، وينادي كل الأدباء والشعراء والمثقفين والمبدعين والفنانين التشكيليين والموسيقيين وفناني المسرح والسينما، وأيضا القراء ومستخدمي أجهزة الكمبيوتر والمتعاملين مع شبكة الإنترنت، والأطفال الموهوبين، ويقول لهم: "لقد تجملت من أجلكم، وفي انتظار أن تخطبوا ودي، وشكرا للسيدة الفاضلة سوزان مبارك على أنها أعطت إشارة البدء لكي انطلق معكم إلى آفاق الإبداع السكندري الجميل، ولأكون إلى جانب مكتبتها العملاقة إضافة جديدة لكم وبكم".

هنا الإسكندرية

"الإسكندرية" مدينة لها بريقها وسحرها الخاص، وبخاصة هذه الأيام التي بدأت تستعيد فيها جمالها وخصوصيتها وتفردها وشبابها بين محافظات مصر المختلفة. وإذا أضفنا إلى "الإسكندرية" كلمة "إذاعة" فإن المضاف والمضاف إليه سيكون "إذاعة الإسكندرية" التي تحمل شعاعا من البريق والسحر الذي تحمله الإسكندرية: المدينة والبحر والناس والكورنيش.

ولإذاعة الإسكندرية منذ عهد رائدها الراحل حافظ عبد الوهاب، وحتى الآن، ومرورا بالأساتذة الأفاضل: جمال توكل وصابر مصطفى، ونبيل عاطف وصبري عبد العال وعفاف المعداوي، صوتها المميز وبصمتها الواضحة التي لن تمحى أبد الدهر، لأنها بصمات على الصخر وليست على الماء.

والسر في خلود الصوت الإذاعي السكندري والبصمة الصخرية، يعود إلى مجموعة من البرامج ومجموعة من المذيعين، ولعل من أشهر تلك البرامج "تمثيلية الساعة السابعة" التي كان ينتظر ميعادها ليس أهل الإسكندرية فحسب، بل أيضا المصطافون الذين يجيئون في فصل الصيف. لقد اشتهرت دراما الإسكندرية بالجدية والواقعية والفنية العالية، لذا أقبل عليها ابن البلد والغريب عنها يستمع إليها، ويستمتع بها وخاصة قبل انتشار التلفزيون على هذا النحو الذي نعيشه هذه الأيام.

أيضا من البرامج التي أعطت تفردا وتميزا لإذاعة الإسكندرية، برنامج "من أرشيف المحاكم"، الذي كان ينتظره الناس من الجمعة إلى الجمعة.

ومن البرامج الأخرى الرائعة التي استفدتُ منها شخصيا وقدمتني للمستمعين شاعرا شابا برنامج "سهرة الأحد" الذي كانت تقدمه الإذاعية اللامعة عفاف المعداوي، فقد كانت تتلقى رسائلنا وتقوم بإذاعة ما يصلح منها من شعر وزجل وخواطر أدبية وخلافه، ففتحت بذلك نافذة بحرية جيدة التهوية لجيل من مبدعي الإسكندرية الذي سار على الدرب، والذي عندما بدأت تتأكد موهبته، أخذت عفاف المعداوي تستضيف أفراده ليقدموا بصوتهم الشعر والزجل والقصة القصيرة. وفي خطوة تالية بدأت تستضيف مَنْ يتحدث عن أدباء هذا الجيل من النقاد والأساتذة الكبار من الأجيال السابقة، فتحقق بذلك التواصل المنشود بين الأجيال المبدعة في مدينة الإسكندرية عن طريق هذا البرنامج.

إن لإذاعة الإسكندرية فضلا كبيرا على مبدعي المدينة ومثقفيها، وهذه كلمة حق أقولها هنا، لأني أحسست أن هناك من يحاول أن يسلب هذه الإذاعة تاريخها الطويل، وخبرتها العريقة، وحاضرها الزاهر بين الإذاعات المحلية الآن في مصرنا الحبيبة.

ومن يستطيع أن ينكر الآن وجود البرامج الجيدة التي تذاع على موجة إذاعة الإسكندرية مثل: ماذا يقرءون ؟ وصباح الخير يا إسكندرية، ومع هذا الأديب، ومقدرش أنسى، وكلمات الزمن الجميل، وغيرها من البرامج الجادة التي تحمل البصمة الثقافية السكندرية المتميزة التي تعد أهم رسالة تحملها تلك الإذاعة إلى مستمعيها في كل مكان.

المكتبة والهيئة

١ ـ المكتبة

مكتبة الإسكندرية من حيث الشكل الجمالي الخارجي، ومن حيث الموقع الفريد على حوض البحر الأبيض المتوسط، وفي مكان له قيمته ومكانته التاريخية العظمى، تعد بلا شك إضافة معمارية إلى الصروح الثقافية الكبرى في المدينة، وبالتالي في مصر، وفي هذا إثراء شكلي للواقع الثقافي.

أما من حيث الخدمة المكتبية وما سوف تضيفه هذه المكتبة إلى حياتنا الثقافية بعامة، فنحن في انتظار الكثير والكثير من إدارة المكتبة الجديدة التي شرف بها الدكتور إسماعيل سراج الدين. وخاصة من خلال التقنيات الجديدة مثل شبكة الإنترنت التي ستربط المكتبة بكل مكتبات مصر والعالم الخارجي، فمن الممكن وأنا داخل مكتبة الإسكندرية أن أتصفح فهارس مكتبة الكونجرس الأمريكية أو فهارس مكتبة الإسكوريال بأسبانيا،

وأن أعد بحثا عن شخصية ما أو موضوع ما من خلال الإنترنت، ومن خلال الكتب التقليدية الموجود على أرفف المكتبة أيضا، وفي هذا إثراء كبير للباحثين والدارسين والطلبة يثري بلا شك الواقع الثقافي المصري.

أيضا أتوقع أن تكون للمكتبة شبكتها الداخلية الخاصة عن طريق أجهزتها الداخلية التي ستكون متوافرة بين أيدي الزائرين.

أيضا قاعات الاطلاع المؤثثة بأحدث الطاولات والمعدات المكتبية، فضلا عن وجود كل أنواع المعارف الإنسانية من علوم وفنون وآداب وديانات ومخطوطات .. الخ، ستسهم في رفع نسبة المترددين على المكتبة، وفي هذا إثراء ـ أيما إثراء ـ للواقع الثقافي المصري.

ولا أريد أن أتحدث عن الخطط المستقبلية للمكتبة من دورات وندوات ومناقشات وعروض ولقاءات، لأن هذا مرتبط بخطة مستقبلية عامة لم تشرع المكتبة في تنفيذها بعد، ولكن إذا نفذت هذه الخطة المستقبلية فإننا سنشهد تعظيما حقيقيا لخدمات المكتبة، التي أتوقع أن تجذب جموع الشباب الذين بدأوا ينصرفون عن الثقافة والأدب إلى الكرة والفن الهابط.

٢ ــ هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

أما هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية (وكان اسمها الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية) فقد تأسست عام ١٩٦٠، ويبدو أنها أنشئت لتكون فرعا للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة (المجلس الأعلى للثقافة حاليا) ويلاحظ التشابه الكبير بين الاسمين القديمين.

ولكن لسبب ما لم تنفذ فكرة إنشاء فرع المجلس الأعلى بمدينة الإسكندرية، فاستقلت الهيئة بنفسها، وأشهرت تحت رقم ٥٠٢ لسنة ١٩٦٢، ثم أعيد إشهارها برقم ١١٩ لسنة ١٩٦٦ بموجب القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤ بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة، وأصدرت الهيئة لائحتها الداخلية عام ١٩٧٦.

والشيء الذي يثير الضحك والألم معا أن هذه الهيئة التي بلا مقر منذ إنشائها وحتى الآن، تنص المادة رقم (١) من لائحتها الداخلية على أنه يجوز أن تنشئ فروعا أو تعين مراسلين لها بأي مدينة من مدن الجمهورية أو خارجها، وكون أن الهيئة بلا مقر حتى الآن يؤثر بلا شك تأثيرا سلبيا كبيرا على ممارسة أنشطتها الثقافية والخدمية، وعلى الرغم من ذلك نحاول أن نبث الروح فيها، من خلال عقد الندوات وإعادة إصدار مجلة الثغر، وإصدار نشرة أخبار عن أعضائها.

ومادامت النية كانت معقودة على أن تكون هذه الهيئة فرعا للمجلس الأعلى، فمالمانع الآن من تنفيذ هذا الحلم أو تحقيق هذه الرغبة، فتكون هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية فرعا للمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة.

ولتتنازل القاهرة قليلا عن مركزيتها.

ولنتذكر أن افتتاح مكتبة الإسكندرية أضفى الكثير على المدينة، وسينقل الإسكندرية النقلة الحضارية التي نريدها لها منذ مئات السنين، لتستعيد بذلك جزءا من وهجها وحضورها العالمي، كما أن المدينة وأبناءها من الأدباء والمثقفين والمفكرين والعلماء سيمنحون الكثير للمكتبة، فلتكن الهيئة فرعا للمجلس، ولنفكر في هذا الأمر مع السيد وزير الثقافة الفنان فاروق حسني، والسيد أمين عام المجلس الدكتور جابر

عصفور، والأجهزة المعاونة لهما، وكما تم إنشاء فرع بالإسكندرية لاتحاد كتاب مصر، فليس أقل من يكون هناك فرع للمجلس الأعلى للثقافة بالإسكندرية.

سلطة المقاهي والتجمعات الأدبية
في الإسكندرية

قبل أن أتعرض لسلطة المقهى كمؤسسة ثقافية غير رسمية، في مقابل المؤسسة الثقافية الرسمية بالإسكندرية، والمتمثلة - غالبا - في قصور الثقافة بالثغر، سأعرض لبعض التجمعات الأدبية التي تكونت على المقاهي، أو خارج المؤسسة الرسمية، وخاصة في الربع الأخير من القرن العشرين، وأسباب تكونها، وأيضا أسباب توقفها، أو عدم استمرارها.

فقد كانت وفاة الشاعر محمد عبد الفتاح الشاذلي في نهاية عام ١٩٧٩ فرصة حقيقية لطرح سؤال مهم في حياة المبدعين الشبان - وقتها - وهو ما الذي نفعله إزاء سقوط أحد منا سقوطا مفاجئا على النحو الذي حدث مع الشاذلي الذي لو استمرت به الحياة لكان من كبار الشعراء الآن؟ وجاءت الإجابة عملية جدا، حيث تكونت بعد رحيله المفاجئ جماعة فاروس

للآداب والفنون، وانضم إليها مع مؤسسيها: أحمد فضل شبلول وحسام الدين شوقي وعبد الرحمن عبد المولى وأحمد رفعت (والأخير اختار اسم الجماعة ليكون إحياء لاسم الإسكندرية قبل أن تلفت نظر الإسكندر الأكبر)، انضم عدد كبير من شعراء الثغر وأدبائه من أمثال: محمود إدريس وأحمد محمود مبارك ومحمود عبد الصمد زكريا وأحمد حسن شاهين وناجي عبد اللطيف وعوض بدوي وأحمد فراج وأحمد عبد الخالق ومحمد حمدي وأحمد محمد النقيب، والفنانون التشكيليون: السيد الكريوني وحسن لابي ومحمد ياقوت، والملحنان: إبراهيم محمود نصير وعلي محمود، وآخرون من أصحاب المواهب الأدبية والفنية. ومن خلال اجتماعاتنا وجلساتنا في المقاهي المتعددة، مثل مقهى "البوابين" (هكذا أسميناه لجلوس بوابي عمارات شارع طلعت حرب به)، أو مقهى "الفلافل" (هكذا أسميناه لأنه كان يلاصقه مطعم فول وفلافل، كنا نأتي بعشائنا دائما منه، كلما جلسنا عليه، بشارع مسجد الحضري، بالباب الجديد) أو مقهى البلياردو بالاس بشارع صفية زغلول (الذي كنا نعتبره مكانا راقيا نجلس به عندما يكون معنا نقود زائدة) أو اجتماعاتنا وجلساتنا في مكتب مقاولات والد الشاعر حسام الدين شوقي بمحرم بك، بدأت هذه الجماعة - غير المشهرة رسميا - تصدر مجلة فاروس التي صدرت منها سبعة أعداد وثلاثة كتب ماستر، كان منها ديوان "الطبول" للشاعر الراحل محمد عبد الفتاح الشاذلي. وعلى الرغم من أن هذه الجماعة تكونت على المقاهي السكندرية، أو خارج قصور الثقافة، أي خارج المؤسسة الثقافية الرسمية، إلا أن أعضاءها كانوا على صلة وثيقة بقصور الثقافة بالإسكندرية، وعلى وجه التحديد قصر ثقافة الحرية الذي كان يعد القصر الأم بالنسبة لكل أدباء الإسكندرية وفنانيها في ذلك الوقت. فكانت احتفاليات هذه الجماعة تقام

بقصر الحرية، ويشارك فيها شعراء وأدباء راسخون من أمثال: أحمد سويلم ومحجوب موسى وأحمد السمرة ورجب سعد السيد ومحمد مكيوي، وفنانون كبار مثل حمدي رؤوف. ولكن لم تستمر الجماعة في مشروعها لسفر بعض أعضائها إلى الخارج، وعدم وجود التمويل اللازم لاستمرار صدور مطبوعاتها.

نستنتج من ذلك أن جماعات المقاهي - ومنها جماعة فاروس - لا تملك مقومات الاستمرار، بسبب عدم وجود المكان الملائم لاجتماعاتها وممارسة نشاطاتها، وعدم وجود التمويل الكافي لصدور مطبوعاتها، وهي في النهاية لابد أن تلجأ إلى المؤسسة الرسمية التي تملك مقومات الاستمرار، والأماكن الملائمة لممارسة النشاط، بل الأهم وهو ميزانية النشاط، خاصة لو كان النشاط نشاطا مسرحيا.

لذا فقد كتب على جماعات أدبية وشعرية سابقة في الإسكندرية، عدم الاستمرار في مقاهيها أو حتى صالوناتها الأدبية، مثل شعراء مقهى النيل بالمنشية (أحمد السمرة، وعبد المنعم الأنصاري، وعبد العليم القباني، ومحمود العتريس ومحمد البشبيشي، ومحمود عبد الحي، وغيرهم) وكان أمل دنقل، أثناء عمله بميناء الإسكندرية، يزور شعراء مقهى النيل بين الحين والآخر، وأحيانا كانت هذه الجماعة الشعرية تجلس في مقهى آخر هو مقهى جابر (القريب من قبر الجندي المجهول بالمنشية) بشارع السيد محمد كريم، وأحيانا كان بعضهم يجلس في مقهى فاروق بشارع السيد محمد كريم أيضا (قبل مسجد أبو العباس المرسي بمحطة ترام واحدة) ولكن تظل المقهى التجارية بالمنشية - وحتى الآن - ملتقى الشعراء والأدباء والمثقفين السكندريين، ليس بصفة دورية، ولكن ما بين الوقت والآخر، خاصة إذا زار الإسكندرية أحد الأدباء من القاهرة، أو غيرها، مثل محمد

جبريل وزينب العسال ومحمد إبراهيم أبو سنة وأحمد سويلم ومحمد السيد عيد ومحمد عبد الفتاح وأحمد سويلم وغيرهم، وعلى سبيل المثال، كان آخر جلسة أدبية حضرتها في المقهى التجارية، عندما زار الإسكندرية مؤخرا الأستاذ سامي خشبة، وقد ضم تجمعنا هذا الأدباء والشعراء: د. يوسف زيدان، ومحمود عوض عبد العال، ورجب سعد السيد، وعبد المنعم سالم، وأحمد حسن شاهين، وكاتب هذه السطور وغيرهم. وأعتقد أن مثل هذا التجمع الأدبي، بسهرته التي تمتد حتى وقت متأخر من الليل، وبسلطته غير الرسمية، وغير الديكتاتورية، وغير البيروقراطية، لا يجدي معه الجلوس في إحدى قاعات قصر ثقافة ما، حيث الموظفون والعمال يريدون الانصراف في وقت معين، وإذا تأخر الأدباء والمثقفون في جلساتهم ومناقشاتهم، لبدأ الغضب يظهر على وجوه هؤلاء الموظفين والعمال، مثلما حدث في ندوة "حوار الحضارات"، التي كان ضيفها الدكتور جابر عصفور، بمركز الإسكندرية للإبداع (قصر ثقافة الحرية سابقا)، وامتدت حتى الساعة الثانية عشرة مساء، وكانت من المفروض أن تنتهي في الساعة العاشرة.

***

في منتصف الثمانينات ظهرت جماعة (الأربعائيون) واتخذت من صالون الشاعر عبد العظيم ناجي في منزله بجناكليس، وأيضا من أحد مقاهي جليم، مكانا لها حيث كانوا يجتمعون مساء كل أربعاء، وأصدرت الجماعة مجلة باسمها، وانضم إليها معظم من كانوا يجربون كتابة قصيدة النثر في الثغر من أمثال: حميدة عبد الله وناصر فرغلي ومهاب نصر وعلاء خالد وغيرهم. وعلى الرغم من عدم تواصل هذه الجماعة مع بقية الجماعات الأخرى في الإسكندرية، على اعتبار أن أعضاءها يقدمون إبداعا مغايرا لما هو سائد في قصور الثقافة، إلا أن أسباب توقفها تدعو إلى التساؤل والتشكك في مدى

إيمان أعضائها بما كانوا يمارسونه ويبشرون به كتابة ونقدا. وأعتقد أن مقاطعة أفراد مثل هذه الجماعة للنشاط الثقافي الرسمي سواء في قصور الثقافة أو غيرها من الأماكن الثقافية، مثل لاتيليه الإسكندرية (جماعة الكتاب والفنانين)، أو هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، أو حتى جماعة الأدب العربي، وغيرها من التجمعات والجمعيات والهيئات بالإسكندرية، وعدم تواصلهم مع جموع الأدباء والمثقفين في الثغر، قد عجل بنهايتها، ولن يذكر التاريخ الثقافي للإسكندرية، المقاهي التي كانوا يجلسون عليها سواء في حي جليم، أو في مقاهي وسط البلد.

***

وقد تكون لبعض الجماعات التي تلتقي على المقاهي سلطة ثقافية ما، من خلال بعض الشخصيات المؤثرة في الواقع الثقافي، فعلى مقهى "غنيم" بسيدي بشر، كان يلتقي أدباء من أمثال: أحمد محمود مبارك، وعاطف الحداد، ود. رمضان الصباغ، ود. محمد مصطفى أبو شوارب، وعبد الفتاح مرسي، ومحمد الفخراني، وعبد المنعم سالم، ومحمود عبد الصمد، وكاتب هذه السطور، وكلهم على صلة بالمؤسسة الثقافية الرسمية، أي قصور الثقافة بالإسكندرية، ونظرا لاهتمامات هذه المجموعة بالواقع الثقافي السكندري على وجه التحديد، وبالواقع الثقافي المصري عموما، ونظرا لاستقبالهم لأصدقائهم ممن يأتون من الثغر نفسه، أو من القاهرة وغيرها من المحافظات، أمثال: الشاعر أحمد سويلم، والروائي إبراهيم عبد المجيد، والشاعر رفعت سلام والكاتب محمد محمود رضوان، ود. فوزي خضر، وصبري أبو علم، وأحمد فراج، ومحمد عبد الستار الدش، ومحمد عبد الحافظ ناصف، وغيرهم، فقد شاع بالوسط الثقافي في الإسكندرية، أن هذه الجماعة ترسم السياسية الثقافية السكندرية من خلال مقهى "غنيم"،

بل قيل إن جماعة "غنيم" تسيطر على الحركة الثقافية في الإسكندرية من خلال رئاسة أو إدارة بعضهم لبعض المجلات والمطبوعات التي يصدرها فرع ثقافة الإسكندرية، وإقليم غرب ووسط الدلتا، وإنهم يقررون ماذا يُنشر، وماذا يُعتذر عنه، أثناء جلوسهم على المقهى.

***

ولكن هذا لا ينفي وجود مثقفين منشقين تماما عن المؤسسة الثقافية الرسمية، المتمثلة في قصور الثقافة، ولا يتعاملون معها، ولا يحضرون ندواتها ولقاءاتها ومؤتمراتها، وهؤلاء يفضلون الجلوس على المقاهي، مع متابعة، أو عدم متابعة، ما يدور في المؤسسة الثقافية الرسمية، وكأن الأمر لا يعنيهم من قريب أو من بعيد، فعلى سبيل المثال، كنت ألتقي بالكاتب شفيق العمروسي، والشاعر د. وصفي صادق، على مقهى "الخان" بميدان كليوباترا في تقاطعه مع شاعر بور سعيد، وكانا يعرفان مني أخبار النشاط الثقافي بقصر ثقافة الحرية، وعندما كنت أدعوهما للمشاركة في الندوات واللقاءات والأمسيات الشعرية بالقصر، كنت أجد منهما عزوفا حقيقيا عن مجرد الذهاب لقصر الثقافة. وكانا يشكلان - في منتصف الثمانينات - مع الروائي محمود حنفي والكاتب الصحفي عبد العزيز سباعي، ود. رمضان الصباغ، وغيرهم تجمعا ثقافيا متميزا في مقهى "الخان". غير أن هذا التجمع انفرط عقده، بعد ذلك، بسفر شفيق العمروسي، ورمضان الصباغ، الأول إلى ألمانيا وزواجه من فتاة ألمانية، والثاني بسفره إلى ليبيا للعمل بالتدريس في إحدى جامعاتها. كان ما يشغل شفيق العمروسي في ذلك الوقت موضوع الترجمة، فكان يترجم عن الإنجليزية، ما يراه مهما من وجهة نظره، سواء في الأدب، أو السياسة، أو الجغرافيا أو التاريخ. وكان يعرض علينا ما يقوم بترجمته بين الحين والآخر، وكان النقاش يحتدم بينه وبين رمضان الصباغ

ومحمود حنفي، وخاصة في المسائل السياسية، وكنت أعتبر نفسي الأكثر استفادة في هذه الجلسات، لأنها كانت تعمق مفاهيمي للحياة عموما في شتى اتجاهاتها الثقافية والسياسية، خاصة أن ما يقال على المقهى لم أكن اسمع مثله في ندوات قصور الثقافة، ويبدو أن العمروسي لم يجد اهتمامات مماثلة في قصور الثقافة بالإسكندرية في ذلك الوقت، فقرر عدم الذهاب إليها، ليظل لمقهى "الخان" بكليوباترا سلطته الثقافية مع أصدقاء العمروسي في ذلك الوقت. وهي سلطة تستمد شرعيتها من وحي الجلسة، ومن وحي الشجار الهادئ الذي قد ينشب بين الحين والآخر، بين أعضاء "الخان"، ولكن عندما يذهب كل فرد إلى بيته، ينشغل بقراءاته أو لقمة عيشه، إلى أن يحين موعد الجلسة الجديدة، دون تخطيط مسبق لها، فتبدأ بود وحب وسؤال عن الأصدقاء الآخرين، على نحو يذكرنا بمقهى "قشتمر" في رواية نجيب محفوظ التي حملت اسم المقهى.

***

وموقف العمروسي ووصفي صادق يذكرني - مع الفارق - بموقف بعض الشباب من الأدباء والشعراء الذين كان يجلسون على مقهى "الكريستال" - الذي يقع ما بين محطة الرمل والمنشية - حينما كانوا ينشقون عن قصور الثقافة، ويجتمعون بالكريستال ليقرروا ماذا سيفعلون في ندواتهم القادمة، وهل يستمرون في مقاطعة الأنشطة، أم يكتبون الشكاوى ضد الموظفين المسئولين في قصور الثقافة، أم ماذا؟ مع ملاحظة أن العمروسي وصادق لم يلجآ في يوم ما إلى أسلوب الشكاوي، ولكنهما ابتعدا بإرادتهما، ولم يفكرا في يوم من الأيام في العودة إلى أي قصر ثقافة بالإسكندرية (الحرية، الأنفوشي، التباري، مصطفى كامل، الشاطبي - قبل إغلاقه - سيدي جابر). أما الشباب الغاضب، فبعد كتابة شكواه، يعود إلى قصور الثقافة مرة أخرى،

بعد محاولة استرضائه، وينسى أو يتناسى ما أغضبه إلى حين حدوث أزمة أخرى، بينه وبين موظفي الثقافة.

***

في عام ١٩٨٤ ظننت أن التفرغ للأدب سوف يؤكلني عيشا، فتقدمت بطلب إلى شركتي، للحصول على أجازة بدون مرتب لمدة عام، لم أذكر فيه بطبيعة الحال أنني سأتفرغ للأدب، ولكن ذكرت أن السبب ظروف عائلية خاصة، فوافقت إدارة الشركة على طلبي. وقلت إنني سأكون موظفا حرا - عند نفسي - في مجال الأدب، فكنت أخرج من منزلي في محرم بك، في نفس موعد الذهاب للعمل، في الساعة السابعة والنصف، أشتري الجرائد، والمجلات - كما كان يفعل أستاذنا نجيب محفوظ - وأذهب إلى مقهى "الكريستال"، وأقرأها على مهل، وأذاكر مجلة "فصول"، وأجلس حتى الساعة الثانية ظهرا، ثم أعود إلى المنزل، وكأنني كنت في عملي فعلا.

بعد أسبوع واحد ظن العاملون بالمقهى أنني من رجال المباحث ومكلف بمراقبة المكان والأشخاص الذين يترددون على المقهى، أفهمني ذلك ماسح الأحذية الذي كان يطوف المقاهي القريبة بالمنطقة، (بعد أن تصاحب علي، وطلب أن يعمل مرشدا سريا معي، وأفهمني أنه يعرف بعض شقق الدعارة بالمنطقة).

مجرد هذا الظن جعلني أصاب بالخوف من هذا المقهى، فقررت الابتعاد عنه، بعدما عرفت أن هناك سلطة أخرى للمقاهي، هي سلطة الشك والظنون في الزبائن، من أصحاب المقهى نفسه، أو حتى من الغرباء الجالسين عليه.

بعد أربعة أشهر من هذه الأجازة بدون مرتب، وبعد أن أنفقت مدخراتي القليلة، قررت قطع الإجازة، والعودة إلى العمل، فقد اكتشفت أن الأدب - بالفعل - لا يؤكل عيشا.

***

يختلف الأمر تماما على مقهى "المحروسة" الكبرى بالإبراهيمية، الذي كان يجلس عليه الشعراء والأدباء: عبد المنعم الأنصاري وفؤاد بدوي (عند حضوره إلى الإسكندرية)، وأحمد محمود مبارك، ومحمد فرج، وعبد اللطيف دربالة، وحسين أبو زينة، ومصطفى عبد الشافي، وغيرهم. كان الأنصاري نجم هذه الجلسات، وبحكم عمله مشرفا ثقافيا في قصور الثقافة بالإسكندرية، كانت "المحروسة" امتدادا - غير رسمي - للعمل بقصور الثقافة، وكانت الجلسة تستمد سلطتها من شخصية الأنصاري نفسه، وكان موضوع الحكم بالإعدام على ابنه طلال الأنصاري الذي اعتقل أيام السادات في قضية الكلية الفنية العسكرية، ثم خفف الحكم إلى المؤبد، بقرار من السادات، هو الموضوع الذي يفرض نفسه دائما على جلساتنا مع الأنصاري، وكانت قصائده التي كتبها في هذا الخصوص، والتي كنا أول من يسمعها، تشكل ملمحا أساسيا في مقهى "المحروسة"، حتى بالنسبة للجالسين على المقهى من غير الأدباء والشعراء، والذين كانوا يلعبون النرد مع الأنصاري، والذين في الوقت نفسه يعرفون المحنة التي يمر بها ذلك الشاعر الذي يأتي إليه أكثر من مرة في الأسبوع مجموعة من الأدباء والمثقفين، فيقابلونهم بالترحاب، ويتركون كراسيهم لهم.

***

غير أننا في النهاية نقول: إن مثل هذه الجماعات والتجمعات والمؤسسات الثقافية غير الرسمية التي تكونت خارج نطاق قصور الثقافة،

وخارج نطاق الجمعيات الرسمية التابعة للدولة، تسهم بطريقة أو بأخرى في تفعيل الواقع الثقافي في الإسكندرية، وأن لها بالفعل سلطة ثقافية من نوع خاص، لا تستطيع أن تلغيها السلطة الثقافية الرسمية، ولكن - في تقديري - أن السلطتين مكملتان لبعضهما البعض، تماما مثل العلاقات الرسمية والعلاقات غير الرسمية في مؤسسة العمل والإنتاج أو في المصانع والشركات.

الإسكندرية الشاعرة



المشهد الشعري السكندري

يعد المشهد الشعري في مدينة الإسكندرية جزءا لا يتجزأ من المشهد الشعري المصري عموما، ولكن في الوقت نفسه ينماز هذا المشهد عن المشهد المصري الكلي في بعض التفاصيل والجزئيات التي تشكل عندما تتجمع إلى جوار بعضها البعض خصوصيةً وتفردا ما عن بقية المشهد الكلي.

ولعل هذه الخصوصية وهذا التفرد يعودان إلى خصوصية تلك المدينة الكوزموبالتينية التي تقع على ساحل المتوسط، وكانت مهوى الأجانب منذ القدم من يونان ورومان وإيطاليين وشوام وإنجليز وفرنسيين وأندلسيين .. وغيرِهم من الذين يعيشون على الساحل المقابل من الأبيض المتوسط منذ أن شُيدت تلك المدينة عام ٣٣٢ ق.م. عن طريق وصل جزيرة فاروس (الأنفوشي وبحري حاليا) التي تقع على البحر، بقرية راقودة (كرموز وغيط العنب حاليا) التي تقع على ضفاف بحيرة مريوط بالجنوب.

إن تاريخ الشعر في الإسكندرية يبدأ مع نشأتها، فقد اهتم بطليموس الأول - سوتر (الذي حكم البلاد من ٣٢٣ - ٢٨٥ ق.م) - وكذلك أبناؤه من البطالمة - بالمشروعات العمرانية والثقافية، فأسس مكتبة الإسكندرية (القديمة) وشيد منارة الإسكندرية (إحدى عجائب الدنيا السبع). وظهر كاليماخوس (٣١٠ - ٢٤٠ ق.م) أول شاعر سكندري ومؤسس مدرسة الإسكندرية الشعرية، من خلال جماعة شعرية أسماها بليآد أو الحمام، أو نجوم برج الثريا [1] ، وقد رفض شعراء هذه الجماعة الملحمة الإغريقية بشكلها وحجمها، ودعا مؤسسها إلى كتابة القصيدة القصيرة جدا أو الإبجرامة (التي نرى في الشعر العربي المعاصر عودةً إليها). ثم الشاعر ثيوكريتوس أول من كتب القصائد الرعوية وصور حياة المزارعين واحتفى بالطبيعة. والشاعر أراتوس الذي نظم بعض القصائد العلمية في الفلك، والشاعر هيرونداس الذي اشتهر بقصائده الفكاهية التي يستلهم فيها الحياة الشعبية اليومية. والشاعر ليكوفرون الذي كتب صورا شعرية سيريالية في ذلك العهد القديم. والشاعر أبوللونيوس الذي عاد مرة أخرى إلى كتابة الملحمة الكبيرة (ومنها رحلة السفينة أرجو) فخالف بذلك اتجاه جماعة الحمام، والشاعر موسخوس الذي جمع بين الإبجرامات والقصائد الطوال، والشاعر بيون الذي مات في شرخ الشباب، واشتهرت قصيدته التي كتبها بعنوان "رثاء أدونيس".

[1] ـ في كتاب العصر الذهبي للإسكندرية لجون مارلو. ت: نسيم مجلي، يذهب المؤلف ـ ص ٩٣ ـ إلى أن الشاعر ليكوفرون ألّف مع ستة شعراء آخرين، لا نعرف أعمالهم الآن، جماعة الثريا Pleiades وهي عبارة عن جمعية ممن يتبادلون الإعجاب بالشعر الذي ازدهر في عهد فيلادلفوس. ولم يرد ذكر اسم الشاعر كليماخوس في هذا الصدد. وفي الجزء الخاص بكليماخوس في هذا الكتاب لم يذكر المؤلف أية معلومة تفيد أنه كان ضمن جماعة بليآد، أو الحمام.

وبذلك يتضح أن المشهد الشعر السكندري في أزهى عصوره القديمة، امتاز بالتنوع الذي حقق له الثراءَ الفني. فكان هؤلاء الشعراء باحثين، منهم من وضع فهارس مكتبة الإسكندرية مثل كاليماخوس، ومنهم من كان أمينا عاما لها. وقد امتاز الشعر في الإسكندرية في تلك الفترة بالتجديد في الرؤية والبناء والأغراض. ومن أهم الكتب التي تناولت هذا الموضوع كتاب "الأدب السكندري" للدكتور محمد حمدي إبراهيم.

وتمتد رحلة الشعر السكندري حتى نصل إلى العصر الإسلامي، فيبرز في العصر الفاطمي أسماء شعراء أمثال: أبو الطاهر إسماعيل بن محمد الملقب بأبي مكنسة الإسكندراني (ت ٥١٠ هـ = ١١١٦م) وأبو الفتح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف الذي اشتهر باسم ابن قلاقس (٥٣٢ هـ =١١٢٧ م / ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م) وظافر الحداد (ت ٥٢٨ هـ = ١١٣٣ م) وتقية الصورية (ت ٥٧٩ هـ = ١١٨٣ م)، وشرف الدين البوصيري (ت ٦٩٦ هـ = ١٢٥٩ م) صاحب البردة الشهيرة، وغيرهم.

ولعلنا نستطيع أن نعيد طرح السؤال الذي طرحناه في مقدمة الكتاب عن الفترات الزمنية الطويلة التي لا نجد فيها شاعرا أو أديبا ظهر في الإسكندرية. فهناك فترات تعد مجهولة في تاريخ الأدب السكندري، ولم تذكر المراجع عنها شيئا.

ولعل بعض الإجابة عن مثل هذا السؤال نجدها في كتاب فورستر "الإسكندرية: تاريخ ودليل"، فعمرو بن العاص وأصحابه نفروا من الإسكندرية بشكل غريزي وبدت لهم الإسكندرية وثنية تافهة، وتمطى بعد ذلك ألف عام من الصمت على الإسكندرية.

أما في العصر الحديث، فيبدأ الشعر السكندري بجماعة الشلالات التي أسسها الشاعر عتمان حلمي (١٨٩٤ ـ ١٩٦٢) عام ١٩١٢م ومعه الشعراء عبد

اللطيف النشار وزكريا جزارين (١٨٩٧ ـ ١٩٥٥) وعبد الحميد السنوسي (١٨٩٨ ـ ١٩٥٦) ومحمد مفيد الشوباشي (١٨٩٩ ـ ؟) وحسن فهمي (١٨٩٥ ـ ١٩٣٠) وعبد الحكيم الجهني. ثم انضم لهم الشاعر عبد الرحمن شكري (١٨٨٦ ـ ١٩٥٨) العائد من بعثة إلى إنجلترا، فاحتل مركز الصدارة في هذه الجماعة، وصار الشاعر والناقد والمعلم، بما حمله من أفكار في تطوير القصيدة العربية.

لقد اهتمت جماعة الشلالات بسلاسة الشعر العربي، والابتعاد عن التعقيد اللفظي، والتعبير عن التجارب الذاتية، والتطرق إلى الموضوعات المبتكرة، وتصوير البيئة الساحلية السكندرية، وبذلك كونوا اتجاها فنيا يحسب للشعر السكندري.

وفي عام ١٩٣٢م دعا كل من د. مصطفى فهمي ويوسف الجزايرلي لتكوين جماعة عرفت باسم "جماعة نشر الثقافة" لجمع شمل الأدباء ونشر إنتاجهم الأدبي، وكان من أبرز شعراء هذه الجماعة خليل شيبوب (١٨٩٢ ـ ١٩٥١) وعبد اللطيف النشار (١٨٩٥ ـ ؟) وفلورى عبد الملك، ومنيرة توفيق (١٨٩٣ ـ ١٩٦٥) صاحبة ديوان ""أنوار منيرة" الذي طبع عام ١٩٦٧ بعد وفاتها، وكتب مقدمته السيد حمدي عاشور محافظ الإسكندرية وقتذاك.

هذا فضلا عن وجود شعراء آخرين ربما لم ينضموا إلى الجماعتين السابقتين: الشلالات ونشر الثقافة، من أمثال: الشاعرة اللبنانية التي أحبت الإسكندرية واستقرت فيها حتى آخر حياتها وردة اليازجي (١٨٣٨ ـ ١٩٢٤) وأحمد راسم (١٨٩٥ ـ ١٩٥٨) وفخري أبو السعود (١٩٠٩ ـ ١٩٤٠) الذي مات منتحرا بإطلاق الرصاص على رأسه وهو في نحو الثلاثين من العمر.

ثم ظهر جيل عبد المنعم الأنصاري، وعبد العليم القباني، وأحمد السمرة، ومحمود العتريس، ومحمد برهام، ومحمد عبد الرحيم إدريس، ومحمد

محمـود زيتـون، وإدوار حنا سعد، ومحمـود عبد الحي، وعمر الجـارم، ود. محمد زكي العشماوي، ود. محمد زكريا عناني، ود. لطفي عبد الوهاب، ومحجوب موسى، وعلي الباز، ووصفـي صـادق، وغـيرهم، فكتـب أحمـد السمرة المسرحية الشعرية ومنها: رئبـال، وسـاق مـن ذهـب، إلى جـانب قصائده التي جمعها في ديواني أنسام وأنغام، وقصائد إسلامية، وأصدر عبد المنعم الأنصاري ثلاثة دواوين شعرية هي: أغنيات الساقية، وعلـى بـاب الأميرة، وقرابين، وأثارت قصائده العمودية جدلا واهتماما واسعا، أما عبد العليم القباني فكان من أكثر شعراء جيله حرصا على تنوعات إصداراته التي وصل عددها إلى ثلاثة وعشرين كتابا، وهـو لم يكتـف بـإصدار الدواوين الشعرية، والتي منها: بقايا سراب، وأغنيات مهاجرة، وإنما اهتم أيضا بكتابة المسرحية الشعرية مثل قـوس قـزح، وحـدث في قصر السلطان، والملاحـم الشعرية مثل ملحمة الثورة العرابية، وملحمة الثورة الفرنسية، كما كتب شعرا للأطفال، ومنها ديوان "في حديقة الحيوانات"، كمـا كتـب البحـث الأدبي والدراسات الإعلامية، والأغـاني والأزجـال، وغيرها من الإصدارات. فكان بذلك أكثر شعراء عصره في الإسكندرية إصدارا للكتب الثقافية المتنوعة. وهو يُعد أول أديب سـكندري يصبح عضوا في مجلس إدارة اتحاد كتاب مصر.

وقد لعبت قصـور الثقافـة ـ وعلـى وجـه التحديد قصر ثقافة الحرية ـ دورا كبيرا منذ الستينيات في تقديم عشرات الشعراء في الإسكندرية إلى جمهور الشعر في مصر كلها، وبرز جيل جديد اهتم بتطوير القصيـدة العربيـة في الإسكندرية، ومغازلة شعر التفعيلة من شعرائه: فـؤاد طمـان، وسعيد نـافع، وفهمي إبراهيم، وصبري أبو علم، وأحمد عبد العظيم الشيخ، ومحمـد رفيق خليل، وحامد نفادي، ويوسف العيشي، وعزيزة كـاتو ومهدي بنـدق، ود.

فوزي عيسى، ود. صالح اليظي، وعبد الصبور منير (الذي توفي في الجزائر) وعبد الله الوكيل، ود. محمد عزيز نظمي وغيرهم، وكوّن بعضُهم جماعةً شعرية عرفت باسم "أبوللو الجديد". غير أن هذه المجموعة لم تهتم بإصدار دواوين شعرية، باستثناء صبري أبو علم الذي أصدر ديوانا واحدا حتى الآن، هو "قصائد حب"، وعزيزة كاتو التي أصدرت ديوانا واحدا حتى الآن، هو ديوان "يوميات امرأة تبحث عن هوية"، وأيضا باستثناء الشاعرين فؤاد طمان وحامد نفادي اللذين أصدرا أكثر من ديوان. أما الشاعر مهدي بندق. الحاصل على جائزة الدولة التشجيعية في المسرح. فقد اهتم بالمسرح الشعري اهتماما كبيرا وأصدر عدة مسرحيات شعرية، منها: ريم على الدم، والسلطانة هند، وليلة زفاف إلكترا، وغيلان الدمشقي، وهل أنتَ الملك تيتي! وآخر أيام إخناتون، وغيرَها، فضلا عن إصداره لمجلة أحدثت صدى طيبا لدى الأوساط الثقافية في مصر هي مجلة "تحديات ثقافية".

يأتي بعد ذلك جيل السبعينيات في الإسكندرية، ومن أهم شعراء هذا الجيل: فوزي خضر.. الحاصل على جائزة الدولة التشجيعية. صاحب أطول قائمة للكتب في جيله، ليس في الإسكندرية وحدها، وإنما في مصر كلها، فله حتى الآن أكثر من خمسة وأربعين كتابا ما بين الدواوين الشعرية، والدراسات الأدبية، وكتب الأطفال، والرحلات، والتراجم، فضلا عن كتاباته الدرامية للإذاعة، ولعل برنامجه الإذاعي اليومي الشهير "كتاب عربي علّم العالم" بإذاعة البرنامج العام، يُعد من أهم البرامج الإذاعية في هذا المجال. وقد اهتم فوزي خضر بتطوير قصيدته، فلجأ إلى القصيدة المدورة، والقصيدة الإبجرامة (القصيرة جدا)، إلى جانب القصيدة التفعيلية،

وهي السائدة في معظم دواوينه، وأحيانا القصيدة العمودية، كما تنوعت موضوعاته وأساليبه الشعرية.

أيضا هناك من شعراء هذا الجيل: عبد الحميد محمود - الحاصل على جائزة الدولة التشجيعية في الشعر - ومرسي توفيق، وعبد المنعم كامل، وعبد المنعم سالم، وأحمد محمود مبارك، وعبد الرحمن عبد المولى، ومحمد عبد الفتاح الشاذلي، وربيع عبد العزيز، وعاطف الحداد، ومحمود عبد الصمد، وأحمد شاهين، وناجي عبد اللطيف، وأحمد فراج، ومحمد فرج، وإسماعيل الشيخة، ومحمود إدريس، وهدى عبد الغني، وصاحب هذه السطور، وكل منهم أصدر أكثر من عمل مطبوع، باستثناء عبد المنعم سالم الذي أصدر مؤخرا ديوانه الأول "الآبق من حفل صاخب"، وصاحب هذه السطور الذي أصدر أكثر من خمسة وعشرين كتابا تنوعت ما بين الدواوين الشعرية (آخرها: الماء لنا والورود) والكتابة للأطفال، والدراسات الأدبية والنقدية، والمعاجم اللغوية (مثل معجم الدهر، ومعجم أوائل الأشياء في اللغة العربية) فضلا عن المشاركة في أعمال أدبية وموسوعية مع آخرين.

ويأتي جيل جديد في الثمانينات والتسعينات، يحمل - إلى جانب الشعراء السابقين - مشعل الشعر في الإسكندرية، ومن شعرائه: جابر بسيوني، وأحمد شاهر، وأيمن صادق، ومحمود أمين، ومحمد مصطفى أبو شوارب، ومراد حسن عباس، وعلي عبد الدايم، وعزة رشاد، وبشرى بشير، وحنان فاروق، وكاميليا عبد الفتاح، ومصطفى تمام، وعادل خليل، ومختار عطية، وحسني منصور، وعصام عبد الوهاب، ورحاب عابدين، وأماني شكم، ورضا فوزي، ومحمد شكري، وعنتر حربي، ومحمود الفحام، وشهدان الغرباوي، وأحمد عوَّاد، ومنال الشربيني، وأحمد الفلو، وأمل سعد، وعمر عبد العزيز،

وسناء الجبالي، وانتصار الهلباوي، وشيماء حسن، وغيرهم، وقد أصدر كل منهم ديوانا شعريا واحدا على الأقل، أو في طريقه للإصدار الأول.

ولا نستطيع أن نُغفلَ نشاط جماعة شعرية ظهرت في منتصف الثمانينات بالإسكندرية هي جماعة الأربعائيون، (وقد سبق الإشارة إليها عند حديثنا عن سلطة المقاهي والتجمعات الأدبية والثقافية في الإسكندرية) والتي اتخذتْ من صالون الشاعر عبد العظيم ناجي في منزله بجناكليس، مكانا لها حيث كان الأعضاء يجتمعون فيه مساء كل أربعاء، وأصدرت الجماعة مجلة باسمها، وانضم إليها معظم من كانوا يجربون كتابة قصيدة النثر في الثغر من أمثال: حميدة عبد الله وناصر فرغلي ومهاب نصر وعلاء خالد وغيرهم. وعلى الرغم من عدم تواصل هذه الجماعة مع بقية الجماعات الأخرى في الإسكندرية، على اعتبار أن أعضاءها يقدمون إبداعا مغايرا لما هو سائد في قصور الثقافة، إلا أن أسباب توقفها تدعو إلى التساؤل والتشكك في مدى إيمان أعضائها بما كانوا يمارسونه ويبشرون به كتابة ونقدا.

أيضا لا نستطيع أن ننسى نشاط ورشة الشعر بأتيليه الإسكندرية (جماعة الفنانين والكتاب) برئاسة الشاعر والفنان د. محمد رفيق خليل، والذي يضم مجموعة من شباب الشعراء منهم: حاتم الكاتب، وأمينة أحمد حسن، وفاطمة زكي، وفاطمة قتيبة (البراء العراقي)، وسامي إسماعيل، وإيمان عبد الحميد، وصفاء عبد العال، وعبد الرحيم يوسف، وأحمد يحيى، وغيرهم. وقد أصدرت الورشة مجموعتين من الشعر بعنوان "الورشة" لأعضائها، فضلا عن تنظيم مؤتمرين للشعر في العامين الأخيرين، لاقا نجاحا طيبا.

هذا باختصار مخل - بطبيعة الحال - أهم الخطوط العريضة للمشهد الشعري في الإسكندرية في جانبه الفصيح.

أما عن المشهد في جانبه الزجلي وشعر العامية وفن كتابة الأغنية في الإسكندرية، فيكفينا الإشارة إلى أبناء الإسكندرية عبد الله النديم، ومحمود بيرم التونسي (١٨٩٣ - ١٩٦١) - فنان الشعب، وصاحب الصدارة في فن الزجل في مصر كلها، والسيد عقل ومحمد مكيوي، ومحمد رخا (رئيس جماعة الأدب العربي)، وكامل حسني (رئيس جمعية أدباء الشعب) ورائد المدرسة الزجلية الحديثة في الإسكندرية التي تخرج منها عدد من زجالينا من أمثال: زينات القليوبي، وإيمان حسن، ونادية رسمي، وسعد بدوي، فضلا عن محمد طعيمة صاحب الأسلوب المتميز والإضافة الحقيقية في فن الزجل. ومن شعراء العامية والأغنية الذين يضيفون الآن اتساعا حقيقيا للمشهد الشعري السكندري: علي المحمدي علي، ونجوى السيد، وعبد الرحمن درويش، وجابر سلطان، وضياء طمان، وعبد الله حسن، وفاتن البقري، وإيمان يوسف، وحسام الدين شوقي، وصادق أمين، ورأفت رشوان، ومصطفى الجارحي، وفوزية شبل، وحورية البدري، وطاهر سعيد، ومحمد أحمد طه، والسيد بغدادي، وآمال بسيوني، وابنتها سحر أبو شادي، ووهيبة صادق ووفاء بغدادي، ووفاء جابر، وإبراهيم طلبة إبراهيم، وطارق السيد، وعبد الله عبد الصبور، وعمرو عبد المجيد، وحمدي خلف، وحسام الحداد، وصفية نور الدين، وأحمد خميس، وصبحي طمان، وعمران بكر ، وزكي محمود، وعبد المنعم كاسب، ومحمد سالم، وعادل حراز، وإبراهيم زيادة، وعبد اللطيف أبو كبشة، وأمينة عبد الله، وفاطمة حسبو، وحسن أبو سونة، وفوزي صبيح، وعبد اللطيف محمد عبد اللطيف، وحامد السقا، ومختار عبد الفتاح، ونعمات بدر، وعبد الفتاح محمد، وهالة مهدي، وغيرهم. وقد أصدر معظم هؤلاء الشعراء والزجالين دواوين شعرية مطبوعة.

هذا جانب من المشهد الشعري السكندري في أروع تجلياته وفيوضاته على الساحة الشعرية المصرية والعربية، أرجو أن أكون قد وفقت في نقله أو تصويره لكم، ولعل أهم ما ينقص هذا المشهد الآن، لقطة الشعراء الأجانب الذين عاشوا في الإسكندرية حديثا، وتأثروا بها ولم يغادروها ومنهم على سبيل المثال الشاعر اليوناني قسطنطين كفافيس، وهو أمر يحتاج إلى وقفات ولقطات أخرى.

شاعرات الإسكندرية

يبدو أن وجود مكتبة الإسكندرية (الجديدة) فتح شهية الباحثين والأدباء والدارسين في الثغر الحبيب، للبحث والتأليف والتصدي لموضوعات لم تخطر على بال أدبائها وكتَّابها في العصور السابقة.

وقد اختار الشاعر والباحث د. فوزي خضر موضوعا طريفا ليتوقف عنده بالبحث والدراسة والتنقيب، هو شاعرات الإسكندرية.

وأقول إن مادة هذا الموضوع، موجودة ومتوافرة بين أيدي الجميع، وخاصة منذ الربع الأخير من القرن العشرين، ولكن مَنْ من أدباء الإسكندرية، وكتَّابها، انتبه إلى هذا الموضوع ليكتب فيه سوى فوزي خضر.

إن الأفكار - كما قال الأقدمون - ملقاةٌ على قارعة الطريق، ولكن مَنْ يُحسن انتقاءها؟ وقد أحسن فوزي خضر انتقاء فكرته أو موضوعه عن شاعرات الإسكندرية عبر العصور، متوقفا طويلا عند الشواعر اللواتي ظهرن

منذ عام ١٩٧٠ حيث شهدت العقود الثلاثة الأخيرة، بزوغ نجم الكثيرات من الشاعرات في الفصحى والعامية، بل إن بعضهن أجاد الكتابة في اللونين معا.

ولعل من أسرار حيوية هذا الكتاب، وجود معظم الشاعرات اللواتي تحدث المؤلف عنهن، ورصد تجربتهن الشعرية والحياتية معا، بيننا الآن في الإسكندرية، ومن هنا، فإنه من الممكن أن ينشأ جدل واسع وحوار ثري، بين المؤلف وبين الشاعرات الموجودات في الإسكندرية الآن، وخاصة فيما أصدره المؤلف من أحكام تعد قاطعة، وغير قابلة للنقاش أو الجدل، مثل قوله: "يذكر التاريخ الأدبي أن نجوى السيد كانت أول شاعرة عامية تنجبها الإسكندرية"، ويقول عن ديوانها "شهر زاد" الصادر عام ١٩٨٨ عن سلسلة "إشراقات أدبية" بالهيئة المصرية العامة للكتاب: "إنه أول ديوان تصدره الدولة لشاعرة عامية علي مستوى مصر كلها". وقوله عن حورية البدري: "إنها كانت كاتبة القصة الوحيدة بالثغر عام ١٩٧٠".

أيضا من الآراء التي تدعو إلى الجدل مع المؤلف قوله عن حورية البدري: "إنها اتجهت إلى كتابة شعر العامية عندما وجدت الأوساط السكندرية تحتفي بشاعرات العامية"، وكأن حورية أرادت أن تعتلي موجة الكتابة بالعامية، دون أن تمتلك الموهبة لذلك.

أما فيما يتعلق بالحقائق التاريخية التي كانت في حاجة إلى مراجعة، قول المؤلف في هامش ص ٣٢ إن الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية (هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية حاليا) ترجمت كتاب الإسكندرية القديمة لمحمود صالح الفلكي باشا، ولكن الذي قام بالترجمة من الفرنسية إلى العربية في عام ١٩٦٦ م. وبمناسبة مرور مائة عام على وضع الكتاب باللغة الفرنسية - هو حفيد الفلكي

باشا واسمه أيضا، محمود صالح الفلكي، ونشرته الهيئة، وقام بمراجعة الترجمة د. محمد عواد حسين رئيس قسم الآثار بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية في ذلك الوقت، كما ورد في مراجعتنا لهذا الكتاب، فالهيئة إذن هي الناشر، وليست المترجم.

أيضا من المآخذ على هوامش الكتاب، ما جاء في هامش ص ٣٤، أن عبد الفتاح نوار (مدير مكتبة الإسكندرية)، وبطبيعة الحال يقصد المؤلف مكتبة بلدية الإسكندرية (أو مكتبة البلدية)، وليس مكتبة الإسكندرية. وقد لزم التنويه حتى لا يحدث التباس على قارئ الكتاب، وخاصة في المستقبل، فيعتقد أن مكتبة الإسكندرية التي ذكرها المؤلف، هي مكتبة الإسكندرية الجديدة، وليست مكتبة البلدية.

والشيء الطريف في إهداء هذا الكتاب، أن مؤلفه أهداه إلى مجموعة من الإناث اللواتي لهن أثر في حياته، وهن: الأم والأخت والزوجة والابنة، وهي لمحة ذكية من المؤلف، بلاشك.

بعد الإهداء، كانت هناك المقدمة، والتمهيد، ثم كان الفصل الأول بعنوان "شاعرات الإسكندرية عبر العصور" حيث برزت أسماء من أمثال: تقية الصورية، وعائشة الإسكندرانية، ووردة اليازجي، ونيللي زنانيري، وجان أرقش، وحورية علي، ومنيرة توفيق، وفلورى عبد الملك.

ثم يتوقف المؤلف في الفصل الثاني عند شاعرات الإسكندرية في شعر الفصحى، فيتحدث عن سلوى محمود، وزينات القليوبي (التي تحولت إلى كتابة الزجل فيما بعد) وهدى مراد، وفاتن البقري (التي تحولت إلى كتابة شعر العامية بعد ذلك) وأماني يوسف عبد الله، وسامية المصري، وأماني شكم، وأمل سعد، وعزة رشاد، وبشرى بشير، وسناء الجبالي، ودعاء محمد عبد اللطيف، وشهدان الغرباوي، وانتصار الهلباوي، وحنان فاروق،

وغيرهن. غير أن المؤلف يفرد بعد ذلك صفحات عن أهم شاعرات الفصحى في الإسكندرية في الوقت الحالي، مع نشر نماذج من إنتاجهن، وما قاله النقاد والشعراء عنهن، وهن على وجه التحديد: عزيزة كاطو، وفاطمة جابر، وكاميليا عبد الفتاح.

أما شعر العامية، فقد كان مركز اهتمام الفصل الرابع من الكتاب، حيث تحدث المؤلف عن الشاعرات: نجوى السيد، وإيمان يوسف، وأمينة عبد الله،. أما الشاعرات اللواتي جمعن بين الفصحى والعامية فهن: هدى عبد الغني، وسامية المصري، ووفاء جابر، ود. حورية البدري.

وبعد، فقد كان كتاب "شاعرات الإسكندرية" لمؤلفه د. فوزي خضر إطلالة على شعر المرأة في الإسكندرية عبر العصور المختلفة، "ولا شك أن هناك عصورا لم يصل إلينا ما كتبته فيها الشاعرات - كما رأينا في فصول سابقة - فتاهت أسماؤهن، وأهملها التاريخ، لذلك توجد أزمنة لم يذكر فيها أسماء شاعرات بها، لا لأنهن لم يكن موجودات، ولكن لأن شعرهن لم يصل إلينا". لذا فقد اعترضت منذ بداية هذا المقال، على بعض الأحكام القاطعة التي أطلقها المؤلف، والتي من الممكن لبحث آخر في الغد القريب، أن ينفيها تماما، أو ينقضها.

عدا ذلك يظل كتاب "شاعرات الإسكندرية"، مرجعا مهما، لكل من أراد الوقوف على نبض الحركة الشعرية في مدينة الإسكندرية، منذ فجر تاريخها، وحتى الآن.

ومما يعطي الكتاب قيمته، إعطاء الفرصة للشاعرات لكي يتحدثن بأنفسهن عن تجاربهن الشعرية والمؤثرات التي تدور حولها، سواء المؤثرات الثقافية أو الاجتماعية.

الإسكندرية: الشعر والشعراء

كان من الممكن لهذا الكتاب أن يكون معجما لشعراء الإسكندرية على مر العصور، لو اتبعت فيه الباحثة والشاعرة سناء الجبالي الترتيب المعجمي أو الألفبائي، لكنها آثرت أن تتبع المنهج الزمني، فتورد الشعراء حسب تسلسل وجودهم الزمني، دون مراعاة للترتيب الألفبائي. ولو أرادت الشاعرة هذا، لكان من السهل تحقيقه، بإضفاء بعض اللمسات المعجمية على الكتاب، وتغيير ترتيب المادة، ولكن ـ يبدو ـ أنها لم تشأ ذلك، تاركة الباب مفتوحا لها ـ ثانية ـ أو لآخرين لكي يقوموا بهذه المهمة التي أصبح تحقيقها أمرا ميسورا بعد الرجوع إلى كتابها هذا، وإلى كتاب "شاعرات الإسكندرية" لمؤلفه الشاعر د. فوزي خضر، وكتاب "قرنفلة لسيدة البحار"، وبعد إعادة النظر في كتاب "أعلام الإسكندرية" لمؤلفه نقولا يوسف، وغيرها من المراجع المتوافرة حاليا.

ولكن مهلا، فسناء الجبالي بالفعل لم تقصد أن يكون عملها معجميا، لأن كتابها اقتصر على الشعراء الذين كتبوا شعرا في الإسكندرية نفسها، سواء

كانوا سكندريين (من أبناء المدينة)، أم مصريين، أم أجانب أقاموا في الإسكندرية، منذ جيل كاليماخوس وحتى الجيل الحالي الذي ولد شعراؤه في النصف الثاني من القرن العشرين.

أما شعراء الإسكندرية الذين لم يكتبوا شعرا في المدينة أو عنها، فلا وجود لهم في هذا الكتاب. وبما أن هؤلاء بالفعل قلة، فإن فكرة تحويل الكتاب إلى معجم ما زالت مطروحة، خاصة أن سناء تقدم كل شاعر تقديما به الكثير، أو القليل - حسب المتوافر لديها - من السيرة الذاتية، بالإضافة إلى نص أو نصين من أعماله عن الإسكندرية.

إن الشاعرة عاشقة للإسكندرية، وهي تقول في مقدمتها:

"الإسكندرية مدينة لا تشبه غيرها من المدن، فلا توجد مدينة أخرى اجتمع لها ما كان للإسكندرية من موقع فريد وتاريخ طويل وحضارات أمم متنوعة عاشتها الإسكندرية، وتعايشت معها وتأثرت بها وأثرت فيها، فهي الإسكندرية الهلينستية والبطلمية والرومانية، وهي أيضا الإسكندرية بعد دخول الإسلام إليها، وما زالت تحمل تحت ثوب الإسكندرية الحديث والمعاصر كل عناصر الماضي وأصالته".

ثم بعد ذلك تقدم مدخلا تاريخيا لكتابها، تقول فيه:

"كانت الإسكندرية منذ بناها الإسكندر الأكبر عام ٣٣١ ق.م واختار لها موقعها على شاطئ البحر المتوسط كي تطل من خلاله على ثلاث قارات، وما حباها به الله من طبيعة ملهمة وخلاقة، فتحا جديدا أمام الأدباء والعلماء والكتّاب من مختلف البلاد والأقطار وخاصة من اليونان وإيطاليا وفرنسا، بل وأيضا الشعوب العربية القادمة إليها من شمال إفريقيا ليصب فيها كل ما هو جديد وغريب ومتطور من الثقافات المتنوعة والمتدفقة، مما كان له أكبر الأثر في تشكيل البيئة الثقافية وبناء أساسها ولبناتها الأولى".

ثم بعد ذلك تقدم تمهيدا عن نشأة الأدب السكندري، تعرضت فيه لإنشاء مكتبة الإسكندرية (القديمة) ومجمع البحوث الأدبية والعلمية (تقصد الأكاديمية) في عهد بطليموس الأول (سوتر أو سوتير).

ثم تتحدث الباحثة عن الشعر السكندري في العصر الهلينستي. ثم يتدفق نهر الشعراء ابتداء من كاليماخوس المولود في (قورينة أو القيروان) بليبيا حوالي ٢٠٨ ق.م (أو ٢١٠ق.م) ثم هاجر إلى الإسكندرية، وعمل فيها مدرسا، وأصبح أمير شعرائها في تلك الفترة، بما كان يمثله من أفكار متجددة ومبتكرة لفن الشعر ونظريات التأليف التي جاءت معبرة عن روح عصره، فأصبح زعيم المجددين بابتكار أنماط لم تكن معروفة من قبل أو بإحياء أنماط قديمة كانت قد اندثرت.

ولكن أين الإسكندرية في أعمال كاليماخوس؟

فالمنهج الذي اتبعته الباحثة بشأن تقديم القصائد التي قيلت عن الإسكندرية لم تطبقه على كاليماخوس إلا إذا اعتبرت قصيدة الشاعر في "برنيقي" أو "برنيس" زوجة بطليموس الثالث، قصيدة في الإسكندرية، حيث تتماهى المرأة في المدينة، أو تتماهى المدينة في المرأة، في قول الشاعر:

ما زال فوح العطر في ردنها

يلهي العقول ويسبي الناس وجدانا

جذلى "برنيق" أخاذة

بين الحسان زرافات ووحدانا

ما كانت الفاتنات إلا بها

تدعى حسانا وكان الحسن فتانا

بعد كاليماخوس، يجئ الشاعر الرعوي ثيوكريتوس الذي لا توجد له سوى قصيدة واحدة عن الإسكندرية يصف فيها معاناته من زحامها

وضوضائها، وما يلاقيه فيها من ضيق ومشقة، وهي قصيدة "السيراكوسيات" التي يقول فيها:

"رباه: ما أكثر أولئك الغوغاء، ليس في وسعي أن أتصور كيف نستطيع أن نشق طريقنا، أو كم من الزمن يلزمنا لكي نشقه فيها؟ إن عش النحل لا يعد شيئا إلى جانب هذا الهرج والمرج".

ثم تنتقل الباحثة، بعد العصر الهلينستي والسكندري البطلمي الذي ينتهي بانتحار كليوباترا - آخر ملوك البطالمة عام ٣٠ ق.م - بعد موقعة أكتيوم، إلى العصر الروماني والقبطي، ولكنها لا تجد مَن كتب عن الإسكندرية من سكندريين أو رومانيين في تلك الحقبة، عدا هوراس الذي كان معاصرا لكليوباترا فنظم قصيدة عن قصة انتحارها وهزيمتها أمام أوكتافيوس.

غير أننا نستطيع أن نقول إن هوراس ينتمي إلى العصرين البطلمي والروماني معا، فقد عاصر كليوباترا وأغسطس أوكتافيوس معا، فلماذا حسبته الشاعرة على العصر الروماني دون البطلمي؟

وقد يكون رد الباحثة أن هوراس كتب قصيدته بعد انتحار كليوباترا - كشاهد على عصر ولّى هو العصر البطلمي - في عصر لاحق هو العصر الروماني.

أما في العصر القبطي فلم تذكر الباحثة شاعرا واحدا، وبالفعل هذه الحقبة، وحتى الفتح الإسلامي لمصر تُعد مجهولة في تاريخ الأدب السكندري، ولم تذكر المراجع عنها شيئا، فهل كان الشعر - كما قلنا من قبل - بل الحياة خامدة في الإسكندرية في ذلك الوقت؟.

وبدخول الإسلام مصر، أو بدخول مصر في الإسلام، سنة ٦٤٠ م (٢٥ هـ) يزدهر الشعر مرة أخرى في الإسكندرية، ولكن بعد زمن متأخر نسبيا، ويشهد

العصر الفاطمي نجوما ساطعة في سماء الإسكندرية الشاعرة، منهم: ابن قلاقس، وابن مكنسة، وظافر الحداد، وتقية الصورية، والإمام البوصيري، وابن جبير، وأبو الفضل الاسكندراني.

يقول ظافر الحداد في قصيدة تكشف عن قوة ارتباطه بالإسكندرية وحنينه إليها وإلى ذكرياته فيها، إلى حد أن مجرد ذهابه للفسطاط والقاهرة يشعره بالفجيعة والضياع والاغتراب (وهو الشيء الذي يشعر به بعض أبناء الإسكندرية، في العصر الحالي، أيضا):

لقد ملك الإسكندر الأرض وانقضى

وأبقى له الإسكندرية شاهدا

فدلت بما فيها على عظم ملكه

وأبقت له ذكرا مع الدهر خالدا

بباطنها أضعاف ما فوق ظهرها

من الحكم اللاتي بلغن الفراقدا

رحلت إلى الفسطاط عنها بغرة

فها أنا في قيد الندامة واجدا

كآدم والشيطان لما استزله

عن الخلد للدنيا الدنية حاسدا

فها أنا باك مثل ما كان باكيا

مكابد ما كان قبلي مكابدا

أسير اغتراب واشتياق كأنني

أصارع أسدا منهما وأساودا

على الجانب الآخر، لا أعتقد أن هناك شعرا، كتبه عن الإسكندرية شاعر مثل: الإمام البوصيري، وعلى الرغم من ذلك تضعه الباحثة ضمن الشعراء

السابقين، ثم تقول: "إذا كانت صورة الإسكندرية لا تظهر في شعر البوصيري، فإن قصيدته "البردة" شغلتني عما أنا فيه بسبب عمقها وقوة تأثيرها".

وكان على الباحثة أن تكبح جماحها نحو البردة، بما لها من سطوة في النفوس، لتكون وفية لمنهجها في الكتاب.

وفي العصر الحديث ـ الذي ترى الباحثة أنه يبدأ مع بداية القرن التاسع عشر ـ تتوقف عند الشعراء الذين عاشوا في الإسكندرية وكتبوا شعرا فيها من أمثال: إيليا أبو ماضي، وعبد الرحمن شكري، ويوسف فهمي الجزايرلي، وعتمان حلمي، وعبد اللطيف النشار، ومحمد مفيد الشوباشي، وعبد الحميد السنوسي، وخليل شيبوب، وزكريا جزارين، وحسن فهمي، ولا تنسى الباحثة محمود بيرم التونسي (على الرغم من أنه يكتب الزجل، وهي في خطة بحثها لم تتحدث عن شعراء العامية والزجالين الذين كتبوا عن الإسكندرية، ولكنها في الوقت نفسه لم تستطع أن تتجاهل في هذا المقام زجال الشعب بيرم التونسي، فكان هو الاستثناء الوحيد، ومرة أخرى كان على الباحثة أن تخلصَ لمنهجها).

يقول بيرم التونسي مخاطبا الملك فاروق:

يا بو الفاروق لما اسكندر

حكم على الدنيا ودبِّر

شاف المداين واتخير

إسكندرية وسماها

يوناني ويحب الغارة

ورخره مثله أم مناره

جبار وعاشق جبارة

طلع هواه وفق هواها

واسكندر اللي بجنوده

الشرق والغرب ف إيده

والإنس والجن عبيده

باسكندرية يتباهى

وتكمل الباحثة مشروعها، متوقفة عند الشعراء الذين ولدوا في النصف الأول من القرن العشرين من أمثال: أحمد السمرة، إدوار حنا سعد، د. جمال مرسي بدر، عبد العليم القباني، عبد المنعم الأنصاري، د. عمر الجارم، د. كمال نشأت، د. لطفي عبد الوهاب، محجوب موسى، محمد برهام، د. محمد زكريا عناني، د. محمد زكي العشماوي، محمود العتريس. (وهنا نلاحظ أن الباحثة بدأت تهتم بالترتيب المعجمي أو الهجائي لأسماء الشعراء).

يقول الشاعر د. لطفي عبد الوهاب في قصيدته "أغنية للإسكندرية":

غن يا ملاح غن

ردد الأشواق عني

واسقني من كل فن

في هوى الإسكندرية

طافت الأشواق والليل حنين

فامض يا ملاح من خلف السنين

واشهد التاريخ وضاح الجبين

ومنارا ساطعا للعالمين

من سنا الإسكندرية

ثم تتوقف الباحثة عند الشعراء الذين ولدوا في النصف الثاني من القرن العشرين (وفقا للترتيب المعجمي أيضا)، ومنهم: أحمد شاهين، أحمد فضل شبلول، أحمد مبارك، إسماعيل الشيخة، أيمن صادق، جابر بسيوني، حسام الدين شوقي، صبري أبو علم (الذي كان من المفروض أن يضم إلى القائمة السابقة للشعراء، فهو من مواليد ١٩٤٣)، عادل خليل، عبد الله الوكيل، د. عبد الحميد محمود، فؤاد طمان (أيضا من مواليد ١٩٤٣)، د. فوزي خضر، د. فوزي عيسى، محمود عبد الصمد زكريا، محمود الفحام، ناجي عبد اللطيف.

(وقد نسيت الباحثة في هذا المقام شعراء كتبوا عن الإسكندرية من أمثال: محمد عبد الفتاح الشاذلي، وعبد المنعم سالم، وعبد الرحمن عبد المولى، ومرسي توفيق، ومحمود إدريس، وغيرهم).

يقول الشاعر أحمد مبارك في قصيدة بعنوان "إلى الإسكندرية المهاجرة"، وهي مهداة لصديقه الشاعر أحمد فضل شبلول، بعد قراءته لقصيدة الإسكندرية المهاجرة التي كتبها الأخير عقب سفره للعمل خارج مصر عام ١٩٨٧ والتي سمى باسمها أحد دواوينه:

وفي مقلة العين
تأوي الديار
المنار
الشطوط
الدروب
ورغما عن العين .. تلك التي تتقطر
رغما عن القلب .. ذاك الذي يتفطر

يمضي المسافر
وفي الأفق شمس تذوب
قطيرات دمع .. تذوب
ولاحت جموع النوارس
تلبس غيم الوداع
وتصرخ
فوق هدير الشواطئ
وهي تعانق ركب القلاع
فمن ذا يغني لها
ويبث التفاعيل
صحوا
وبشرا
ويلقي بذور الأغاريد
فوق يباب الحناجر

أما الشعراء غير السكندريين الذين كتبوا عن الإسكندرية، فتفرد الباحثة لهم فصلا بعنوان "الإسكندرية في عيون الشعراء غير السكندريين"، وهم حسب كتابها: محمد عثمان جلال، أحمد شوقي، إبراهيم عبد القادر المازني، أحمد محرم، أحمد زكي أبو شادي، د. زكي مبارك، علي الجارم، أمل دنقل، محمد إبراهيم أبو سنة، أحمد سويلم، د. سامح درويش.

وأعتقد أن هذه الأسماء ـ التي صنفتها الباحثة طبقا للترتيب القريب من الزمني ـ جاءت على سبيل المثال، وليس الحصر، فهناك عشرات الشعراء المصريين الذين كتبوا عن الإسكندرية، ولم تذكر الباحثة أسماءهم، ومنهم على سبيل المثال أيضا وليس الحصر، وبغير ترتيب هجائي أو زمني: فاروق

شوشة، وفتحي سعيد، وطاهر أبو فاشا، ود. مختار الوكيل، وحسن كامل الصيرفي، وروحية القليني، وعزت الطيري، وجميل عبد الرحمن، وحلمي سالم، وجمال القصاص، وغيرهم.

يقول الشاعر أمل دنقل عن الإسكندرية:

أغسطس،

الإسكندرية:

واليود ينشع في رئتين ..

يسد مسامهما الربو .. والأتربة!

طفولة "مايو" تشيخ

وفي الصبح: نرفع راياتنا البيض للبحر .. مستسلمين،

لينخرنا الملح، يمنح بشرتنا النمش البرصي،

ونفرش أبسطة الظهر، نجلس فوق الرمال،

نكروح في حزننا الغامض الشبقي .. لكي يتوهج!

أما الشاعر فاروق شوشة فيقول مخاطبا "الإسكندرية" في قصيدة لم توردها الباحثة في كتابها:

أنت لن تغلقي نوافذك البيض

ولن ترتضي حياة الدنية

التتار الذين يسبونك اليوم

ويبنون فوق صدرك أبراجا

ويزهون بالقلاع العلية

إنهم يفقأون عينيك والبحر

يصيدون النسيم الطليق

والحرية ..

إنهم قادمون من زمن الجدب

حريقا مدمرا

وجرادا معربدا

وامتدادا للهجمة البربرية

أما الشعراء السكندريون غير المصريين الذين كتبوا شعرا عن الإسكندرية، فلم تجد الباحثة منهم سوى قسطنطين كفافيس؟؟.

أما الشعراء السكندريون أصحاب التجارب الخاصة (وتقصد بهم أصحاب قصيدة النثر) فتقدمهم الباحثة في فصل خاص بهم، وهم: عبد العظيم ناجي، وناصر فرغلي، وحمبدة عبد الله حميدة، ويسرية عبد العزيز.

ومن الغريب أن تضيف الباحثة اسم الشاعر الراحل د. محمد عزيز نظمي إلى أصحاب هذه التجارب، مع أن الرجل ليس من أصحاب قصيدة النثر، ولا من أصحاب التجارب الخاصة، وإن كان هناك كسور تعتري بعض قصائده، إلا أنه لم يكن ممن يتمردون على أوزان الشعرولعلنا لاحظنا أن قوائم الشعراء - الواردة في فصول الكتاب - تكاد تخلو من الشواعر أو الشاعرات (اللهم إلا شاعرة أو اثنتين)، وللباحثة وجهة نظر في هذا الأمر، فبعد سرد أسمائهن تحت عنوان "الإسكندرية في عيونهن"، أحالت القارئ إلى كتاب "شاعرات الإسكندرية" للشاعر د. فوزي خضر، الذي عرضنا له من قبل، والذي صدر منذ أشهر قليلة قبل صدور كتابها عن الناشر نفسه (هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية)، وبالتالي وجدت أنه سيكون هناك تكرار، فاكتفت بذكر الأسماء فحسب، وهي محقة في ذلك، وإذا كان فوزي خضر لم يعن في بحثه بالشواعر اللواتي كتبن خصيصا عن الإسكندرية، إلا أنه من ناحية أخرى، لا توجد شاعرة عاشت في الإسكندرية، أو حتى زارتها، إلا وكتبت شعرا عنها.

لاشك أنه جهد كبير. تستحق عليه الشكر والثناء. بذلته سناء الجبالي في كتابها القيم "الإسكندرية: الشعر والشعراء" الذي جاء بدون فهرس أو قائمة للمحتويات، والذي وقع في ٢٦٠ صفحة، وهي لم تتوقف عند الرصد فحسب، بل في بعض الأحيان، كانت تحلل القصائد، وتتوقف عند بعض الظواهر الجمالية لدى الشعراء، فهي لم تنس أنها شاعرة في الأساس. لذا جاء كتابها إضافة جديدة للجهود المبذولة من أجل وضع شعراء الإسكندرية في مكانهم اللائق بهم على الخريطة الشعرية العربية والعالمية.

ولعلها في طبعة قادمة تعمل ببعض الملاحظات التي أشرنا إليها في هذا المقال، وأعتقد أن روح الباحثة فيها سيجعلها تنقب عن المزيد من شعراء الإسكندرية الذين لم تتحدث عنهم في كتابها.

شعرية الإسكندرية

أبسط قواعد كتابة مقدمات الكتب أن يُلقي صاحب المقدمة الضوء على ما يقدم له من أعمال أدبية سواء كانت شعرا أم قصة أم رواية .. الخ، وأن يبصِّر القارئ بأهمية العمل الذي يقدم له، ولا بأس من الحديث عن صاحب - أو أصحاب - العمل. أما إذا كان العمل لا يدخل في إطار إعجاب أو اهتمام صاحب المقدمة، فمن باب أولى أن يعتذر عن كتابة مقدمته، ويترك المجال لمن هو أقدر منه على سبر أغوار العمل المقدم للطباعة، ومن هو ملم بتاريخ الحركة الأدبية في المكان والزمان.

ولكن ما حدث من الصديق الشاعر فتحي عبد الله المقيم بالقاهرة، أن كتب مقدمة لكتاب "شعرية الإسكندرية" الذي صدر عن سلسلة "كتاب الأدباء" الذي تصدره الهيئة العامة لقصور الثقافة، فأطلق أحكاما مفرغة من أي دليل شعري، أو شواهد يستند إليها، وتحدث - في سطور قليلة وسريعة - عن قضايا أدبية تحتاج إلى جملة من الكتب لإثبات صحتها، أو خطئها، دون

أن يشير مجرد الإشارة إلى أي نص من النصوص الشعرية المنشورة داخل كتاب "شعرية الإسكندرية" وعددها ٣٨ نصا شعريا تنوعت ما بين الفصحى (العمودي والتفعيلي) والعامية والزجل، لأسماء بعضها معروف والبعض الآخر غير معروف.

لقد أسس فتحي عبد الله، لكتابة الشعر في الإسكندرية بقسطنطين كفافي، فقال: "كان أول وأهم شعرائها على الإطلاق اليوناني قسطنطين كفافي الذي زاوج بين حياته اليومية وتفاصيله المختارة بعناية فائقة وبين تاريخه اليوناني بكل مراحله .. الخ".

ومعروف أن كفافي وداريل وغيرهما من الأجانب الذي كانوا يقيمون في الإسكندرية لم يكتبوا شعرا أو نثرا سوى عن جالياتهم الأجنبية، وتاريخها، وقد كتب أكثر من كاتب أن رباعية الإسكندرية رواية ليست سكندرية، كما كتب آخرون أن كفافي ليس شاعر الإسكندرية كما يزعم البعض. وإنما هما أجنبيان أحبا الإسكندرية - في جانبها الإغريقي، ولم يتواصلا إلا مع الأجانب المقيمين فيها. وفتحي عبد الله نفسه يذهب إلى ذلك في قوله عن كفافي: "اهتم اهتماما شديدا بالمعرفة بمعناها الإنساني وبميراثه اليوناني بشكل خاص وأهم ما يميز المعرفة اليونانية القائمة على التجسيد وكل تيمات الفروسية والحب والحروب كما وردت في الفن والشعر اليونانيين".

فهل يريد الصديق فتحي أن نكتب عن الأساطير الإغريقية أو اليونانية كما كتب كفافي، وأن ننسى أو نتناسى تاريخنا الإسلامي والعربي والفرعوني ونكون بوقا للغرب، لكي نعجبه؟.

لقد سبق أن قلت في تعليقٍ على كتاب "الإسكندرية: تاريخ ودليل" لفورستر: "إنهما - أي كفافي وداريل - ينظران إلى الإسكندرية نظرة

الأجنبي ـ أو غير المصري ـ وبالتالي فعندما كتبا عنها، كتبا من خلال هذا المنظور، وبالتالي فإن السكندري المصري (ابن البلد) عندما يقرأ أعمال داريل وخاصة "رباعية الإسكندرية" لا يجد نفسه في هذا العالم الذي قدمه الروائي، وكذا الحال عند قراءة أشعار كفافيس عن الإسكندرية، إنها إسكندرية غير المصرية، إنها كما صرح بذلك داريل نفسه "إسكندرية الإغريقية".

يذهب كاتب المقدمة ـ كما أوردنا في السطور السابقة ـ إلى أن كفافي أول وأهم شعراء الإسكندرية على الإطلاق، واختلف معه، ذلك أن الشاعر كاليماخوس (٣١٠ ـ ٢٤٠ ق.م) يعد أول شاعر سكندري، فهو مؤسس مدرسة الإسكندرية الشعرية، من خلال جماعة شعرية أسماها بليآد أو الحمام، وقد رفض شعراء هذه الجماعة الملحمة الإغريقية بشكلها وحجمها، ودعا مؤسسها إلى كتابة القصيدة القصيرة جدا أو الأبجرامة (التي نرى في الشعر العربي المعاصر عودة إليها). ثم جاء بعد ذلك الشاعر ثيوكريتوس وهو يعد أول من كتب القصائد الرعوية وصور حياة المزارعين واحتفى بالطبيعة. وهناك الشاعر أراتوس الذي نظم بعض القصائد العلمية في الفلك، والشاعر هيروندااس الذي اشتهر بقصائده الفكاهية التي يستلهم فيها الحياة الشعبية اليومية. والشاعر ليكوفرون الذي كتب صورا شعرية سيريالية في ذلك العهد القديم. والشاعر أبوللونيوس الذي عاد مرة أخرى إلى كتابة الملحمة الكبيرة (ومنها رحلة السفينة أرجو) فخالف بذلك اتجاه جماعة الحمام.

وبذلك يتضح أن المشهد الشعر السكندري في أزهى عصوره امتاز ـ كما يقول الشاعر د. فوزي خضر ـ بالتنوع الذي حقق له الثراء الفني. فكان هؤلاء الشعراء باحثين، منهم من وضع فهارس مكتبة الإسكندرية مثل

كاليماخوس، ومنهم من كان أمينا عاما لها. وقد امتاز الشعر في الإسكندرية في تلك الفترة بالتجديد في الرؤية والبناء والأغراض.

إن ما أحب أن أوضحه هنا هو:

١ . عدم معرفة الكاتب الجيدة بحركة الأجيال الشعرية في الإسكندرية، فوضعني والشاعر فوزي خضر والشاعر فؤاد طمان في جيل واحد، مع أن تاريخ الحركة الشعرية في الإسكندرية . كما سبق أن أوضحنا . يقول إن الشاعر فؤاد طمان ينتمي إلى جيل الستينيات . إن كان هناك اتفاق أصلا على تقسيم الأجيال على هذا النحو . مثله في ذلك مثل أحمد عبد العظيم الشيخ ووصفي صادق وصبري أبو علم وسعيد نافع وفهمي إبراهيم ويوسف العيشي وغيرهم.

٢ . يأخذ الكاتب على "جماعة السبعينيات" في الإسكندرية، وهم حسب ما ذكره هو: فوزي خضر وأحمد فضل شبلول وفؤاد طمان . ومصطلح "جماعة السبعينيات" من عندياته، وليس من عندياتي . أنهم انحازوا مبكرا في صراعهم الاجتماعي والشعري لكل ما يمثل ثوابت الأمة، فكانوا نغمة خاصة تؤسس لشعرية حضارية، وقد أصدروا بيانات تؤكد هذا الاتجاه، إلا أنهم لم يقدموا نصوصا تدعم هذا الاتجاه ولا معرفة تتبناه بشكل جيد، وإنما قدموا مجموعة من الأخلاقيات لا يمكن لأحد أن ينكرها أو ينفيها طالما في حالة كبيرة من التجريد".

وأرى في هذا الكلام تناقضا غريبا، فكيف نؤسس لشعرية حضارية، ونقدم في الوقت نفسه مجموعة من الأخلاقيات، التي يفهم منها أننا نكتب شعرا تعليميا أو وعظيا أو شعر حكم (جمع حكمة) فكيف يحدث هذا ونحن في الوقت نفسه نؤسس لشعرية حضارية. ثم أننا لم نصدر في يوم من الأيام

بيانات تؤكد اتجاهنا، فنحن لم نكن في حاجة إلى ذلك، وتاريخ الحركة في الإسكندرية شاهد على ذلك.

٣ـ ماذا يضير الكاتب في انحيازنا لثوابت الأمة، هل يريد لنا أن نهدم الثوابت ونصبح بلا مرجعية ثقافية. إن الأمم المتقدمة تحاول أن تبحث لها الآن عن مرجعية تؤسس لوجودها في ظل هجمة العولمة، كل يحاول أن يتشبث بتراثه الثقافي قبل أن تجرفه رياح العولمة وعواصف الإنترنت، كل الأمم الآن تبحث عن نفسها، وعن تاريخها قبل أن تجرفها فيضانات المعلوماتية التي تهب عليها من كل اتجاه.

٤ـ ما لنا ومال جماعة الجراد بالقاهرة ثم جماعة الخماسين التي لم تقدم ـ من وجهة نظر فتحي عبد الله ـ شيئا جديدا سوى بعض الأسماء التي تستهلك المنجز الشعري العربي بطريقة ما. غير أنني أحب أن أضيف هنا أن الصديق الشاعر أسامة الديناصوري ليس من شعراء الإسكندرية الذين يتحدث عنهم الكاتب، ولكن جاء الديناصوري من بلدته إلى الإسكندرية ليتلقى تعليمه الجامعي، والتقينا به شاعرا مبدعا أثناء دراسته، ثم رحل عن الإسكندرية. ولم يعد إليها إلا سائحا أو زائرا، فلماذا يتحدث عن انضمامه إلى جماعة الجراد بالقاهرة، وهو يتحدث عن شعراء الإسكندرية؟.

٥ـ أخيرا أعتقد أن فتحي عبد الله، لم يكن موفقا على الإطلاق في تساؤلاته التي تقول: "لماذا لم تتمايز تجربة شعرية خاصة في الإسكندرية؟ ولماذا لم يؤسس شعراؤها لمدرسة ما مثل شعراء نيويورك رغم توافر الظروف التاريخية لذلك..؟".

إن الإجابة عن مثل هذين السؤالين تحتاج إلى ناقد كبير متابع لحركة الشعر النشطة في الإسكندرية، منذ ما قبل الميلاد وحتى أصغر شاعر معاصر في الإسكندرية الآن. ولو كان الأمر بيدي لاخترت ناقدا كبيرا مثل الأستاذ

الدكتور محمد زكي العشماوي ليتحدث عن شعرية الإسكندرية، أو ناقدا كبيرا مثل الدكتور محمد زكريا عناني، الذي يتابع كل الإصدارات السكندرية أولا بأول، أو ناقدا شاعرا مثل الدكتور فوزي عيسى له جملة من الأبحاث عن الشعر المعاصر في الإسكندرية ألقى بعضها في المركز الثقافي البريطاني بالإسكندرية، أو ناقدا متابعا مثل الدكتور السعيد الورقي الذي كتب عن معظم الإصدارات الشعرية في الإسكندرية - فصيحها وعاميها - وقدم في أكثر من مؤتمر أبحاثا عن الشعر في الإسكندرية، مثل بحثه "إسكندرية الشاعرة" الذي قدمه في مؤتمر الشعر والرواية الذي عقده إقليم غرب ووسط الدلتا الثقافي عام ١٩٩٩، أو شعراء يجيدون كتابة الأبحاث مثل: د. فوزي خضر، ومحمد مصطفى أبو شوارب، وأحمد محمود مبارك، ومحجوب موسى، ومحمود عبد الصمد زكريا، وجابر بسيوني، وصبري أبو علم، وغيرهم.

ذكريات على شواطئ القصيدة
مع الشاعر عبد العليم القباني

أول من قابلت من شعراء حقيقيين. لحما ودما. كان الشاعر عبد العليم القباني. فقد كانت صورة الشاعر في مخيلتي وأنا تلميذ في المدرسة، أقرب إلى الشعراء العرب القدامى الذين كنت أرى صورهم أحيانا في بعض المجلات والكتب القديمة، مثل صورة المتنبي أو صورة الشعراء المحدثين، مثل صورة أحمد بك شوقي، أو حافظ بك إبراهيم. وقد انطبعت هذه الصور الشخصية في ذاكرتي، إلى أن قابلت عبد العليم القباني وجها لوجه، وأنا طالب في الصف الثاني الثانوي عام ١٩٧٠.

أشار عليَّ أستاذ اللغة العربية عندما كنت طالبا في مدرسة العطارين الإعدادية أن أحاول تعلم الخط العربي، ففي رأيه أن خطي بالقلم العادي جميل، ولكن هناك قواعد أساسية لكتابة الخط العربي، تجعله أكثر جمالا، ونصحني بالذهاب إلى الأستاذ خليل بدوي مدرس الخط العربي بقصر

ثقافة الحرية. وانتظمت في تعلم الخط لأكثر من أربعة دروس، ثم سمعت أن هناك ناديا للشعر في القصر، فقلت للأستاذ خليل إنني أحب الشعر أيضا، وأريد أن انضم لنادي الشعر، فحدد لي موعدا للقاء شاعر اسمه عبد العليم القباني. وفي الموعد المحدد ذهبت لأسأل عن هذا الشاعر، وفي ظني أنه سيكون مثل الشعراء القدامى الذين رأيت صورهم من قبل، ولكن فوجئت بأن الشاعر الذي أراه أمامي يلبس ملابس مثلنا، ويضحك مثلنا، ويتحدث بالعامية المصرية أثناء كلامه مع الآخرين، فوقفت مبهورا أمام بساطته وابتساماته الصافية، فقدمت له نفسي، وسألني: أنت تكتب الشعر؟ أجبت: نعم أحاول أن أكتبه. وطلب مني أن أعرض عليه شيئا مما أكتب، فأخرجت ورقة بها أحدث ما كتبته، فقرأها على مهل. وابتسم قائلا: هذا كلام طيب، وأنت لديك الموهبة، ولكن ينقصك أن تتعلم أوزان الشعر، وأن تهتم أكثر بقواعد اللغة العربية. وأضاف: عموما أنت صغير السن، وأمامك فرصة كبيرة لأن تتعلم وتصبح شاعرا جيدا، لذا أنصحك بأن تلتزم درس الأستاذ الشاعر محجوب موسى بهذا القصر كل يوم أحد لتتعلم أوزان الشعر وقليلا من اللغة، وعليك أنت بالباقي من خلال دروس اللغة العربية في مدرستك.

سألته: ولماذا لا أتعلم على يديك؟ فابتسم ابتسامة هادئة وهمس في أذني كأنه يفضي إلي بسر خطير قائلا: الأستاذ محجوب أفضل مني في هذا، وأنا سأكلمه عنك؟

بعد أن أفضى إلي الأستاذ عبد العليم القباني بهذا السر الخطير، أحسست أنه صديقي، وكبر في نظري كثيرا من أول مقابلة معه لأنه يعطي أصدقاءه حقوقهم في غيابهم. وكانت هذه الصفة من أهم ما تعلمته من القباني.

انتظمت في حلقة الأستاذ محجوب موسى العروضية، بقصر ثقافة الحرية، كما انتظمت في حضور نادي الشعر كل يوم أحد، ولم يكتف القباني

بالمقابلة الأولى، ولكنه كان دائم الاطمئنان علي، فكان يناديني كلما رآني، فأهرع إليه، فيسألني عن قراءاتي وكتاباتي الجديدة. وكان يدفعني دائما إلى الأمام، إلى أن صرت أذهب معه في الندوات والمؤتمرات، وأشعر بالفعل أن هناك صديقا كبيرا رائعا اسمه الشاعر عبد العليم القباني يقف بجانبي ويعلمني ويقدمني إلى الحياة الأدبية في الإسكندرية وغيرها من المحافظات، وفي كل لقاء كنت أتعلم منه شيئا جديدا، حتى حقيبته السوداء التي كان يحملها معه في حله وترحاله، وكأنها أصبحت جزءا من يده، أو جزءا من إبطه، لأنه كان يحملها أحيانا تحت إبطه، صرت أحمل مثلها في كثير من الأحيان.

وعلى ذكر هذه الحقيبة، أذكر أن كثيرا من الأصدقاء الأدباء في الإسكندرية وخارجها، كان يريدون - من باب حب الفضول - أن يعرفوا ما بداخل هذه الحقيبة، فكانوا يحيكون المؤامرات الصغيرة الطريفة لسرقة حقيبة القباني، ليروا ما بداخلها فقط، ولكنَّ مؤامراتهم تذهب أدراج الرياح، لحرص القباني الشديد على اصطحاب الحقيبة معه، حتى وهو في دورة المياه.

ذات مرة - ونحن في لقاء أدبي بمحافظة الوادي الجديد - ترك لي حقيبته ليدخل دورة المياه، فداعبته قائلا: أعتقد أنني سأدخل التاريخ الأدبي، لأن القباني يترك حقيبته معي. فرد علي ضاحكا: ولهذا تركتها معك لتدخل هذا التاريخ الأدبي وأنا سأدخل بعدك. وضحكنا كثيرا ليلتها.

كانت حقيبة أوراق القباني مدار حديث وتندر الأدباء في مجالسهم التي كان القباني نجما من نجومها، لدرجة أن الصديق مصطفى عبد الله، الكاتب الصحفي بجريدة الأخبار، فكر في كتابة موضوع صحفي عن حقيبة

القباني هذه، ولعله يفعل الآن فقد كان مصطفى عبد الله من الأصدقاء المقربين جدا للقباني.

إن الذكريات مع القباني كثيرة، ولا مجال لذكرها جميعا.

رحم الله أستاذنا الشاعر الكبير عبد العليم القباني أحد عمالقة الشعر العربي في العصر الحديث الذي وافته المنية مساء يوم الأحد ٢٠٠١/١/١٤ وكأن القرن الجديد يعلن عن قدومه برحيل واحد من أبرز شعراء القرن العشرين في الإسكندرية، وفي العالم العربي.

ذكريات على شواطئ القصيدة

مع الشاعر عبد المنعم الأنصاري

أول من قدمني إلى الساحة الشعرية بشكل لائق، هو الشاعر الراحل عبد المنعم الأنصاري، الذي أحسست نحوه بعاطفة الابن لأبيه، بعد أن كاد الخلاف حول الشكل الشعري يعصف بالمشاعر التي كان يكنها كل منا للآخر.

بعد أن تأكد الأنصاري أننا ـ مجموعة الشعراء الشباب التي كانت ترتاد قصر ثقافة الحرية بالإسكندرية، منذ أوائل السبعينيات ـ تعلمنا العروض على يد الشاعر محجوب موسى، واجتزنا عقبة التعبير باللغة الفصحى، وبدأنا نمتلك أدواتنا الفنية، وأصبحنا لا نقلد أحدا من الشعراء، سعى إلينا بأبوة حقيقية، عاملا بالمثل العامي (إن كبر ابنك خاويه)، وقال بالحرف الواحد:

"يا ولاد أنتم كبرتم، وصار منكم شعراء حقيقيون، لذا سأقدمكم في الندوات الشعرية الكبيرة. وليتكم تقدمون قصائد عمودية في هذه الندوات". قلت له: نحن نقدم ما يمثلنا ولا تفرض علينا شكلا معينا. وتوقعت أن يغضب مني، ولكنه ابتسم وقال يداعبني: أما أنت يا شبلول (فلتقول) ما تريد. وصرنا أصدقاء من وقتها. قدمني ذات مرة في قصر ثقافة الأنفوشي للحديث عن الشاعر أدونيس، وكتابه "الثابت والمتحول". واعتقدت أنه لم يقرأ الكتاب، وأن الجهد سيقع بكامله عليّ، وأثناء حديثي كان يعلق على بعض العبارات كي يقربها لجمهور الندوة، وبما يفيد أنه قرأ الكتاب وهضمه، رغم اعتراضه على معظم ما جاء به.

وفي نهاية الندوة وجدته يطلب مني التوقيع على استمارة تخص قصر ثقافة الأنفوشي، فوقعت عليها، وإذا به في الحال ينقدني عشرة جنيهات مكافأة لي عن تلك الندوة، وكانت أول مكافأة نقدية أتسلمها عن ندوة تقام في قصر من قصور الثقافة. وعندما شكرته مستأذنا في الانصراف، سألني إلى أين: قلت له إنني سأتجه إلى منزلنا بمحرم بك. فسألني: ضاحكا والعشرة جنيه؟. فأجبت إنها لي، أليس كذلك؟ قال: نعم هي لك، ولكن ستعزمنا على الشاي في ديليس لنكمل الندوة هناك. وإذا بي أصرف مكافأة الندوة (وأكثر منها) على طلبات الأصدقاء في ديليس، وكنت سعيدا جدا لأن العلاقة تحولت بيني وبين شاعر الإسكندرية الأسمر (كما كان يطلق عليه) محمد عبد المنعم الأنصاري، إلى صداقة حميمة.

ثم دعاني للانضمام إلى جلسته بمقهى المحروسة بالإبراهيمية، (وكانت مشروبات اللقاء الأول على حسابه) وانتظمت في ندوة الأنصاري بتلك المقهى، التي كان يحضرها الشاعر الراحل فؤاد بدوي (عند حضوره إلى

الإسكندرية)، والشاعر أحمد محمود مبارك، والشاعر الضابط محمد فرج، والكاتب المسرحي عبد اللطيف دربالة، والكاتب القصصي حسين أبو زينة، والكاتب القصصي مصطفى عبد الشافي، وغيرهم.

ثم دعاني الأنصاري إلى حضور مجلس توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وثروت أباظة عندما كانوا يحضرون إلى الإسكندرية في فصل الصيف، ويستقبلون أدباءها في مقهى الشانزليزيه المطل على البحر المتوسط بحي لوران، بعد أن تهدم مقهى بترو. وفي أول زيارة لي مع الأنصاري إلى هذا المقهى صبيحة أحد الأيام، قدمني إلى توفيق الحكيم ونجيب محفوظ، وكنت أراهما وجها لوجه لأول مرة في حياتي، فسلمت عليهما، وجلست - فخورا - إلى جوار توفيق الحكيم الذي كان يجلس بجوار النافذة، وتشغله تحيات المارة بطريق الكورنيش، أما نجيب محفوظ، فقد كان يجلس على الجانب المقابل من المائدة المستطيلة، ولاحظت أنه يرتشف رشفة واحدة من فنجان القهوة الذي أمامه، ويتركه، إلى أن يرفعه الجرسون، وأبديت هذه الملاحظة للأنصاري، فأخبرني أن هذا الأمر من عادات نجيب محفوظ. وكان الحديث الرئيسي في هذه الجلسات - التي حضرتها مع هؤلاء العمالقة - عن زيارة السادات للقدس واتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة السلام مع إسرائيل التي كان يبدو أن توفيق الحكيم مرتاح لها في ذلك الوقت.

***

عندما طُلِبَ من الأنصاري في بداية عام ١٩٨٠ (وكان يعمل وقتها مشرفا ثقافيا بمديرية الثقافة بالإسكندرية) اختيار مجموعة من شعراء الإسكندرية للمشاركة في أمسية شعرية بكرمة بن هانئ (منزل أمير الشعراء أحمد شوقي)

بالقاهرة. اختار مجموعة من الشعراء كبار السن من أمثال: محمود العتريس، وإدوار حنا سعد، وأحمد السمرة، وعبد العليم القباني، واختار اثنين من الشعراء الشباب، كانا الشاعر أحمد فراج، وأنا. ولكي يجعلني الأنصاري متأهبا للموقف، همس في أذني قائلا: أنا اخترتك مع الشاعر أحمد فراج، لحضور ندوة شعرية في كرمة بن هانئ، وربما يحضرها سيادة الرئيس، قلت له: السادات؟ معقول؟. فقال لي ألم يحضر منذ شهور قليلة أمسية شعرية ألقى فيها محمود يس وفاتن حمامة شعرا لأحمد شوقي؟ قلت له: حصل؟ قال: فما المانع أن يحضر أمسية شعراء الإسكندرية في المكان نفسه؟ قلت له: أشك في ذلك؟ أجابني: عموما حضر قصيدة عمودية جيدة لهذه المناسبة؟ قلت له: تاني. فضحك وقال: (أنت راسك ناشفة). وأراد أن يحمسني فقال لي إن أحمد فراج سيقول قصيدة عمودية، فقلت له: هو حر.

وبالفعل ذهبت مجموعة شعراء الإسكندرية لكرمة بن هانئ، ولم يحضر السادات بطبيعة الحال. ولكن فوجئت بوجود الأستاذ الدكتور أحمد هيكل (وكان وقتها عميدا لكلية دار العلوم، وقبل أن يصبح وزيرا للثقافة في عهد الرئيس مبارك فيما بعد) للتعليق على قصائد الأمسية. في تلك الليلة ألقيت قصيدة جديدة عن الإسكندرية بعنوان (إلى فتاة اسمها الإسكندرية، أودعتها بعد ذلك في ديواني "ويضيع البحر") جذبت انتباه الدكتور هيكل وعلق عليها تعليقا مستفيضا، كما جذبته أيضا قصيدة فراج العمودية. مما جعلني أسعد بتلك القصيدة وبتلك الأمسية وأتذكرهما دائما، كلما تذكرت عبد المنعم الأنصاري، الذي كان فخورا بنجاح تلك الليلة، وباختياره لشاعرين من الشباب في الإسكندرية، أثبتا وجودهما. وتوثقت أكثر العلاقة

بيني وبين الأنصاري وخاصة عند حضور مؤتمرات وندوات ومهرجانات خارج الإسكندرية، بل وخارج مصر، مثل مهرجان "المربد" العراقي.

وقد كان اعتقال ابنه طلال الأنصاري في قضية الكلية الفنية العسكرية في منتصف السبعينيات، من الأحداث التي زلزلت حياة الشاعر وشعره، فقدم أعمق شعره وأعذبه، ونشر الأنصاري بعض شعره هذا في ديوانيه "على باب الأميرة"، و"قرابين". ومن يقرأ قصائد هذين الديوانين، ويقارنها بقصائد ديوانه الأول "أغنيات الساقية" سيجد بونا شاسعا. كان الأنصاري يقرأ عليَّ بعض قصائده الجديدة وعيناه تدمعان، فأحس بنزفه الشعري، وبفداحة الموقف الذي يعيشه الشاعر، حتى بعد أن أصدر الرئيس أنور السادات أمره بتخفيف العقوبة على طلال من الإعدام إلى المؤبد. يقول في قصيدة بعنوان "مقاطع من قصيدة لم تكتمل" كتبها عام ١٩٧٥:

ماذا أعد لمولايَ الأمير .. ومن   أدعوه للحفلِ من أهلي وخلاني؟

ومن سيختار للمحبوب حلته؟   ولونها أبيض .. أم أحمر قاني؟

ومن سيصحبني لما أودعه   في آخر الحفل عند الشاطئ الثاني؟

ويقول في قصيدة "ربابة" المكتوبة عام ١٩٧٩:

يا سؤالا ما له الدهر إجابة   أغلقَ العرّافُ في وجهك بابهْ

والذي زيَّن لي حلم الهوى   راح بالحلم .. وأبقى سرابه

وأنا أحفظُ في ذاكرتي   عطرَ من أهوى إذا العطر تشابه

غير أني كلما اجتزتُ به   غابةً أنبتت الأشواكُ غابة

ويقول في قصيدة "نبوءة" المكتوبة عام ١٩٨٠:

تحوَّلَ مجرى النهرِ من أينَ أبدأ   فإنَّ الغدَ المأمولَ بالقحطِ ينبئُ

وجفت ينابيع الدماء فأسرعت بآجالنا الأحزان والحلم يبطئ

وفات أوان الغيث يا بؤس قرية ويا بؤس طير في الربى حين تظمأ

مواسمنا مجهولة .. أين شيخنا أما زال في محرابه يتنبأ ؟

كان الأنصاري مرشحا للفوز بجائزة الدولة التشجيعية في الشعر عام ١٩٨٨ وبعد أن أبلغه بعض أصدقائه من أعضاء لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، نبأ حصوله على الجائزة فبدأ يتلقى التهاني، ويوزع علينا قطع الحلوى والجاتوه والمشروبات الباردة، ولكن تخرج علينا جرائد صباح اليوم التالي بخبر حصول شاعر آخر (هو سعد درويش) على الجائزة، فيسقط في يدي الأنصاري، ويهتز اهتزازا شديدا، يؤثر على صحته العامة، وتبدأ صحته في الاعتلال، ثم يسلم روحه إلى بارئها عام ١٩٩٠ بعد أن حفر اسمه في سجل الشعراء العرب المجيدين الذي أضافوا إلى صرح القصيدة العمودية ـ من روحه وإبداعه الشعري ـ لبنات جديدة.

على شواطئ
الرواية السكندرية



روائي من بحري

قارئ روايات محمد جبريل لا يملك إلا أن يمسك بالقلم ليكتب نصا موازيا، إما إبداعا أو نقدا، أو مقالا، أو قصة، أو خاطرة أدبية .. الخ. أي أن أعمال جبريل الإبداعية تحرض قارئها على الكتابة، وبما أن معظم هذه الأعمال تدور في البيئة المحببة له، وهي حي بحري بالإسكندرية، فإن قراءه سواء كانوا سكندريين أو غير سكندريين، أصبحوا يمتلكون خبرة جيدة بالأماكن السكندرية التي غالبا ما تكون البطل في أعمال جبريل. تماما مثلما يحدث مع قارئ روايات نجيب محفوظ الذي يعرف الكثير عن القاهرة من خلال تلك الروايات، وخاصة حي الجمالية، وحي العباسية.

وقد تفاعل مع روايات جبريل الكثير من النقاد والمبدعين، وصدر عن أعماله كتب عدة، نذكر منها: فسيفساء نقدية (تأملات في العالم الروائي لمحمد جبريل) للدكتور ماهر شفيق فريد، واستلهام التراث في روايات

محمد جبريل للدكتور سعيد الطواب، والبطل المطارد في روايات محمد جبريل، للدكتور حسين علي محمد، ومحمد جبريل .. موال سكندري دراسات بأقلام عدد من الأدباء، بالإضافة إلى عشرات المقالات والدراسات المنشورة في الدوريات المختلفة بأقلام كبار النقاد والأدباء نذكر منهم: د. حامد أبو أحمد، ود. محمد زكريا عناني، ود. جمال عبد الناصر، ومحمد قطب، ومهدي بندق، ومصطفى كامل سعد، ود. عبير سلامة، ومنار فتح الباب، وكاتب هذه السطور، وغيرهم.

وقد وضع الأديب القاص حسني سيد لبيب كل ما كتب عن أعمال محمد جبريل الروائية أمام عينيه، وقرأ كل النتاج الروائي له، وخرج علينا بكتاب جديد عنوانه "روائي من بحري. سرد روائي عبر المكان" صدر عن سلسلة كتابات نقدية (العدد ١١٣) التي تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة، ويرأس تحريرها الناقد الدكتور مجدي توفيق.

تحدث لبيب في هذا الكتاب عن روايات جبريل: الصهبة، قاضي البهار ينزل البحر، الشاطئ الآخر، النظر إلى أسفل، رباعية بحري (أبو العباس، ياقوت العرش، البوصيري، علي تمراز) المينا الشرقية.

وبطبيعة الحال ليست هذه كل أعمال جبريل الروائية، ولكن هناك روايات: الأسوار، إمام آخر الزمان، من أوراق أبي الطيب المتنبي، قلعة الجبل، الخليج، اعترافات سيد القرية، زهرة الصباح، بوح الأسرار، فضلا عن المجموعات القصصية: تلك اللحظة، وانعكاسات الأيام العصيبة، هل، حكايات وهوامش من حياة المبتلي، سوق العيد، انفراجة الباب، حارة اليهود، رسالة السهم الذي لا يخطئ، وغيرها من الأعمال الإبداعية التي هي أقرب إلى السيرة الذاتية أو الرواية التسجيلية مثل: حكايات عن جزيرة فاروس، والحياة ثانية، ومد الموج.

ويبدو أن حسني سيد لبيب استبعد من قراءته النقدية لأعمال جبريل الروائية، كل ما هو مكتوب خارج نطاق المكان (بحري) حيث ركز عدسته النقدية على حي بحري من خلال أعمال جبريل، فكان مخلصا للعنوان الذي اختاره لكتابه النقدي "روائي من بحري . سرد روائي عبر المكان"، متخذا منهج التحليل والمقارنة، بين الروايات الست (إذا أخذنا في الاعتبار أن رباعية بحري رواية واحدة، وليست أربع روايات). وفي هذا يقول في تقديمه للكتاب: "أما الجانب الروائي . موضوع كتابنا هذا . فإني شعرت بأن الدراسة لابد أن تتمحور عند دائرة معينة، فاخترت تلك الروايات التي اتخذت من الإسكندرية مكانا ومسرحا لأحداثها، حيث شكلت وجدانه (أي المؤلف) بصفتها وطن الصبا والشباب، ورغم أنه يقطن الآن في القاهرة (حي مصر الجديدة)، إلا أن الإسكندرية لم تزل وحي إلهامه".

وفي جميع الأحوال فإن من يقرأ نقد حسني لبيب، يكون قد ألم إلماما لا بأس به بعالم الروايات التي تحدث عنها، فقد اضطر الكاتب إلى تقديم ملخص لكل رواية حتى يقف القارئ على عناصر السرد الروائي التي يتحدث عنها.

وإذا كان حسني سيد لبيب ليس ناقدا محترفا، كمجدي توفيق، ومصطفى الضبع، وأحمد صبرة، وعزازي علي عزازي، وغيرهم من نقادنا الشباب . فهو أديب قاص يهوى النقد . إلا أنه . من خلال كتابه "روائي من بحري" . استطاع أن يضع يديه بالفعل، على أهم مفاتيح العالم الروائي لمحمد جبريل، وخاصة هذا العالم الذي تجري أحداثه وتتناسل شخصياته في منطقة بحري بالإسكندرية مسقط رأس المؤلف. لقد وضع لبيب يديه على الكنز الذي يغترف منه محمد جبريل، وهو البيئة الشعبية في بحري،

وكل ما ترتبط به من معتقدات وطقوس صوفية وجنسية، لذا نراه يخصص فصلا مستقلا في كتابه بعنوان "تضمين الموروث الصوفي في رباعية بحري".

وقد سبق أن ذكرت في دراسة لي عن رباعية بحري (نشرت في كتابي "الحياة في الرواية")، "أن التصوف والجنس في هذه الرباعية وجهان لعملة واحدة، هي الحياة البشرية في سموها وانجذابها نحو فك الأسر ومحاولة الانطلاق خارج حدود الزمان والمكان، وهذه الحياة في انحطاطها ودناوتها وسعيها إلى إشباع الغرائز السفلية بشتى الطرق". وأعتقد أن حسني سيد لبيب ينطلق في رؤيته لرباعية بحري من الزاوية نفسها.

وعلى الرغم من ذلك كنت آمل من الصديق حسني سيد لبيب أن يخلص بعد أحاديثه عن الروايات الست إلى نتائج محددة تكون في جوهرها خلاصة إبحاره وتحليلاته لعالم الرواية عند محمد جبريل.

غير أنني بلا شك سعدت بهذا الكتاب، لأنه جعلنيً أعيد قراءة أعمال جبريل الروائية مرة أخرى من خلال تحليل حسني سيد لبيب لها.

يا بنات إسكندرية

أعتقد أن هذه الرواية للمبدع الكبير إدوار الخراط جزء من سيرته الذاتية في مرحلة طفولته أو شبيبته ومراهقته سواء العاطفية أو السياسية، خلال سنوات الأربعينيات من القرن الماضي. وفي هذه المرحلة عادة ما يتطلع الشاب إلى الجنس الآخر، ويشكل عالم حواء بالنسبة له هواجس لا نهائية.

وقد استطاع إدوار الخراط أن يجسد هذه الهواجس من خلال سرد علاقاته ببنات حواء التي تفتحت عيناه عليهن في الإسكندرية، عن طريق الكلمة والنظرة والإيماءة والفعل. لذا اختار عنوان روايته "يا بنات إسكندرية"، وكان في استطاعته أن يختصر من العنوان قليلا فيقول "بنات إسكندرية"، ولكن "يا" النداء هنا لها وظيفتها الأساسية، فهي من ناحية تعني الاستغاثة بعالم البنات الذي يرد المؤلف وهو يعيش فترة كهولته أو رجولته أو شيخوخته (حيث انتهى من كتابة هذه الرواية / السيرة في يوم الخميس ١٨ طوبة ١٧٠٥ الثانية فجرا (وهو التقويم القبطي المصري)،

الموافق ٢٦ يناير ١٩٨٩ أي وعمره يشارف على الستين أو يزيد) إلى عالم الصبا والذكريات الحسية والروحية الحميمة، وإلى أوضاع البلد والعالم خلال تلك السنوات من حياته في الإسكندرية. ومن ناحية أخرى فإن إصرار المؤلف على إلحاق "يا" النداء بالعنوان، تعني أنه يستحضر جزءا من الفلكلور الغنائي للإسكندرية. تقول الأغنية السكندرية:

يا بنات إسكندريَّة

مشيكم على البحر غيَّة

تلبسوا الشاهي بتُلي

والشفايف سكريَّة

وهو يفتتح روايته بهذا الفلكلور، مما يدل على وعيه التام باختيار عنوان الرواية "يا بنات إسكندرية"، وارتياحه له، بدلا من "بنات إسكندرية" بحذف يا النداء.

والرواية بالفعل تحتفل بالبنات والسيدات من كل نوع: مسلمات ومسيحيات، ويهوديات، وطليانيات، ورروميات، وأرمنيات، وجريج (أي يونانيات) .. الخ. وهكذا كانت الإسكندرية خلال سنوات صبا السارد، وبعدها بقليل.

وأول بنات الرواية، مُنى، ابنة الجيران، المتفجرة بالحياة، وأخت جمالات التي تعمل في فابريكة الغزل في كرموز، والتي اشتركت في إحدى المظاهرات ضد الإنجليز وأصابتها رصاصة، وكان السارد مشاركا في المظاهرة فحملها بين يديه، وأوصلها إلى منزلها، لتموت وسط أفراد عائلتها.

إنه يواعد منى في سنطقة المكس، وكان يشك في إنها ستجيء إليه، ولكنها تأتي، ويقضيان وقتا معا. ثم تظهر نفيسة في الكادر، ولم يكن السارد

على علاقة بها، ولكنه يظهرها ليصف عن طريقها بعض العادات والتقاليد الشعبية السكندرية، وربما في أماكن أخرى من مصر، عندما تحس فتاة أو امرأة أن صديقتها وجارتها تخطف منها حبيبها أو خطيبها، فعلى الرغم من علاقة منى بالسارد المسيحي، فإنها تعرف تماما أن هذه العلاقة محكوم عليها بالفشل بسبب الديانة، (حيث تفضي منى لصديقتها نفيسة قائلة: ما أنا مش عارفة حنعمل إيه مع الواد التلميذ ابن الجماعة القبط اللي فوق). لذا نراها - كما تدعي نفيسة - تحاول أن تقيم علاقة مع محروس صديق أخيها، والذي هو في الوقت نفسه، خطيب لنفيسة. وهنا تصبح البذاءة (الشعبية) سحرا ملتبسا له قوة غير مفهومة وغير مبررة، كما يقول السارد.

ثم تظهر مارية ابنة خالة السارد، وهي فتاة زنجية البشرة وسيمة التقاطيع، ومسمسمة، من خلال يوم يقضيه السارد مع عائلته على شاطئ البحر (جرينا إلى الماء وخلعت أختي عايدة وأختي هناء ومارية بنت خالتي فساتينهن القصيرة المشجرة، وكن يلبسنها على المايوهات الطويلة أم حمالات، وضربنا الموج برشاشه الصلب وكتل زبده، فرجعنا جريا، نضحك).

إنها لوحات طبيعية من أيام الصبا يتذكرها ويرسمها لنا السارد، بقلمه المعبر عن الحالات الإنسانية، حتى عندما يحلم بالالتحاق بكلية الآداب قسم اللغة العربية، يهمس لنا بأسفه الشديد على عدم تمكنه من ذلك (لأن قسم اللغة العربية عندئذ لم يكن يقبل الأقباط). لذا فإنه - بعد ذلك - يلتحق بكلية الهندسة.

ثم تظهر سوسو التلميذة بمدرسة نبوية موسى، التي توافق - في عام ١٩٤٣ - على مقابلته في كازينو الشاطبي. ولكن عندما عرفت اسمه (كان وقع الاسم القبطي القح غريبا) لم تقل شيئا، ولم يتغير تعبير وجهها الذي

ظل قناعا نحاسيا لامعا. ثم خرجا من الكازينو صامتين (طلعنا إلى الكورنيش عند كامب شيزار، وأوصلتها حتى المحطة...). ولم يرها أبدا بعد ذلك.

من الواضح أن البنات في ذلك الوقت كن يفكرن في مستقبلهن بالزواج من الشاب المناسب، وعندما يعرفن (خاصة المسلمات منهن) أن الشاب الذي أمامهن مسيحي، يدركن تماما أن هذه العلاقة أو هذا الشروع في الزواج محكوم عليه بالفشل تماما. هذا ما رأيناه - حتى الآن - من منى (غير المتعلمة) ثم سوسو (المتعلمة).

ثم تجئ مادونا غبريال الصامتة، وباولا، وكارلا، وأوديت التي يواعدها على السينمات أو على باسترودیس، ولا يفعل أكثر من أن يمسك يدها في عتمة الفيلم أحيانا، ويقبلها على خدها عند اللقاء، أو عندما يقول لها "إلى اللقاء" أحيانا، ودون أن يعدها صراحة بأكثر من ذلك، فهو يعرف أنه من الممكن أن يتورط بالزواج منها، فهي من نفس ديانته، وهي في الوقت نفسه أخت أحد أصدقائه المقربين.

أما زيزي، فتاة البار، التي أنكرها في البداية، فقد تذكر بعد ذلك أنها أنقذته من أيدي المباحث، ومن السجن، منذ سنوات، عندما ضللت المخبر الذي كان في سبيله للإيقاع به، في بار صغير في باب الكراستة.

وبالإضافة إلى ما سبق، هناك سيلفانا، وسعاد السماحي، وديسينا، وإسكندرة، وإيفيت ساسون، وسمية، ومادلين وميريام، وكاترينا، وإيفون نقاش، وستيفو اليونانية، وآرليت، وأم ميخائيل، وراوية (وغيرهن من بنات الإسكندرية والمصيفات) اللاتي من خلالهن، يؤرخ السارد لفترة هامة من تاريخ الوطن (مثلما رأينا من خلال جمالات).

وليس شرطا أن تكون علاقة السارد بكل هؤلاء الفتيات والسيدات علاقة جنسية، أو ما شابه ذلك، فهناك علاقات مع الجنس الآخر جاءت من

أجل إبراز مشاهد أو تيمة دينية معينة، مثل علاقته بأم ميخائيل التي كانت تقطن في حي بحري، في شقة أسفل العمارة التي يقيم فيها صديقه في الجهاد، قاسم اسحق، وأثناء نزوله من عند صديقه تدحرج وسقط على السلم القديم، فتخرج أم ميخائيل هاتفة: باسم الصليب، وشارة الصليب، اسم الله عليك وعلى أختك، مش تحاسب يا خويا؟ (وهي نفس كلمات أمه عندما كان يقع على الأرض في طفولته).

ويصف السارد وجه أم ميخائيل عندما رآها بعد نهوضه بأنه (كان وجها قبطيا مرفوعا من تابوت في الفيوم، ولكنه حي ونضر وأملس الجلد كأنه ذهبي باهت، ومصقول جدا، والعينان الواسعتان الغويطتان، يحيط بهما سواد الكحل البلدي).

ثم تحكي له أم ميخائيل قصة معمدانية ابنها بالدم واللبن، وكاد الولد يموت منها في القطار الذي أخذته، لكي تذهب إلى دمنهور، بعد الغارة الأخيرة على البياصة والطورييد الذي ترك كوم بكير حفرة دائرة عريضة (أثناء الحرب العالمية الثانية، وضرب الإسكندرية في تلك الأيام، وهو ما أشار إليه بطريقة أخرى الروائي إبراهيم عبد المجيد في روايته "لا أحد ينام في الإسكندرية"). لقد كاد ابنها يموت في القطار، وتدخل الناس، واقترب منها شيخ يعتمر عمامة صغيرة بيضاء كالفل على اللبدة الطرية، وأخذ يقرأ القرآن بصوت خفيض، كأنه يدعو الله أن ينجي الطفل الرضيع.

وهذه رسالة من السارد يوضح فيها أن مصر طوال تاريخها لم تعرف التفرقة بين مسيحي ومسلم، وأنه في وقت الشدائد يظهر العنصر الأصيل للأمة المصرية.

إنه في موضع آخر من الرواية، وعند دخول شهر رمضان يقول: "كان صوت الشيخ رفعت في رمضان طفولتي يترقرق من صناديق الراديو الكبيرة

ذات العين الواسعة المنيرة، في الدكاكين والقهاوي والبيوت المفتوحة الشبابيك قبل مدفع الإفطار، صوتا سلسالا وجميلا ومنذرا، بحزن من عذابات الخيانات والكفران بالنعيم". ثم يقول: "بطريرك آخر هو". وهو تشبيه عندما يأتي من مسيحي يعني المكانة العالية التي يحتلها الشيخ محمد رفعت عنده.

وعندما يقرر أهل العمارة التي يقطن بها قاسم إسحق، رحيله منها، بسبب زيارة الفتيات المتكررة له، فإن أم ميخائيل تقسم بحياة سيدي المرسي أبو العباس، فتقول للسارد بعد الزيارة التي لم يجد فيها صديقه بشقته فوق السطوح: "وكليت الحتة بكليتها وحياة سيدي المرسي قالت لغاية كده ولأ".

وعندما كان ضرب الإنجليز يشتد على الإسكندرية في الحرب كانت عبارات "أبانا الذي .." تختلط بسورة الكرسي، والدعاء باليونانية والطليانية يختلط بيا لطيف يا لطيف يا خفي الألطاف نجنا مما نخاف، وعندما تنتهي الغارة بالصفارة الطويلة المتصلة كانت الناس تضحك، وتصعد سلالم المخبأ، وهي تكاد تسقط من النوم.

بل إن السارد يقول في موضع آخر من الرواية: "كنت أحفظ الشعر الجاهلي واقرأ القرآن، وأترجم رواية مغامرات اسمها "السهم الأسود" وأحب الفتاة الأرستقراطية ..". وكان يقرأ فجر الإسلام وضحى الإسلام لأحمد أمين.

هكذا كانت الإسكندرية أيام صبا السارد تجمع بين: السارد المسيحي غير المتعصب، وزكي إبراهيم صدوق ابن البلد اليهودي الإسكندراني القح، الذي كان عدوا لدودا للصهيونية، وكان يشارك في الحلقة الثورية

الإسكندرانية القديمة في عام ١٩٤٦، وأحمد النمس الذي كان إرهابيا إسلاميا (؟) ثم أصبح ماركيسيا لينينا. وغيرهم.

شخصيات حقيقية أخرى وردت بالرواية، مثل الرسام أحمد صبري (الذي ذهب بعد ذلك إلى باريس)، والدكتور أحمد محمد الحوفي، وغيرهما الأمر الذي يؤكد أن هذه الرواية "يا بنات إسكندرية" جزء من السيرة الذاتية للروائي الكبير إدوار الخراط، الذي استخدم تقنيات روائية أو سردية كثيرة في هذه الرواية، من أهمها: الاتجاه زمنيا إلى الأمام، وهذه التقنية تأتي على عكس الرجوع إلى الوراء (فلاش باك)، فهو يقول مثلا: "وبعد أربعين سنة كانت السيارات تتزاحم ..". أي بعد أربعين سنة من النقطة الزمنية التي يتحدث عندها فنيا. أو "بعد ثلاث أو أربع سنين عندما انتقلنا إلى البيت الذي يطل على ترعة المحمودية ..". أو ورود عبارة قالها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بعد قيام الثورة، وكان الزمن الفني للرواية قبل الثورة بسنوات، مثل: "ارفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستعمار"، وهكذا.

والاتجاه إلى الأمام، لا يعني إلغاء الفلاش باك أو العودة إلى الوراء، وإنما التقنيتان موجودتان معا، فضلا عن استخدام العامية المصرية في أماكنها المناسبة تماما، وعلى لسان الشخصيات غير المتعلمة وغير المثقفة، وقد أوردنا منها شيئا على لسان أم ميخائيل التي تقول أيضا: "الجري ورا المعايش صعب يا سيدنا لفندي، والشرف برضو صعب. ما تآخذنيش احنا ما نقولش حاجة لا سمح الله أبدا. والله العظيم موش مونكن دحنا رقابينا سدَّداة وإنتو ولاد أصول، ما هو الكتاب يتقرا من علوانه، أمال، ..". بل استخدام العامية السكندرية على وجه التحديد التي يغلب عليها نون الجماعة في كثير من الألفاظ والكلمات، مثل قوله لمنى في بداية الرواية:

"عايز نشوفك"، وقول منى: "ما انا مش عارفة حنعمل إيه". فنون الجماعة في نشوفك، وحنعمل، تأتي في العامية السكندرية بدلا من أشوفك، وحاعمل في العامية المصرية عموما. ويقال إن نون الجماعة التي تتميز بها العامية السكندرية ترمز إلى اعتزاز السكندري بنفسه، فيطلق على نفسه ما يطلق على الجماعة، وكأنه هو لوحده جماعة من البشر. ولعل نون الجماعة تلك تعد خصيصة في عامية الإسكندرية، تحتاج إلى بحث لغوي متخصص. تقول منى أيضا لبائع السمك: "دي بشلن ونبقى كارمينك". أو تقول له وهي واقفة بمفردها للشراء: "داحنا عايزين نكرموك".

وأيضا هناك في عامية الإسكندرية، لفظة (أيوه) المراد بها التهويل. وتقال أحيانا على لسان أبناء البلد السكندريين: أيوه يا جدعان. للتهويل من الشيء. رغم أن هذه اللفظة تعد في أماكن مصرية أخرى من الألفاظ القبيحة. (وقد لمست ذلك بنفسي عندما كنت في ضيافة أقارب لي في مدينة الزقازيق).

وما دمنا في مجال اللغة، فإننا نستطيع القول إن لغة إدوار الخراط الفصحى في جميع أعماله تقريبا، لغة نقية، جذلة، يهتم بها اهتماما كبيرا، إنه لغة قوية حساسة، ترقى أحيانا إلى مستوى الشعر، ليس فيها استسهال ولا ضعف. إنه دارس جيد للغة العربية ومتذوق كبير لها. ومن هنا جاءت طيعة جميلة رائقة في أعماله الأدبية عموما. ولعل دراسته للشعر الجاهلي، وقراءته للقرآن الكريم، ساعدته على ذلك كثيرا.

أيضا من تقنيات الرواية التي استخدمها السارد في روايته، ولكن على نطاق ضيق للغاية: استخدام الوثائق الصحفية، وكتابة الخطابات. يقول مثلا: "وقالت الأهرام في ١٣ مايو ١٩٤٨ إنه قد أشرنا أمس إلى اعتقال أحمد المصري الحلاق في إحدى السفن المصرية بسب ما وجد في غرفته

بهذه السفينة من الكتب الشيوعية والاشتراكية، وأن الأستاذ مصطفى سليم وكيل نيابة الشؤون المستعجلة قد أمر اليوم بالإفراج عن الشخص المذكور بضمان شخصي ريثما يتم التحقيق".

إن ثقافة السارد الشرقية والغربية الواسعة تتجلى في هذا العمل الروائي / السيري، مثلما تتجلى في أعماله الأخرى. يقول على سبيل المثال: "طعنات العيون النجلاء ليلى العامرية، سافو فرجيني، جريتا جاربو، هند التي ليتها أنجزتنا ما تعد، تاييس جلوريا سوانسون منى مارية الإسكندرانية، ماجدولين، عزة كثير، مرجريت جوتييه، ميمي قشطة، بهيجة حافظ .. الخ". ويلاحظ أن كل هذه الأسماء من الشرق والغرب، من القدامى والمعاصرين، لفتيات وسيدات، بما يتفق مع نهج الرواية / السيرة.

إدوار الخراط أحد عشاق الإسكندرية، وهو دارس وقارئ جيد لتاريخها القديم والمعاصر، وهو دائم المقارنات بين تواريخها وأعمارها المختلفة. يقول في روايته: "عرَّشت أشواق عشقي في مدينتي العظمى الإسكندرية، الثغر المحروس، الميناء الذهبية، رؤيا ذي القرنين، وصنيعه سوستراتوس المهندس العظيم ولؤلؤة قلبطرة (كليوباترا) الغانية الأبدية، المدينة الساطعة المرخَّمة لا تحتاج بالليل إلى نور لفرط بياض رخامها، أكاديمية أرشميدس وأراتوسنيس الفيلسوف والشاعرين أبولونيوس وقاليماخوس، مثوى الميوزات جميعا، وعاصمة القداسة والفجور معا. أرض القديس مرقس والقديس أثناسيوس الرسولي الواقف وحده مع الحق ضد كل العالم .." إلى أن يقول: "جامعة المزارات من سيدي أبي العباس وسيدي أبي الدرداء إلى سيدي الشاطبي وسيدي جابر وسيدي كريّم رضوان الله عليهم أجمعين، ذات الشوارع الفساح وعقائد البنيان الصحاح جليلة

المقدار رائعة المغنى شـامخة الكبريـاء، إسـكندرية يـا إسـكندرية شمـس طفولتي الشموس، وعطش صباي ومعاشق الشباب".

هذه هي إسـكندرية إدوار الخـراط مـن خـلال رائعتـه السيرية "يـا بنـات إسكندرية"، وإسكندريتنا جميعا.

لا أحد ينام في الإسكندرية

(صارت الإسكندرية مدينة من فضة، تسري فيها عروق من ذهب).

بهذه العبارة ينهي الكاتب الروائي إبراهيم عبد المجيد روايته الآسرة "لا أحد ينام في الإسكندرية" الصادرة عن سلسلة روايات الهلال بالقاهرة (العدد ٥٧٠) . وأعيد طباعتها أكثر من مرة . والتي تؤرخ ، فنيًّا، لحقبة من أهم الحقب التي مرت على المدينة في عصرها الحديث، وهي حقبة الحرب العالمية الثانية، من خلال الشخصية الرئيسية في الرواية، وهي الشيخ مجد الدين الذي طرده العمدة من قريته وأرضه بسبب أفعال أخيه البهي، فلم يجد بُدًّا من أن يهاجر إلى الإسكندرية حيث يقطن أخوه الهارب، وهناك تفتح له الإسكندرية ذراعيها، وتبوح له ببعض أسرارها، فتتكشّفُ علاقة الجيرة والمودة والأخوة والصداقة بين المسلمين والمسيحيين، وتنتهي هذه العلاقة بصداقة متينة تمتد على طول الرواية بين الشيخ مجد الدين ودميان، وتبلغ ذروتها الفنية في تداخل اسم دميان

مع تلاوة مجد الدين الدامعة لسورة الرحمن بعد مصرع دميان تحت تأثير القذائف المتتالية والقنابل المدوية على القطار الذي يستقلانه في عودتهما الاختيارية من العلمين إلى الإسكندرية قبيل نهاية الحرب }سنفرغ لكم أيها الثقلان، فبأي آلاء ربكما تكذبان{ وتسقط دموعه غزيرة (دميان، دميان)... الخ .

الرواية مزدحمة بالشخصيات الرئيسية والثانوية من كل الجنسيات والديانات، ومزدحمة بالأحداث اليومية سواء التافهة أو المهمة والمؤثرة سواء على مستوى الحجرة أو الحارة أو الحي أو البلدة أو مصر أو المنطقة بأسرها أو العالم كله، حيث غليان البشر في الكرة الأرضية نتيجة رد الفعل الذي تتركه الحرب العالمية على الجميع، من أصغر عامل عربة كارو (عفانة) أو حتى العاطلين عن العمل، وأيضا الأطفال والنساء والشيوخ والعشاق، أو زعماء العالم في ذلك الوقت ابتداء من الملك فاروق في مصر، وحتى تشرشل الإنجليزي، وروزفلت الأمريكي، وهتلر الألماني سبب كل هذا البلاء الذي انعكس على سيرة حياة مجد الدين ودميان وحمزة، وجميع العمال الصغار بورش السكك الحديدية، وغيرهم من البشر في كل بقاع الدنيا.

وكما تنوعت الشخصيات وتعددت الأحداث ، تنوعت أيضا لغة الحوار ما بين الفصحى المبسطة ـ وهي الغالبة ـ والعامية، بل قرأنا جملا إنجليزية مكتوبة ومنطوقة بالعربية، وأيضا بالإنجليزية، وجملا بالفرنسية والألمانية والإيطالية والهندية والسودانية والبدوية .. الخ، بل تعددت المستويات في اللغة الواحدة نفسها ، فالعامية التي تتكلم بها زهرة (زوجة مجد الدين) تختلف عن العامية التي يتكلم بها حمزة أو عفانة على سبيل المثال .

ويبدو أن فكرة إبراز ظاهرة التسامح الديني، وعدم انتشار ما يسمى بالفتنة الطائفية، وحلول التعايش السلمي بين جميع الطوائف الدينية، وفكرة أن مصر للمصريين، عدا بعض ما يثار في بعض الأحيان، بين الصعايدة والفلاحين، في ذلك الوقت، كانت وراء اختيار المؤلف لأكثر من قصة حب نشأت بين مسلم ومسيحية، أو بين مسيحي ومسلمة على امتداد الرواية، وكان أكثرها تأثيرا قصة حب وعشق رشدي المسلم وكاميليا المسيحية، والتي مرت بسلام ودون إراقة دماء فأصبحت كاميليا راهبة ذات وجه نوراني في دير بأسيوط، وسافر رشدي إلى فرنسا للدراسة. أيضا حدثت قصة حب بين دميان المسيحي وبريكة المسلمة البدوية في العلمين، وأيضا مرت بسلام، وانتهت بزواج بريكة بابن عمها البدوي.

وكان من الطبيعي والرواية تجمع بين شخصيات مسلمة متعددة المستويات، وتنتمي إلى طبقات مختلفة، ولكن أغلبها من الطبقة الفقيرة، وشخصيات مسيحية أيضا متعددة المستويات، وأغلبها أيضا من الطبقة الفقيرة، أن يلجأ الكاتب إلى الحديث عن عادات وتقاليد كل مجموعة سواء كانت عادات وتقاليد دينية أو معيشية في نسيج روائي ممتع، فهو يحدثنا من خلال الشخصيات عن عادات الصوم عند المسيحيين وأوقاته وتعاليمه، وأيضا عند المسلمين من خلال احتفال الطبقات الشعبية أو الفقيرة باستقبال شهر رمضان. أيضا يُدخِل المؤلفُ القارئَ إحدى الكنائس ليريه ما يفعله المسيحيون أو يقولونه في صلواتهم وأدعيتهم، وكذا الحال في الأعياد والمناسبات المختلفة مثل الاحتفال بعيد أحد القديسين أو الاحتفال بمولد أحد الأولياء الصالحين المسلمين، ومن خلال السرد نرى أن الباعة واللاعبين والقهوجية وأصحاب الحرف والحيل المختلفة الذين يظهرون في مولد المرسي أبو العباس أو سيدي بشر أو سيدي جابر، هم

أيضا الذين يظهرون في الاحتفالات بمار جرجس والعدراء ... الخ . يقول المؤلف من خلال ملاحظة ذكية (ليس للاحتفاء بمار جرجس خارج الكنيسة طقوس تختلف عنها خارج المرسي أبو العباس) ونلاحظ تركيزه على "خارج" .

لقد رجع المؤلف إلى الكثير من الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والكتب التاريخية ومذكرات ورسائل القادة والسياسيين والعسكريين الذين عاشوا تلك الحقبة، واستخلص منها ما يفيد أو يخدم أحداث الرواية وتطورها الزمني الممتد ما بين الخامس والعشرين من أغسطس ١٩٣٩ وحتى يوم انسحاب روميل من العلمين في نهاية شهر أكتوبر ١٩٤٢ حيث (ابتهجت الإسكندرية فأضيئت شوارعها لأول مرة منذ ثلاث سنوات).

يقول على سبيل المثال: (قال الألمان إن الحدود الفرنسية ضيقة ، لذلك لابد من التمدد بالقوات، وليس لألمانيا أي مطامع في هولندا . وظهر في الأسواق البرتقال اليافاوي، وقيل إن محصوله وفير الآن بفلسطين، وإن الحكومة تجد صعوبة في تصديره إلى أوروبا بسبب الحرب، لذلك صار رخيصا جدا في الأسواق، وأنعم صاحب الجلالة الملك فاروق برتبة لواء على صاحب السعادة بيكر باشا، حكمدار بوليس الإسكندرية، وتم تحذير الناس من التوجه إلى ضاحية سيدي بشر ليلا خارج نطاق شريط الترام، حيث كثرت حوادث القتل والسرقة بالإكراه والاغتصاب، وتقرر أن يسافر ضباط الجيش بالدرجة الأولى في السكك الحديدية للمرة الأولى، تقديرا لمركزهم الممتاز في المجتمع ، وصونا لكرامتهم، وغادر الأمير محمد علي الإسكندرية إلى القاهرة بعد انتهاء مصيفه، وقدم تياترو بيا عز الدين رواية الفودفيل (حرامي أرستقراطي) وبلغ سعر الجنيه الذهب مائة وخمسة وثمانين قرشا وسجائر الكرافن ثلاثة قروش للعلبة عشر سجائر، وستة للعلبة

عشرين سيجارة، وتقرر أن يكون ضباط الجيش المرابط من خريجي كلية التربية الرياضية الذين يعانون من البطالة دائما، وبدأ عرض فيلم العزيمة، وتم تعديل قانون الحياد الأمريكي ورفع الحظر عن تصدير السلاح للحلفاء، وأعدم ثلاثة جنود ألمان كانوا قد قتلوا الجنرال فون فريتش أثناء القتال قرب وارسو، واستمر الملك يؤدي صلاة الجمعة من كل أسبوع في جامع ومكان آخر، فصلى حتى الآن في جامع كخيا في القاهرة، والدخيلة بالإسكندرية) .

لقد نجح المؤلف في عملية تضفيره للواقع التاريخي المستخلص من الصحف والمجلات والمذكرات، بالواقع الفني والنفسي لشخصيات الرواية وأحداثها، ليس ذلك فحسب، بل أنه يقدم لنا المعلومة التاريخية الدقيقة والغارقة في قدمها عن الإسكندرية منذ أن وقف الإسكندر الأكبر على قرية راقودة (كرموز وغيط العنب الآن) وشاهد على البعد جزيرة فاروس (الأنفوشي وبحري حاليا) وقرر أن يربط هذه بتلك وأن يبني مدينة تحمل اسمه في العام ٣٣٢ ق . م، وحتى يوم انسحاب روميل ثعلب الصحراء وإعلان هزيمة دول المحور في الحرب العالمية الثانية. وليس المعلومات التاريخية هي التي يقدمها الكاتب . بطريقة فنية . فحسب بل أيضا الأساطير والخرافات التي انتشرت على مدى التاريخ، واعتنقها أهل المدينة، ورددتها الأجيال المختلفة حتى وصلت إلينا، إما كما هي أو محرفة عن الأصل قليلا أو كثيرا. إنه قرأ الكثير من كتب التاريخ وحكاياته التي تتحدث عن الإسكندرية وضواحيها على مر العصور ليصل إلى تلك اللحظة المضيئة التي يقدمها لنا فنيا أو روائيا من خلال حدث بسيط أو حكاية عابرة ، أو قصة بسيطة، أو صورة زجلية أو شعرية أو نثرية . يقول على سبيل المثال: (عامود السواري هو اسم العامود الكبير الذي أقامه أهل

الإسكندرية تخليدا لذكرى الإمبراطور الروماني دقلديانوس، قدموه إليه هدية وتقديرا للرخاء الذي شاع بينهم، نسوا أن دقلديانوس هو أكبر من عذبهم وعذب المسحيين بوجه عام في مصر وفلسطين) . ويقول في موضع آخر: (ترعة المحمودية هي الي خلقت الإسكندرية في العصور الحديثة، أصدر محمد علي باشا أوامره السنية بحفرها عام ألف ثمانمائة وتسعة عشر، وأمر حكام الجهات المختلفة بجمع الفلاحين للعمل، فكان الحكام يربطونهم قطارات بالحبال وينزلون بهم في المراكب فيموت منهم كثيرون من التعب والجوع).

وكأي تجمع بشري يجمع بين الرجال والنساء والشبان والفتيات وقت الأزمات، تعرف الرذيلة طريقها إلى البعض ما لم يكن مستعصما بدين الله والأخلاق الحسنة والفضيلة، مثل الشيخ مجد الدين، ويقوم الكاتب برصد بعض الانحرافات الجنسية في مجتمعه الروائي، ويصورها بقلمه ويقدمها ولكن بشيء من الحذر حتى لا يطغى الجنس على عمله، وينجح في ذلك، مثلما ينجح في كبت جماح قلمه فأوقفه عن تدحرجه إلى الكثير من الألفاظ السوقية والشتائم القبيحة، فيضع عدة نقاط بدلا من ذكرها صراحة في عدة أماكن، وأعتقد أن هذا أسلوب أدبي وفني راق.

وإذا عدنا إلى شخصيات الرواية المتعددة نجد أن أكثر الشخصيات تطورا ونموا من الناحية النفسية والدرامية، لم تكن الشخصية الرئيسية الشيخ مجد الدين، بل كانت شخصية دميان، فهي شخصية تثير الشفقة في البداية، ولكن بتطورها ووعيها وحرصها على التعلم ثم التدين سار في خط تصاعدي إلى أن أصبح بعد خدمته في الكنيسة ووفائه بالنذر الذي قطعه على نفسه أقرب إلى القديسين (شيء ما يحدث في وجهه لا يدركه . مجد الدين غير

قادر على الابتعاد بعينيه عن إكليل النور الذي يحيط بوجه دميان، هذا شيء لم يكن في دميان من قبل ... الخ).

أيضا هناك كاميليا تلك الفتاة التي أحبت رشدي من الأعماق وعندما حذرها أهلها والقساوسة من مغبة هذا الحب ، أخذت تتحول تدريجيا . بعد أن شفها الحب . إلى قديسة يقصدها الناس وطالبو الشفاء في ديرها بأسيوط.

أما شخصية مجد الدين فقد قدمها المؤلف من أول الرواية على أنها شخصية متزنة، محبوبة، مضحية، متعلمة، متدينة، محافظة، تحفظ القرآن بكامله، وتتلوه في كثير من الأوقات حتى حفظ بعض المسيحيين من جيرانه وزملائه في العمل بعض الآيات الكريمة، وظل الرجل محافظا على صفاته تلك خلال كل الأزمات التي واجهها هو وزوجته، منذ أن طرده العمدة من بلدته، وحتى عودته إليها مصابا بعد قفزته من قطار العودة الذي لم يتوقف عند أية محطة، ولكن بعد شفائه يقرر بكامل إرادته، وبعد أن زاره العمدة في المستشفى وسمح له بالعيش بين أهله، يقرر العودة إلى الإسكندرية المدينة البيضاء زرقاء البحر والسماء التي ستعيد الروح لأبنائها بعد انتهاء الحرب.

إسكندرية ٦٧

ثمة شخصيتان توحيان بالتفاؤل والأمل في رواية "إسكندرية ٦٧" الصادرة عن سلسلة "أدب الحرب" بالهيئة المصرية العامة للكتاب، للروائي السكندري مصطفى نصر. وهاتان الشخصيتان هما: الدكتور أحمد الدسوقي الذي أكمل دراسته في الطب بألمانيا، وعاد إلى البلد قبل أسابيع قليلة من نكسة ١٩٦٧، والطفل حسن ذو السنوات العشر الذي غرق أبوه الصياد في إحدى النوات البحرية، فاضطر إلى أن يترك مدرسته ليعمل عند شيخ الصيادين الحاج الدسوقي والد الدكتور أحمد.

هاتان الشخصيتان هما الأمل في جيل جديد يعبر الهزيمة بعلمه وذكائه وحبه وخوفه على البلد. الأوّل عندما وقف يتحدث إلى الناس أثناء المؤتمر أو الاجتماع الذي عقده الاتحاد الاشتراكي ليحمس الجماهير قبل الحرب، وعندما سمع أحمد الدسوقي العبارات الزائفة والزاعقة، أراد أن يبثّ الوعي في نفوس الجماهير ويخبرهم أن مصر إذا دخلت حربا

جديدة . في هذا الوقت . فإنها ستخسر الحرب، وأن الغرب (أمريكا وإنجلترا على وجه التحديد) يدفع عبد الناصر دفعا إلى خوض حرب جديدة غير مضمونة عواقبها مع إسرائيل، وإنه ينصب فخا جديدا للعرب وعلى رأسه مصر.

إن أحمد الدسوقي العائد توا من ألمانيا يدرك الحقيقة أكثر من المصريين في الداخل، وإن الإعلام الداخلي ضخم كثيرا من قوة مصر في ذلك الوقت، وضعف كثيرا من قوة إسرائيل التي "سنرميها في البحر في حالة نشوب حرب".

ولكن في الخارج كانت الأمور أكثر اتضاحا وأكثر انكشافا للإنسان الذي يحب بلده ويخاف عليه وعلى مصالحه. ومع ذلك فإن الجمهور الذي خطب فيهم أحمد الدسوقي لم يشأ أن يسمع عبارة إننا غير قادرين على خوض حرب جديدة، وإن مصر ستتورط إذا دخلت حربا، لذا فقد اتهم الانتهازيون أحمد الدسوقي بالجنون والخيانة والعمالة، وأخذ علقة ساخنة من بني حيه وجيرانه وأصدقائه القدامى الذين لعب بخيالهم خطباء الاتحاد الاشتراكي في دائرة حي الجمرك والأنفوشي، وهي الحي الذي تدور فيه أحداث رواية "إسكندرية ٦٧" التي تعد بحق إضافة جديدة للرواية العربية التي تحدثت عن حقبة من أهم حقب تاريخنا في العصر الحديث.

***

وإذا كان الروائي إبراهيم عبد المجيد اتخذ من الإسكندرية مسرحا لأهم رواياته "لا أحد ينام في الإسكندرية" خلال فترة الحرب العالمية الثانية، وإذا كان الأديب مجدي عبد النبي يتخذ من فترة دخول الإنجليز إلى مصر عن طريق الإسكندرية عام ١٨٨٢ مسرحا لروايته القصيرة "اغتيال

البحر"، فإن مصطفى نصر في "إسكندرية ٦٧" يتخذ من الشهور الأخيرة قبل النكسة عالما قائما بذاته هو عالم الأنفوشي ومنطقة بحري، بما فيه من الصيادين والقوادين والأطباء والحلاقين والمجاذيب، وغيرهم، وذلك من خلال مشاكلهم اليومية وهمومهم الاجتماعية والاقتصادية وسهراتهم وعلاقاتهم العاطفية.

لقد اتخذ الأديب عبد الفتاح مرسي من الفترة التاريخية نفسها (الشهور الأخيرة قبل وقوع النكسة) عالما روائيا في روايته "المقطوع والموصول"، مع الفارق في الحي الذي تدور فيه الأحداث، فعند مرسي تدور الأحداث في حي باكوس، وعند مصطفى نصر تدور الأحداث في الأنفوشي وبحري والمنشية وأحيانا سيدي بشر، ويعتمد مرسي بكثافة على الوثائق الصحفية من خلال عمل إحدى شخصيات روايته صحفيا (انتهازيا) في إحدى الجرائد القاهرية، مثله في ذلك مثل إبراهيم عبد المجيد في روايته "لا أحد ينام في الإسكندرية" الذي اعتمد بدوره على تدفق الوثائق الصحفية خلال فترة الحرب العالمية الثانية، لكن الوضع عند نصر أنه لم يعتمد - إلا في أقل القليل - على أسلوب التوثيق الصحفي في روايته "إسكندرية ٦٧" ولكنه اعتمد - بدلا من ذلك - على خبرة إحدى الشخصيات العسكرية في الرواية - وهو الصول عبد الله الشاعر والأديب الذي كان متطوعا في القوات البحرية، والذي على لسانه تجيء معظم الشروح أو التفسيرات العسكرية في الرواية، والذي في الوقت نفسه يفاجئ بالهزيمة التي وقعت في سيناء، ومدن القناة، وكان مسرحها بعيدا عن الإسكندرية، على الرغم من بعض المناوشات البحرية القليلة التي دارت في مياه الإسكندرية مثل تسلل بعض الضفادع البشرية الإسرائيلية إلى البلدة، ووصولهم إلى طابية سيدي بشر، ولكن يتم القبض عليهم.

***

أما الشخصية الثانية التي تبعث على التفاؤل والأمل في جيل جديد يأتي بالنصر لمصر، فهو شخصية التلميذ حسن الذي بانت عليه ملامح الذكاء والفطنة والتفوق في دروسه، ولكنه اضطر إلى عدم الذهاب للمدرسة والعمل في هذه السن المبكرة لينفق على أسرته، بعد غرق أبيه في البحر، ثم عاد مرة أخرى لاستكمال طريقه في التعليم بعد إلحاح عواطف الأخصائية الاجتماعية ـ التي أحبت الدكتور أحمد الدسوقي وأحبها ـ والاتفاق مع الحاج الدسوقي ـ شيخ الصيادين ـ على عمل نظام معاش لأسر الصيادين التي يغرق عائلها أثناء رحلات الصيد، حتى لا يتشتت أولادها بعد رحيل عائلهم . لقد لمح حسن بعض الضفادع البشرية في قلعة قايتباي، فأرادوا قتله، ولكنه نجا منهم بذكائه ومعرفته لدروب القلعة ودهاليزها وخباياها، وقام بإبلاغ أهل الحي الذين توجهوا إلى نقطة شرطة الأنفوشي لإبلاغ مأمور القسم. أيضا استطاع حسن بذكائه أن يكشف سر الدكتور يوسف داود اليهودي الذي آوى أربعة ضفادع بشرية إسرائيلية في عيادته، وأعطى ممرضه عوض إجازة إجبارية حتى لا يكشف سره، ولكن حسن رآه متوجسا ويتحرك بخوف وحذر، فشك في أمره وأخبر عوض الذي شك في كلامه في أول الأمر، ولكنه تأكد بعد ذلك، وأخبر أهل الحي الذين أبلغوا مأمور نقطة الأنفوشي فتعقبوا تحركات الدكتور يوسف داود، وتمكنوا من القبض عليه وعلى الضفادع البشرية، وعلى إبراهيم فهيم أمين لجنة الاتحاد الاشتراكي المساعد عن دائرة الجمرك الذي تم الاتفاق معه على تهريب الضفادع البشرية إلى الحدود الليبية لتسليمهم إلى قاعدة هويلس الأمريكية، مقابل عشرة آلاف جنيه سيأخذها عضو لجنة

الاتحاد الاشتراكي الذي لن يشك فيه أحد طوال الطريق، لأنه يحمل بطاقة عضوية الاتحاد.

***

وليس الدكتور يوسف داود وحده هو الشخصية اليهودية في الرواية، . ولكن الرواية مليئة بالشخصيات اليهودية التي عاشت في الإسكندرية، ورفضت الهجرة إلى إسرائيل بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، إما حبا في البلد الذي ولدت فيه وعاشت على ترابه وأكلت من خيراته . مثل الدكتورة آمال التي أحبت الدكتور أحمد الدسوقي منذ أيام الدراسة في كلية الطب، ولكنه لم يشعر بها . ، أو لأداء دور معين مرسوم ومخطط له من قبل المخابرات الإسرائيلية . مثل فيكتور صاحب الكازينو والقواد، وبعض المغنيات اليهوديات اللائي يمارسن البغاء، وربما هذا ألجأ مصطفى نصر إلى تصوير بعض اللقطات الجنسية في روايته والتي كان يكفي فيها التلميح دون التصريح والوصف المسهب، خاصة في الصفحات من ٢٢ إلى ٣٢ من صفحات الرواية البالغة ٢٧٥ صفحة.

***

وتنتهي الرواية بعودة الروح مرة أخرى إلى الدكتور أحمد الدسوقي . على الرغم من الهزيمة القاسية . فيقدم أوراق تعيينه إلى إدارة جامعة الإسكندرية بالشاطبي ليعمل مدرسا في كلية الطب، وترقية الكومندان حسن المختار إلى رتبة عميد وأوكلت له مهمة تسليح الفرقاطة "مصر" بالصواريخ المضادة للغواصات . والتي رفضت تركيا السماح بعبورها مياهها الإقليمية في طريقها إلى الاتحاد السوفيتي . لتسود البلادَ روحٌ جديدة ترفض الهزيمة وتُصرُّ على تحقيقِ النصر واستعادة الأرض المسلوبة في جولة عسكرية جديدة، وهو ما حدث بعد ذلك في السادس من أكتوبر ١٩٧٣.

معجم الروائيين والقصاصين السكندريين

الإسكندرية مدينة غنية بأدبائها وشعرائها وفنانيها في شتى المجالات، وقد منحها تاريخها الثري بالأحداث والشخصيات، القدرة على البوح بالتفاصيل، والمنمنمات الحياتية المدهشة، فانعكس ذلك على مسيرة الرواية والقصة السكندرية.

ولعل أعمال محمد حافظ رجب، وإدوار الخراط، ومحمد جبريل، ومحمود عوض عبد العال، وإبراهيم عبد المجيد، وسعيد سالم، ومصطفى نصر، ومحمد الصاوي، وسعيد بكر، وأحمد حميدة، ورجب سعد السيد، وخالد السروجي، وعبد الفتاح مرسي، ومنير عتيبة، وحنان سعيد، وإيمان يونس، ومجدي عبد النبي، ومحمد الفخراني، وغيرهم، تشي بذلك.

لقد استفاد كتّاب الإسكندرية في مجال القصة والرواية، من المشهد الروائي المصري عبر رموزه المصرية المتعددة وأهمها: يحيى حقي، وتوفيق الحكيم، ونجيب محفوظ ويوسف إدريس، وغيرهم، وبدأوا

يرسمون مشهدهم الروائي والقصصي السكندري. فتوالدت الأجيال المبدعة، وأصبح هناك تراث روائي وقصصي جيد، أغرى أحد أهم المتابعين لحركة الرواية والقصة السكندرية أن يصدر معجما أدبيا لأدباء الإسكندرية في هذا المجال، وأعني الناقد عبد الله هاشم الذي أصدر "معجم أدباء الإسكندرية ـ القصاصين والروائيين" (٩٦ صفحة) عن مطبوعات الكلمة المعاصرة الصادرة عن إقليم غرب ووسط الدلتا الثقافي.

وقد سبقت عبد الله هاشم جهود أخرى تمثلت في ببلوجرافيا الرواية في إقليم غرب ووسط الدلتا لشوقي بدر يوسف، فضلا عن جهود فريق العمل الذي يعمل تحت قيادة د. حمدي السكوت بالجامعة الأمريكية بالقاهرة الذي أنجز ببلوجرافيا الرواية العربية، ولكن تظل جهود عبد الله هاشم في المجال الببلوجرافي الأولى من نوعها على مستوى أدباء محافظة أو مدينة واحدة، وهي هنا الإسكندرية، وعلى مستوى جنس أو فن أُدبي واحد هو فن السرد من خلال القصة القصيرة والرواية.

لقد رصد عبد الله هاشم حوالي مائة اسم من مبدعي القصة والرواية، ظهروا في الإسكندرية منذ بداية الخمسينيات وحتى نهاية التسعينيات، أي في النصف الثاني من القرن العشرين.

وقد سبق أن عرضنا للمشهد الشعري السكندري في مقالة سابقة، ولعل معجم عبد الله هاشم، يستطيع أن يقدم جانبا كبيرا من المشهد الروائي والقصصي السكندري، من خلال رموزه التي أبدعت خلال العقود السابقة، والتي أضاف بعضها اتساعا حقيقيا للمشهد الروائي والقصصي المصري والعربي. ويقف على رأس هؤلاء المبدع محمد حافظ رجب الذي قال عنه "معجم أكسفورد" ـ إنجلترا ١٩٧٩ ـ "كاتب قصة أسهم في إدخال شكل جيد للقصة القصيرة في مصر".

وضع عبد الله هاشم خطة أو ضوابط محددة لمعجمه تمثلت في النقاط التالية:

- أن يضم المعجم ترجمات لأدباء الإسكندرية المقيمين فيها، واعتبار الإقامة والسكن هو الفيصل في التصنيف لا معيار المولد. وبذلك استبعد أدباء مهمين ولدوا في الإسكندرية، وقضوا فيها سنوات صباهم، ولكن ظروف عملهم، ومتطلبات عيشهم، اضطرتهم للنزوح عن الإسكندرية والعيش في محافظات أخرى مثل القاهرة، ومن هؤلاء الأدباء نذكر: محمد جبريل، وإبراهيم عبد المجيد، وإدوار الخراط، وفتحي الإبياري، والسيد حافظ، وعبد الفتاح رزق، والفريد فرج، ونهاد شريف، وفوزية مهران، ود. نعيم عطية، ومحمد السيد عيد، ومحمود قاسم، ورمسيس لبيب، وغيرهم.

- أن يكون المعجم للأدباء الأحياء فقط مع ذكر الأدباء الراحلين في مجمل المعجم من حيث تاريخ الميلاد والوفاة فحسب. وهو بذلك استبعد من حقوله المعرفية أو المعلوماتية أدباء مهمين رحلوا عن عالمنا، من أمثال: حسني نصار، وحسن فتحي خليل، وسعيد بدر، وشريف أباظة، وصديق شيبوب، وفوزي عبد القادر الميلادي، ود. محمد مصطفى هدارة، ونقولا يوسف، ود. يوسف عز الدين عيسى، وعبد الرحمن شلش، وغيرهم.

- أن يكون الأديب قد أصدر كتابا واحدا على الأقل، ليكون ضمن شخصيات المعجم. وهو معيار جيد، حتى لا تختلط الأوراق، في ظل توافر فرص النشر الآن، ولكن مع ذلك فلا نعدم أديبا جيدا، أخذته السنون، دون أن يتمكن من إصدار عمل مطبوع.

- إضافة فقرة منتقاة كتبت عن الأديب بقلم أحد النقاد المشهود لهم. وهي لاشك إضافة مهمة للمعجم، وللمشهد الأدبي بعامة.

. اتباع ألـف .. بـاء (أو حـروف الهجـاء العربيـة) في تصنيـف المعجـم. وبذلك لا يخالف عبد الله هاشم فن صناعة المعجم العربي الحديـث الذي يعتمد على الهجائية العربية.

وحتـى يقـف قـارئ المعجـم علـى تطـور الأجيـال وتتابعـها في هــذا المجـال، فقد قام هاشم بتقسيم زمني لشخصيات المعجم (أسمـاء فقـط) خلافا للتقسيم الهجـائي. أي أنــه قسـم أدبـاء المعجـم إلى: جيـل الـرواد (ويقصـد بـه جيـل مـا قبـل الخمسينيات مـن أمثـال: نقـولا يوسـف، وصديـق شيبوب، وعبد العزيز عمر ساسي)، ثم جيل الخمسينيات، وجيل الستينيات، وجيل السبعينيات، وجيـل الثمانينيـات (النصف الأول) وجيل الثمانينيـات (النصف الثاني) وجيل التسعينيات.

لقد رصد الكاتب أربعة أسماء فقط لـدى جيل الرواد، ثم عشرة أسمـاء لدى جيل الخمسينيات، ولكـن في جيـل الثمانينيـات رصـد خمسة وثلاثين اسمـا، ولعله لهذا السبب قـام بتقسيم جيـل الثمانينيات إلى نصفين، ولعـل تصـاعد عـدد الأدبـاء مـن ٤ إلى ١٠ إلى ١٤ إلى ٣٥ طبقا لتقسـيم الأجيـال السـابق، يؤكـد أن أدبـاء الإسـكندرية بـدأوا يتجهـون بقـوة إلى فـن الروايـة والقصة القصيرة.

لقد تحدثت كتب كثيرة عن شعراء الإسكندرية عبر العصـور المختلفة، منذ أن فكر مؤسسها الإسكندر الأكبر في عـام ٣٣٢ ق.م أن يتخـذ مـن تلـك البقعة الواقعة بين قريـة راقـودة (راكوتيـس أو كرمــوز وغيـط العنــب الآن) وجزيرة فاروس، عاصمة لمملكته الهللينستية.

وقد سبق لنا أن تحدثنا عن بعض هذه الكتب، ولكن قليلـة هـي الكتـب التي تحدثت عن الروائيين والقصاصين السكندريين وفـق النهج المعجمي

الذي اختاره عبد الله هاشم ليؤرخ لجزء من الحركة الأدبية السكندرية في جانبها السردي.

وأعتقد أن معجمه هذا سيظل مرجعا مهما لكل من أراد أن يدرس فن السرد (بشقيه القصصي والروائي) في الإسكندرية.

مشكلات ثقافية

هل المطلوب مني - هنا - أن أجامل الإسكندرية الثقافية، أم أن أفصح لها عن الحقيقة التي تؤرقنا جميعا؟

لقد جاملنا ثقافة الإسكندرية كثيرا من قبل، فماذا كانت النتيجة؟

إن الإسكندرية الثقافية اليوم تفتقد اليوم - على سبيل المثال - إلى جريدة يومية حقيقية، بعد أن تأسست بها في ٢٧ ديسمبر من عام ١٨٧٥ جريدة الأهرام، وصدر منها العدد الأول في ٥ أغسطس من عام ١٨٧٦ ثم انتقلت إلى القاهرة بعد ذلك. فهل الإسكندرية غير مؤهلة لأن تستمر فيها جريدة كبيرة؟ هناك جرائد كثيرة في الإسكندرية، معظمها أسبوعية أو نصف شهرية أو شهرية، ولكنها في النهاية تعد جرائد محلية، ونحن نريد جريدة تخاطب مصر كلها يكون مقرها الإسكندرية، وفي الوقت نفسه تحمل أخبار الإسكندرية وثقافتها وأدبها إلى مصر كلها، حتى لا يضطر مثقفوها وفنانوها وأدباؤها إلى النزوح إلى القاهرة، وحتى لا نصبح عالة على إعلام وثقافة القاهرة، كما هو حادث الآن.

لن أتحدث عن السينما، فأقول إن أول استوديو سينمائي كان في الإسكندرية، ولن ولن .. ولكن دعوني أتحدث عن المشكلات الحقيقية الموجودة حاليا، خاصة في ظل وجود مكتبة الإسكندرية التي لم يستفد

من وجودها حتى الآن - بالقدر الكافي - أدباء الإسكندرية وشعراؤها وكتّابها.

في الإسكندرية إذاعة وتلفزيون، ولكن البرامج الثقافية في التلفزيون (القناة الخامسة) لا تفي بالغرض، ومازالت الدراما على سبيل المثال عالة على القنوات الأم، فالإمكانات محدودة، والطموحات والأحلام لانهائية. وتحاول الإذاعة أن تلعب دورا ثقافيا كبيرا، ولكن مشكلة عدم وصولها إلى الجماهير العريضة في مصر، تبقى عائقا كبيرا أمام تأدية رسالتها.

المشكلة أيضا أن لا الإذاعة ولا التلفزيون في الإسكندرية يكافئون الأدباء المتحدثين في برامجها المحدودة، في حين أن إذاعة وتلفزيون القاهرة تكافئ المتحدثين، بل تصنفهم إلى درجات وفئات مالية. الأمر الذي ينعكس بالسلب على المدعوين للكلام والحديث في الإسكندرية، ويتردد بعضهم في تلبية الدعوة، فلا أحد - من وجهة نظرهم - يسمع البرامج، ولا هم يتقاضون مكافآت عن تعبهم وانتقالهم إلى باكوس. بعضهم يفضل الجلوس على المقاهي بدلا من الذهاب إلى هناك، فالمسألة من وجهة نظرهم (مش مستاهلة).

أيضا لا يوجد المجلة الثقافية أو الأدبية المنتظمة في الصدور. تعددت الإصدارات والعناوين (فاروس، الثغر، تواصل، الكلمة المعاصرة، آفاق ثقافية، الشاطئ .. الخ)، ولكنها دائمة التعثر والتوقف، فلا يوجد من هو متفرغ لإدارة أي مجلة من هذه المجلات وغيرها. تبقى "تحديات ثقافية" لمهدي بندق، و"أمكنة" لعلاء خالد، ومهاب نصر، اللتان تحاولان الصمود، ولكن يتهددهما أيضا خطر التوقف بين الوقت والآخر، أو في حالة عدم تحمس أصحابها للصدور.

المشكلة ليست في الإصدارات، والندوات، والمحاضرات .. الخ، فهي كثيرة والحمد لله، وإنما هناك أيضا مشكلات بين الأدباء أنفسهم، فعلى الرغم من عدم وجود كعكة ما تقسم على مجموعة ما، فإن الحالة بين الأدباء والمثقفين أنفسهم، أصبحت غير محتملة، فالأغلبية تتصارع مع بعضها البعض، على ماذا؟ لا أدري. فإذا عقدت ندوة لمناقشة عمل ما، سرعان ما يظهر طابور من الأدباء يطالب بمناقشة أعمالهم لدى الناقد نفسه الذي ناقش زميلهم، سواء كان هذا الناقد من الإسكندرية أو القاهرة، بغض النظر عن مستوى الأعمال المقدمة. وإذا اختير عدد من الشعراء أو الأدباء لإدارة مجلة ما أو لعمل نشاط ما، سرعان ما يتوسم الآخرون في أنفسهم المقدرة نفسها، فيرسلون للموظفين المسئولين عن إدارة المواقع الثقافة شكاواهم، وأنهم أجدر من زملائهم الذين تم اختيارهم، فتحدث البلبلة ولا يتم إنجاز شيء على المستوى المطلوب. إنها الغيرة القاتلة، التي تدمر نفسها ومن حولها.

ومما زاد الطينة بلة في الفترة الأخيرة، أن بعض هؤلاء الأدباء، يذهبون إلى القاهرة، ويتهكمون في جلسات خاصة أو عامة على زملائهم في الإسكندرية، خاصة الذين صنعوا اسما على مر السنوات السابقة، فهل يُعقل أن يشكك أحد في اسم محمد حافظ رجب، وإبداعه الراقي، وكذلك محمود عوض عبد العال، لدى رؤساء تحرير أو مديري تحرير بعض الإصدارات القاهرية، الذين للأسف يعطي بعضهم أذنه لمثل هذا الهراء، دون التأكد من صحة الإدعاء. لقد تم هذا بالفعل. وأصبح البعض يجاهر به في الندوات السكندرية، فزمان حافظ رجب وعوض عبد العال ولًى، وإبداعهما لا يصلح إلا للمتاحف الأدبية.

كنت فيما مضى عندما اقرأ إبداعا لأي صديق من الإسكندرية في إحدى المجلات العربية، اتصل به وأخبره على الفور، وكنا نحتفل بذلك على طريقتنا الخاصة، وفي مقاهينا. الآن عندما يرى أحدنا إبداعا لزميله في أي مطبوعة مصرية وغير مصرية، يربدُّ وجهه ويُزبد، ويحس أنه أولى من زميله في نشر أعماله لدى تلك المطبوعة أو غيرها. وليس هناك ما يمنع أن يرسل أحد لرئيس تحرير هذه المطبوعة، مدعيا أن العمل المنشور سبق نشره في مكان آخر، ليغلق الباب في وجه زميله، لدى هذه المطبوعة، أو غيرها.

لقد امتلأت الساحة السكندرية بمدعي الأدب والثقافة الذين يذكرونني بالسيد شنجري في رواية "زيجات من باريس" لأدمونت أبوت، فشنجري - يتعارف على الفنانين التشكيليين - وهو بلا مهنة معترف بها، ولا مواطن معروف. هو ما يسمونه باللغة الدارجة "وباء المراسم". وموهبته قوامها قدرته على التداخل مع الفنانين، والإفراط في مواجهتهم بالتملق، واغتياب أحدهم عند الآخر، ورفع الكلفة معهم، والحصول على رسم من هنا أو هناك، يتركون له حرية أخذه. وهو له حاسة شم بائع ومبتاع المتنوعات، دون أن يكون فنانا أو ناقدا، فهو يشم جيدا اللوحات التي لم تنجح. وفي المراسم التي يُستقبل فيها، يقف موقف المعجب على طول الحوائط، معظما كل شيء، الجيد والرديئ. ولكنه في الوقت نفسه يقلل من قدر عمل فني فذ لمصلحة عمل آخر، طبقا لمصلحة ما، في نفسه، وهكذا".

لقد امتلأت حياتنا الإبداعية في الإسكندرية وغير الإسكندرية، بأمثال السيد شنجري.

كما تغيرت نفوس الأدباء والمثقفين، على مر السنوات السابقة، ويحتاج هذا الأمر إلى وقفة طويلة، لمعرفة الأسباب، التي أرجح أن منها تقلص فرص النشر، رغم انتشارها، أمام أدباء الإسكندرية، ومحاولة نفي الآخر، وهذا من سمات الأجيال الإبداعية الجديدة في مصر كلها. وعدم الاعتراف بأستاذية أحد على الآخر، فصيحة حافظ رجب (نحن جيل بلا أساتذة) تؤتي ثمارها الآن، لدى الأجيال الجديدة.

أيضا من مشكلات الثقافة السكندرية، عدم وجود مسرح ليمارس هواة الفن المسرحي فنهم، والمسرح الوحيد اللائق التابع للدولة، مسرح سيد درويش، انتقلت تبعيته لقطاع الأوبرا، ولم يفتتح بعد. ولعل المسرحيين في الإسكندرية أقدر مني على شرح مشكلاتهم في هذا المجال.

المشكلات الثقافية كثيرة ومتشعبة كما رأينا، وبعضها يعود إلى الأجهزة الثقافية المختلفة، وبعضها يعود إلى الأدباء والمثقفين أنفسهم، وبعضها يعود إلى الزمان الذي اختلف.

فلله درّك يا إسكندرية.

خاتمة شعرية



كما بدأنا كتابنا بسطور من رواية "ميرامار" لعملاق الرواية العربية والعالمية نجيب محفوظ، ننهيه أيضا بقصيدة "ميرامار".

ميرامار

إسكندريَّةُ ..
(قطرُ الندى
ونفثةُ السحابةِ البيضاء
ومَهبطُ الشعاع)
تعومُ في ضياها
وتشرئبُ للسواحلِ التي في خاطري
إسكندريَّةُ .. في صباها
لؤلؤةٌ في عُرْوَةِ البحار
وسَهْرَةٌ في "بنسيونِ ميرامار"
إسكندريَّةُ التي في القلب ..
لا تنامُ في الشتاء والربيعْ
لا تعرفُ الضبابَ والصقيعْ
هِي ابنةُ الشموسِ .. وابنتي ..

حفيدتي .. صديقتي
تُبادلُ الغرامَ بالغرامْ
وتعزفُ الألحانَ والكلامْ
على شواطئِ الزمان

تمدَّدي على رمالِ صدرنا
فصيفُكِ الجميلُ .. سَتْرُنا
تفتَّحي تحت الجفونِ والعيون
وانْزَلِقِي ـ كلاعبِ الباليهِ ـ في الخيال
لا تقفي مثل التماثيل على الكورنيش
ووزِّعي سحر الجمال والدلال
على عبادك المرابطين في المنار
إسكندرية العناق والقيثار
تلألئي كما النجوم في جبين التاج
واغترفي من حبي الوهاج
فها هي البلاد تنحني ..
لمجدك الجديد والقديم
لا تَتَأَوْرَبي ..
أو .. تَتَأَمْرَكِي ..
لا تتعَوْلَمِي ..
بل .. تَسَكَنْدَرِي

في مِشْيةِ العصاري ..

تسمْهري ..

تعمْلقي .. عبر القرون القادمة

تنفّسي صبحًا من الخيولِ في السحاب

ترقرقي .. كالماء في الرُّضاب

هذا أنا ..

فتاك قبل أنْ يجيئكِ الفتي اسكندر

سميتُكِ: الأميرةْ ..

على عروشِ مالكي الديار

صليتُ في معبدِ سيوه

وقالَ لي كبيرُ كُهَّانِهِ:

ستفتحُ البلادَ والبحار

وتلتقي بالشمسِ والغبار

ستسجدُ الأبراجُ والأقمار

وفي نَهايةِ الطريق مِئذنةْ ..

ومكتبةْ

فلتصعدِ الآنَ إلى الشمالِ يا ابنَ الآلهةْ

هذا أنا .. وقبلَ أنْ يجيئكِ الفتى

لكنني .. حاربتُ ..

ـ في الطريقِ نحو قلبك المضيء بالمعرفةْ ـ

جحافلَ الظلامِ والخُرافةْ
أرجعتُ سَيْنَاءَ لواديها
فلسطين لأهليها
وجئتُ بعدَهُ ..
وجدتُهُ سمَّاك باسمِهِ
فلا عَتَبْ ..
ولا حَزَنْ ..
أميرتي أنتِ ..
أميرةُ البحار
هيَّا إلى "بنسيون ميرامار".

٢٠٠٢/٦/٢٧

كتب أخرى للمؤلف

أولا: دواوين الشعر:

١ ــ مسافر إلى الله ١٩٨٠ ــ سلسلة كتاب فاروس بالإسكندرية.

٢ ــ ويضيع البحر ١٩٨٥ــ سلسلة المواهب الصادرة عن المركز القومي للفنون التشكيلية التابع لوزارة الثقافة بالقاهرة.

٣ ــ عصفوران في البحر يحترقان ١٩٨٦ (بالاشتراك مع الشاعر عبد الرحمن عبد المولى) ــ سلسلة الإبداع العربي بالهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.

٤ ــ تغريد الطائر الآلي ــ طبعتان. الأولى عن سلسلة أصوات معاصرة بالزقازيق ١٩٩٦. الطبعة الثانية عن الملتقى المصري للإبداع والتنمية بالإسكندرية ١٩٩٩.

٥ ــ الطائر والشباك المفتوح ١٩٩٩ عن منارة الإسكندرية للنشر والتوزيع بالإسكندرية.

٦ ــ إسكندرية المهاجرة ١٩٩٩ عن اتحاد الكتاب ودار زويل للنشر بالقاهرة.

٧ـ شمس أخرى .. بحر آخر. ٢٠٠٠ المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة

٨ ـ الماء لنا والورود. ٢٠٠١ سلسلة كتابات جديدة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.

٩ ـ بحر آخر (مختارات شعرية ترجمتها إلى الفرنسية شيرين محمود) ٢٠٠٣ الدار المصرية للنشر والتوزيع بالإسكندرية.

١٠ ـ بين نهرين يمشي. ٢٠٠٣ (سلسلة الإبداع الشعري) الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.

ثانيا: أدب الأطفال:

١ ـ أشجار الشارع أخواتي ١٩٩٤ ـ شعر ـ دار البشير للنشر والتوزيع بعمان الأردن بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية

٢ ـ حديث الشمس والقمر ١٩٩٧ ـ شعر ـ سلسلة قطر الندى بالهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة

٣ ـ بيريه الحكيم يتحدث ١٩٩٩ (تبسيط بعض أعمال توفيق الحكيم للصغار) سلسلة عين صقر بالهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة

٤ ـ طائرة ومدينة ٢٠٠١ ـ شعر ـ سلسلة قطر الندى بالهيئة العامة لقصور الثقافة.

ثالثا: الدراسات الأدبية والنقدية

١ ـ أصوات من الشعر المعاصر ١٩٨٤ عن دار المطبوعات الجديدة بالإسكندرية

٢ ــ قضايا الحداثة في الشعر والقصة القصيرة ١٩٩٣ عن هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية.

٣ ــ جماليات النص الشعري للأطفال ١٩٩٦ عن الشركة العربية للنشر والتوزيع بالقاهرة

٤ ــ أدباء الإنترنت .. أدباء المستقبل (ثلاث طبعات) الأولى ١٩٩٧ عن دار المعراج للنشر والتوزيع بالرياض، والثانية عن الشركة العربية للنشر والتوزيع بالقاهرة ١٩٩٩. والثالثة عن دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع بالإسكندرية ١٩٩٩

٥ ــ من أوراق الدكتور هدارة ١٩٩٨ وصدر عن سلسلة كتاب فاروس للآداب والفنون بالإسكندرية

٦ ــ أصوات سعودية في القصة القصيرة ١٩٩٨ عن دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع بالإسكندرية

٧ ــ نظرات في شعر غازي القصيبي ١٩٩٨ بالاشتراك مع الشاعر أحمد محمود مبارك، عن دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع بالإسكندرية

٨ ــ أدب الأطفال في الوطن العربي ــ قضايا وآراء ١٩٩٨ عن دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع بالإسكندرية

٩ ــ تكنولوجيا أدب الأطفال (البحث الفائز بالجائزة الأولى من المجلس الأعلى للثقافة ــ فرع الدراسات الأدبية واللغوية ١٩٩٩). دار ا لوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع بالإسكندرية.

١٠ ــ الحياة في الرواية ٢٠٠١ ــ دار الوفـــاء لدنيـــا الطباعـــة والنشر والتوزيع بالإسكندرية.

١١ ــ جسر درويش ووصايا أمل. ٢٠٠٣ ــ دار الوفـــاء لدنيـــا الطباعة والنشر والتوزيع بالإسكندرية.

رابعا: المعجمية العربية

١ ــ معجم الدهر ١٩٩٦ عن دار المعراج الدولية للنشر والتوزيع بالرياض.

٢ ــ معجم شعراء الطفولة في الوطـــن العربـــي خـــلال القـــرن العشرين ١٩٩٨ عن دار المعراج الدولية للنشر والتوزيع بالرياض.

٣ ــ معجم أوائل الأشياء المبسط ١٩٩٩ عن دار الوفـــاء لدنيـــا الطباعة والنشر والتوزيع بالإسكندرية.

٤ ــ مصر في القاموس المحيط. مطبوعات الكلمة المعـــاصرة ــ إقليم غرب ووسط الدلتا الثقافي.

خامسا: المشاركة في أعمال موسوعية مع آخرين:

١ ــ دليل مؤتمرات المملكة العربية السعودية ١٩٨٩ عن شـــركة الدائرة للإعلام بالرياض.

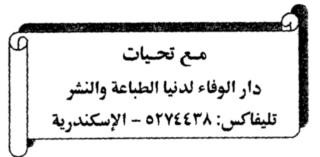
٢ ــ معجم الأدباء والكتاب السعوديين ــ ط١ ١٩٩٠ عن شـــركة الدائرة للإعلام بالرياض.

٣ ــ معجم البابطين للشعراء العرب المعـــــاصرين ١٩٩٥ عـــن مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بالكويت.

٤ ــ الموسوعة العربية العالمية ١٩٩٦ عـــن مؤسســـة أعمـــال الموسوعة للنشر والتوزيع بالرياض.

٥ ــ قرنفلة لسيدة البحار (شعراء من الإســـكندرية) ١٩٩٨ عـــن فرع ثقافة الإسكندرية.

تم بحمد الله



مع تحيات
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية

هذا الكتاب

كان ضرورياً أن تأتى عن الإسكندرية « استعادة » من نوع خاص ، امتزج فيها حس الشعر مع تكوينات بالغة الأسر ، عميقة الدلالة ، ما بين رحلات عبر مفاتاز التاريخ والحضارة ، وجولات فى صميم المكان ، تسترجع صورة المدينة ، من خلال مكتبتها الشامخة ، التى ردَّت لها الروح بهذا الحضور الحى الفعَّال ، ومن خلال مختلف مراكز الإشعاع بما فى ذلك مقاهي المدينة وتجمعاتها ومشكلاتها وذكرياتها التى لا تزال تنبض بالحياة .

ولأن أحمد فضل شبلول شاعر في المقام الأول ، فإن الشعر كان - بحسب التعبير السينمائى - الموسيقى التصويرية التى تصاحب فصول الكتاب ، وهى تتوالى فى تشكيل غير مسبوق حقاً ، وتمضي بنا فى كل اتجاه ، لترسم صورة نابضة لعبقرية الإسكندرية العلمية والحضارية والأدبية ، ومن المرجح أن أكثر فصول الكتاب حيوية ، هي تتناول المشهد الشعرى السكندري ، لأن تفصيلاتها تتعد الحقائق إلى دوائر الإحساس والمعايشة اليومية .

د. محمد زكريا